

العلّامة السيد محمد تقي المدرسي
الدعاء
معراج الروح ومنهاج الحياة

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الدعاء

معراج الروح ومنهاج الحياة



الكتاب: الدعاء: معراج الروح ومنهاج الحياة

المؤلف: العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الناشر: المركز الثقافي الإسلامي

عدد النسخ: ٥٠٠٠ نسخة

الطبعة: الاولىٰ

تاريخ النشر: ربيع الاول/١٤٠٥هـ

المطبعة: مظاهري

في البدء..

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كما أثنيت على نفسك وفوق ما يقول القائلون.

اللهم صل وسلم على اشرف خلائقك الذي بعثته بالحق ليكون للعالمين نذيرا، محمد بن عبد الله، وعلىٰ الائمة الهداة من آله الطاهرين.

اللهم وفقنا لبلوغ ما نتمنىٰ من رضوانك، وايدنا في سبل التقرب اليك، وسدد خطانا لا تباع نهج اوليائك.

وبعد:

ايها القاريء الكريم..

ان احببت ان يحدثك رب العالمين فأتل القرآن وان اردت ان تتحدث مع الله، فصِّل، او ادعُ ربك..

وسواء قرأت القرآن، او دعوت ربك، فان المسافة المصطنعة بينك

و بين سبحات وجه ربك تقتصر، بل قد تتلاشى.

ولم يدعْ القرآن الكتاب الذي انزله الله، دليلاً اليه، وسراجاً منيراً في طريق قربه، لم يدع الناس بلا توجيه في «فن الحديث مع الرب» ان صح التعبير.

فايات الذكر قد قصت علينا: كيف دعا الصالحون الله فاستجاب لهم ربهم دعاءهم.

ومضامين الدعاء القرآني، غنية باداب الحديث مع الله، كيف نحمده ونثني عليه، ونستغفره ونتقرب بالانابة الىٰ جنابه، ثم كيف نبدأه بطلب افضل الحاجات، دون ان ننسى الشؤون الثانوية، وكيف نتذكر الوالدين والاقربين والاخوة المؤمنين عند الدعاء، وعشرات من الاداب الاخرى.

وصاغ الرسول الكريم ادعية عالية المضامين بوحي من القرآن الحكيم، ومضى اهل بيته الطاهرين علىٰ نهجه. فاذا بهم يملأون الافاق بروائع الدعاء التي احتوت على دائرة للمعارف الالهية، ابتداءً من معرفة الله ومعرفة اسمائه الحسنى، وطرق التوسل اليه، واساليب التوبة، واستمراراً مع صفات الرسل وانتهاءً بتكريس الصفات الرسالية عند الانسان المسلم.

ومما يؤسف له ان مخازن الادعية المأثورة، لا نزال بعيدين عنها بالرغم

من فقرنا اليها.. وترانا نلتمس الهدى والحكم والنصائح من تراث اليونان، او قدماء الفرس، او مرتاضي الهند وعندنا ما يفيض عن حاجاتنا من تراث الرسول واهل بيته وربما يعود ذلك الى السببين التاليين:

١/ بالرغم من كثرة عدد العلماء الذين عكفوا علىٰ دراسة مختلف ابواب الفقه، ومقدماته من العربية والمعاني والبيان والاصول، فان قليلاً منهم اعطوا جانب الادعية حقها. ربما للاعتقاد بان الحاجة الىٰ الفقه اشد من الادعية، ما دامت الادعية المأثورة منتشرة بين المسلمين و يتلونها في كل صباح ومساء، و بكل مناسبة.

بينما كانت الادعية ومن قبلها القرآن واحاديث الاخلاق والمواعظ هي الاحرى بالاهتمام لانها تعطي اصول العلم، وقواعد المعرفة، وليس الفقه ــ علىٰ اهميته ــ سوى حقل بسيط من مجموع الرسالات الالهية، اما الاهم فهو اصلاح عقائد الناس، وتعريفهم بحقيقة الدنيا، وتذكيرهم بايام الله، وتخويفهم الاخرة، وترغيبهم في الجنة وتزكية انفسهم، وتنظيم مجمل علاقاتهم بالخالق، و بالناس و بالمخلوقات.

ونشأ من قلة الباحثين في الادعية فراغ هائل في تنظيم النصوص وتأليف مختلف الكتب التي تفي بحاجات الناس فيها، علماً باختلاف الناس في مراتب التعبد فمنهم من يبتهل الىٰ ربه فيحتاج الىٰ مثل كتاب (الاقبال) و (المصابيح) ومنهم المقتصد فهو بحاجة الىٰ مثل (مفاتيح الجنان) ومنهم الذين يبحثون عن ادعية سهلة وهم اغلب الناس

الذين تغنيهم مثل (الصحيفة السجادية).

ولولا كتاب «مفاتيح الجنان» للمحدث الكبير الشيخ عباس القمي رضوان الله عليه وكتب امثاله، اذاً كانت المكتبة الاسلامية تعيش فراغاً هائلاً..

ولست اعرف عدد الطبعات ولا عدد النسخ التي طبع بها كتاب مفاتيح الجنان، ولكني اعتقد ان النسخ بمئات الالوف وانه لا يصل الىٰ حجم نسخه ولا عدد طبعاته اي كتاب ديني غير كتاب الله المجيد في هذه البلاد.

أو ليس ذلك دليل علىٰ مدى الحاجة التي كانت الجماهير المؤمنة تحس بها.

ومن جهة اخرى نجد الاهتمام منصباً علىٰ تاليف كتب اخرى، بالكاد يصرف منها الف نسخة، وتتراكم في مخازن المكتبات.

٢/ النظرة السطحية التي ينظرها البعض الىٰ الادعية المأثورة، التي احتوت علىٰ كنوز معارف آل بيت الرسول ـ صلىٰ الله عليه وعليهم ـ.

الادعية ـ عندهم ـ مجرد اذكار لا بد أن يرددها الفرد ـ بوعي أو دون وعي ـ ليحصل علىٰ الثواب.

ولا ريب ان من يقرأ دعاء رَغبةً في ثواب الله، ورجاء رَحمتِهِ او تسليماً

لامره سبحانه فسوف يؤتيه الله أجراً عظيماً، ولكن هل هذا كل هدف الادعية؟

ام ان دعاء مكارم الاخلاق هو برنامج اخلاقي متكامل، ودعاء الافتتاح هو موسوعة عقائدية شاملة، ودعاء ابي حمزة الثمالي هو زخم روحي وومضة عرفانية، وترتيب سلم الاولو يات عند البشر. ان مفردات الادعية ــ لو تاملنا فيها ــ لكانت دروساً في الحياة غنية بالمعاني الحضارية.

وحتىٰ الفقه الاسلامي لا بد ان يستمد قيمه التي تستهدف مفردات الاحكام تحقيقها، يستمدها من الادعية، أو ليس القانون ــ او الحكم الشرعي ــ يستهدف بالتالي تحقيق مثل معينة، مثل اقامة الحق، والعدل، وتحقيق الفضيلة، والاحسان والخير بين الناس؟!، فمن اين يستقي هذه المثل وتحديداتها،واولو ياتها،وتقاطعاتها، أو ليس من النصوص الملهمة للحكم الشرعي والادعية المأثورة من تلك النصوص!؟

قديماً عندما شرعنا في دراسة مقدمات الفقه الاسلامي، وفي اول يوم من ايام دراستنا التمهيدية علمونا هذا الحديث الشريف: اول العلم معرفة الجبار واخر العلم تفو يض الامر اليه. وانا اليوم اتساءل: اذا كان اول العلم معرفة الجبار، فلماذا تركنا دراسة الادعية التي تساعدنا علىٰ معرفة الله؟

والىٰ متىٰ يبقىٰ الهجر بيننا و بين اغنىٰ كنوز المعارف الروحية.

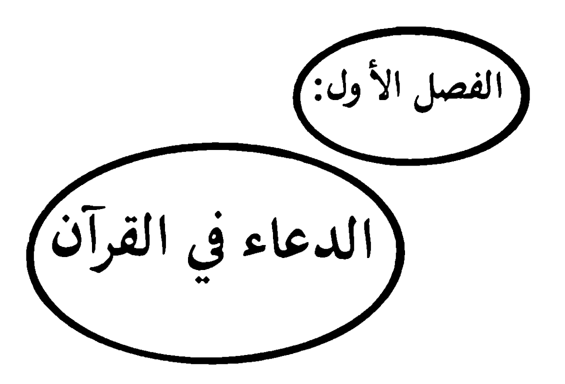
وفي الختام:

اقدم اليك ايها القاريء الكريم، مجموعة محاضرات القيتها علىٰ المصلين في ايام شهر رمضان المبارك لعام ١٤٠٣هجرية. واستراحت في اشرطة الكاسيت حتىٰ قيض لها احد اخوتنا الكرام فاعاد صياغتها ووثق نصوصها واعدها للطبع بصورتها الحالية، فشكره الله علىٰ ذلك واثابه من فضله ووفقه للمزيد من الطاعات.

وحيث اقدم هذا الكتاب، آمل الا تنساني من صالح دعواتك فان دعاء المؤمن في حق اخيه مستجاب.

نسأل الله لي ولك المغفرة والرضوان والهدى والاستقامة.. انه سميع الدعاء..

محمد تقي المدرسي
٢١/محرم الحرام/١٤٠٥هجرية



الفصل الأول:

الدعاء في القرآن

١ــ كيف ندعو الله؟

٢ــ ادعوني استجب لكم.

١ ــ كيف ندعو الله؟

واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

(١٨٦/البقرة)

*قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله، اَو اَتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين. بل اياه تدعون، فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون. ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا، ولكن قست قلوبهم

وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون*

(٤٠-٤٣/الانعام)

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لَئن انجانا من هذه لنكوننَّ من الشاكرين. قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون

(٦٣-٦٤/الانعام)

ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها، وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين

(٥٦/الاعراف)

قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون

(٨٩/يونس)

ما هو الدعاء؟ وكيف ينبغي ان يدعو الانسان؟ وما هي الفوائد المرجوة من دعوة الانسان ربه؟

قبل كل شيء لا بد ان نعلم ان للدعاء اهدافاً وحكماً معينة لو عرفها الانسان لاكتشف كنزاً عظيماً، ربما لم يكن قد اكتشفه سابقاً. اكتشف علاجاً لمشاكل عويصة يعيشها في حياته، اكتشف حلا للمصاعب التي تعترضه، واكتشف بالتالي شفاء لما في صدره من الالآم والادران.

والايات الكريمة بالرغم من انها متناثرة في مناسبات مختلفة في القرآن الحكيم الا انها تعطينا ـفي المجموع ـ فكرة متكاملة عن الدعاء.

اين ندعو الله؟

عند المشاكل يبحث الانسان عن حل، و بفطرته يعرف ان الحل بيد الله، وان اية مشكلة مهما عظمت، ومهما دعت الانسان الى اليأس فان لها حلاً بيد الله ولكن: اين الله؟

اين نذهب لنكون قريبين من الله ونتحدث اليه ونسأله؟

هل الله في المسجد؟

هل الله في الصحراء؟ فوق الجبال؟

و بالتالي: اين نكون نحن اقرب الى الله؟

هذا السؤال مطروح امام كل الناس، ليس فقط الذين كانوا في عهد الرسول وسألوه عن الله، وانما نحن ايضاً عندما نواجه مشاكلنا نبحث عن مقام نكون فيه اقرب الى الله سبحانه وتعالى لندعوه فيه.

ويجيب القرآن الحكيم على هذه التساؤلات بقوله:

﴿واذا سألك عبادي عني فاني

قريب*(١)

فانك لا تحتاج الى واسطة، ولاتحتاج ان تقطع مسافة لتصل الى الله، انما ربك قريب.

ونحن نقرأ في دعاء (ابي حمزة الثمالي)..

[وان الراحل اليك قريب المسافة، وانك لا تحتجب عن خلقك الا ان تحجبهم الاعمال دونك]

وحينما يُسأل الامام علي (ع) عن الله، وعن المسافة بين الارض والسماء، يقول الامام ان المسافة بينها هي **[دعوة مستجابة]**، لان الدعوة المستجابة تقطع البلايين من الكيلومترات التي تفصل بين الارض والسماء في اقل من طرفة عين،**فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان*** (وقد جاء في كتب التفاسير ان رجلاً سأل النبي محمداً(ص) قائلا: يارسول الله ربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه).

فانتظر الرسول الوحي، فجاءت الآية:

***واذا سألك عبادي عني فاني قريب**

---

(١) كلمة «عباد» تأتي عادة في العباد الصالحين، بينما تأتي كلمة «عبيد» للتعبير عن غير الصالحين.

(٢): مفاتيح بيروت/ ٢٤٠

اجـيـب دعـوة الـداع اذا دعـان فـلـيـسـتـجـيـبـوا لي ولـيـؤمنوا بي لعلهم يرشدون*

دعوة الله وحده

فالله تعالى يجيب دعوة الداعي، ولكن بشرطين هما:

الاول: «اذا دعانِ»، فـالـدعـوة يجب ان تكون لله وحده وليس لاحد غيـره. وكـأن الانـسـان يـدعو الله في الظاهر ولكنه في الواقع لا يدعو ربه الحقيقـي، وانما يـدعـو الـشركاء من دون الله. يقول: «يارب» بلسانه، و يـرفـع يـديه بالدعاء نحو السماء ولكن قلبه لا يتصل بالله، فهو يدعو الله بلسانه بينما قلبه لا يدعو الله، وقد جاء في تفسير الآية الكريمة:

فـاخـلـع نـعـليك اِنك بالواد المقدس طوى

(١٢/طه)

ان المراد من (النعل) هو حب الاهل والاولاد. اي انك ما دمت قد جئتني واردتَ ان تدعوني يجب ان لا يكون قلبك متصلاً بحب الاولاد، لان الـنـبـي مـوسى في تـلك الصحراء، وفي تلك الليلة الشاتية و بينما يلفه الـظـلام والـبرد والضياع، كان يفكر في زوجته القريبة من الولادة وكان يبحث عن النار لها.

وانـت ايـضاً ذهبت الى المسجد، وقمت للصلاة، بينما فكرك مشغول

باولادك ومشاكلك، فانك لا تدعو الله.

اذن، نكتشف من هذه الآية الكريمة انه اذا اردت الدعاء فلا بد ان تبتعد عن العلاقات والارتباطات الاخرى وتخلص توجهك الى الله سبحانه وتعالى. فربنا يقول:

* واذا سألك عبادي عني فاين
قريب، اجيب دعوة الداع اذا
دعانِ *

اما الشرط الثاني: فنجده في النصف الثاني من الآية الكريمة، اذ يقول الله تعالى:

***.. فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم
يرشدون***

مادام الله يجيب دعوتك فأنت بدورك لا بد ان تستجيب لله وتؤمن به، وتكيف كل شؤون حياتك وفق ارادة الله، وحسب تعاليمه، و بهذا يرشد الانسان. والرشاد يعني الوصول الى الطريق الصحيح، فاذا استجاب الانسان لله، وآمن به، يكون قد ضمن الرشاد في حياته.

فلسفة الدعاء

وعن فلسفة الدعاء، تقول الآية الكريمة:

﴿قل أرأيتكم إن اتاكم عذاب الله أو اتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين، بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾

في البدء تتعرض الآية الى ان الانسان حينما يأتيه عذاب الله، أو تأتيه الساعة، وحينما تشتد به الحياة فانه يدعو الله و ينسى الشركاء الذين اتخذهم من دون الله. ثم يشير القرآن الى فلسفة الدعاء بأن الله أرسل رسله الى الأمم السابقة بعدما أنزل العذاب في صورتين:

في صورة حروب داخلية وعذاب الانسان للانسان، وهو (البأساء) وفي صورة عذاب الطبيعة للانسان وهو الضراء (١)

ولكن لماذا يأخذ الله عباده بالبأساء والضراء؟

---

(١) بعض علماء الفضاء يتوقعون حدوث تغيرات هائلة في الكرة الارضية بسبب الانفجارات المتتالية التي تحدث في الشمس، لان هذه الانفجارات رفعت درجة حرارة الشمس من خمسة الآف درجة الى خمسة عشر الف درجة وهذا الارتفاع يؤثر في الارض التي هي واحدة من الاقمار الدائرة حول الشمس، فما هو تاثيرها؟ لا ندري. هل تسبب الطوفان؟ هل تسبب حدوث انفجارات داخلية في عمق الارض؟ لا ندري.

ومن الذي يقدر ان يوقف هذه الانفجارات داخل الشمس؟ واذا ما ادت هذه الانفجارات الى حدوث تغيرات خطيرة في ارضنا التي هي قمر من اقمار الشمس فهل يستطيع العلم الحديث ووسائله المتطورة من مواجهة هذه الا ثار؟.

لا.. فالله وحده هو القادر على ذلك، ولعل حدوث مثل هذا الامر هو نوع من انواع الضراء.

لماذا يمتحنهم بالمشاكل؟

تجيب الآية الكريمة ذاتها:

﴿.. لعلهم يتضرعون﴾

فالهدف هو ان الله يريدك أنت ـ كعبد من عباده ـ أن تذهب اليه.

فحينما لا تذهب اليه في الحالة العادية، ينزل عليك المشاكل والعذاب و (البأساء والضراء) حتى تتوجه الى ربك وتتضرع اليه.

ولكننا نجد أن بعض الناس حتى في حالة الضراء والبأساء لا يتضرعون الى الله، وفي الواقع قد بلغ بهم الجمود مرحلة فقدوا معها حتى فطرتهم ووجدانهم، ذلك الوجدان الذي يملكه كل انسان في حالة المشكلة والمصيبة، والعذاب، وتلك الفطرة التي تجعل الانسان يرجع الى الله، وعن هؤلاء يقول القرآن الكريم:

﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾

إذن، فان هذه الآيات تؤكد بأن من فوائد المشاكل والمصائب في الدنيا توجه الانسان وتضرعه الى الله.

وفي الواقع ان المشاكل تنتهي بينما الايمان الذي يزرعه التضرع الى

الله في قلب الانسان يبقى و يستمر، كما آن العمل الصالح الذي يخلقه ايمان الفرد هو الآخر يبقى وتستمر آثاره حتى بعد فناء الدنيا ومشاكلها.

«قال ابو عبدالله (ع): (دعي النبي صلى الله عليه واله وسلم الى طعام فلما دخل منزل الرجل نظر الى دجاجة فوق حائط قد باضت، فتقع البيضة على وتد في حائط، فثبتت عليه ولم تسقط ولم تنكسر فتعجب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) منها، فقال له الرجل: اعجبت من هذه البيضة؟ فو الذي بعثك بالحق ما رزئت شيئاً قط ـ اي لم أصب بمصيبة قط. فنهض النبي صلى الله عليه واله وسلم، ولم يأكل من طعامه شيئاً، وقال: من لم يرزء فما لله فيه من حاجة» (١)

«عن ابي عبدالله(ع) قال: قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يوماً لاصحابه: (ملعون كل مال لا يُزكى، ملعون كل جسد لا يزكى، ولو في كل اربعين يوماً مرة فقيل: يارسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها، فما زكاة الاجساد؟ فقال لهم: ان تصاب بآفة.

قال: فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه، فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال لهم هل تدرون ما عنيت بقولي؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: الرجل يخدش الخدشة، و ينكب النكبة، و يعثر العثرة، ويمرض المرض،و يشاك الشوكة، وما أشبه هذا، حتى ذكر في آخر حديثه

(١): البحارج ٩٣ ص ٢٨٩.

اختلاج العين».(١)

وعلى الانسان الذي لا يواجه في حياته أية مشكلة أو مصيبة، أن لا يفرح و يطمئن، إذ أن هذا هو علامة الغرور، فالانسان حينما يصاب بمشكلة ما، فان روحه تترفع وتضاء بنور الله سبحانه وتعالىٰ و يتوجه قلبه الى الله، وهذا التوجه هو أكثر فائدة من أضرار المشكلة.

كما ان الانسان الذي لا يتضرع حتى مع مواجهته البأساء والضراء، فانه يكون قد قسى قلبه، وزين له الشيطان أعماله السيئة.

أساليب الدعاء:

أما عن أساليب الدعاء، فان القرآن الكريم يقول:

﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية﴾

فالدعاء يجب أن يكون أولاً: تضرعاً الى الله، وأن يكون ثانياً: خفية، أي سراً بين العبد وربه.

كما ينبغي على الداعي الى الله سبحانه وتعالىٰ أن يعرف انه يتعاهد مع الله من خلال الدعاء: انه عندما ينجيه الله من هذه المشكلة أن يتحول

(١) (بحار الانوار/٦٧/٢١٨)

رجلاً صالحاً وشاكراً له.

لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين

ولكن ربما يتعهد الانسان مع الله، و يرفع المشكلة عنه ثم يعود الى حياته السابقة دون أي تغيير حقيقي في السلوك:

قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون

وفي سورة(الأعراف) نقرأ الآية الكريمة:

* ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها، وادعوه خوفاً وطمعاً، ان رحمه الله قريب من المحسنين*

ففي حالة الدعاء يجب أن يكون الانسان بين (الخوف والرجاء) عليه أن لا يطمئن لاستجابة دعائه بسرعة، كما أن عليه أن لا ييأس من رحمة الله. دعنا نتدبر قليلاًفي العلاقةبين (دعوة الله خوفاً وطمعاً) و بين قرب رحمة الله من المحسنين.

ان العلاقة هي ان على الانسان حينما تحل به مصيبة ما، أو يواجه مشكلة في حياته أنْ يدعو الله، ولكن في نفس الوقت عليه أن يحسن

للنـاس، فالاحسان يشجع الانسان على الدعاء كما انه مفتاح الا ستجابه من قبل الله الذي تكون رحمته قريباً من المحسنين.

وفي سورة يونس تطالعنا هذه الآية:

﴿قـال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما، ولا تـتـبـعـان سـبـيـل الـذيـن لا يعلمون﴾

والخطـاب موجـه الى موسى وهـارون وهـو يـعـنـي انـك اذا دعـوت الله واستـجـاب الـرب دعـوتـك فلا تذهب الى هذا وذاك، وليكن أملك بالله واسـتـقـم على الـطـريـق الـسوي ولا تستجب للضغوط والتحديات، كما عليك أن تواصل الطريق على هدى الله، ولا تتبع سبيل الذين لا يعلمون.

٢ ـــ ادعوني استجب لكم.

ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم

(٧٦/الانبياء)

*وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين *فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر، وآتيناه اَهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرىٰ للعابدين*

(٨٣-٨٤/الانبياء)

قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم، فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً

(٧٧/الفرقان)

*اَمن يجيب المضطر اذا دعاه

ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الارض ءإلـه مع الله قليلاً ما
تذكرون*

(٦٢/النمل)

*وقال ربكم ادعوني استجب لكم
ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين*

(٦٠/غافر)

*ويستجيب الذين امنوا وعملوا
الصالحات ويزيدهم من فضله،
والكافرون لهم عذاب شديد*

(٢٦/الشورى)

دعاء نوح

من خلال التدبر في هذه الآيات نستوحي بصائر قرآنية جديدة في الدعاء، ومن ابرز هذه البصائر ما نراه في سورة الانبياء حيث يقص علينا ربنا سبحانه وتعالى قصة نوح:

ان نوحاً حينما دعا ربه،استجاب له ونجاه من ذلك الكرب العظيم.

لقد شمل الطوفان كل العالم، واغرق الناس اجمعين. بل واغرق كل

الاحياء من الحيوانات والطيور ايضاً.

الطوفان يشمل الجميع، و ينهي حياة الجميع ولكن يبقى انسان واحد ومجموعة صغيرة معه احياء، يستجيب الله لهم و ينجيهم من الكرب العظيم.

ان في ذلك دلالة واضحة على ان امور الكون ليست اموراً تجري على سنن موضوعة لا تخترق، كلا.. بل هذه السنن تتغير وفق ارادة عليا واسمى، هي ارادة الله سبحانه وتعالى.

صحيح ان ما يحدث في الكون من حوادث وتطورات، انما تكون وفق قوانين وانظمة ثابتة. ولكن هذه القوانين انما يجريها ربنا، فاذا اراد وقف العمل بقانون ما، او تغيير قانون آخر، فعل ذلك حسب ارادته.

كانت هناك نظرية خاطئة لدى فلاسفة اليونان تقول:

لو كانت السماء قوساً، والبلاء سهماً والله هو الرامي، فاين الفرار؟

وقد اشتهرت هذه النظرية في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاءت الآية الكريمة:

ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين

(٥٠/الذاريات)

فالسماء قوس والبلاء سهم و يد القدر هي التي تسدد هذا السهم،

ولـكن مع كل ذلك، هناك الامل بالخلاص، ان هناك باباً للنجاة برغم السـمـاء، و بـرغـم سـهـم الـبلاء، ذلك الباب هو العودة الى الله سبحانه وتعالى:

فـفـروا الى الله انـي لـكـم مـنـه نـذير مبين

الـفـرار الى رب الـقـدرة، الى مـن هـو اعـظـم من السماء، واكبر من الـبـلاء، واقـوى من القدر. ان لله قدراً وقضاءاً، والقضاء فوق القدر، وهو يـاتـي لـيـنقض القدر، فقد يقدر عليك ان تموت في حادثة معينة، ولكنك تـدفـع الـصـدقة وتستجيب لله، وتدعوه فيستجيب الله دعاءك فيأتي قضاء الله ليمنع عنك القدر.

يقول الله تعالى في سورة الانبياء:

ونـوحاً اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم

دعاء ايوب

ثم يقول ربنا في نفس السورة عن النبي ايوب:

*وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر

﴿وانت ارحم الراحمين﴾

ومن هذه الآية الكريمة نستوحي اسلوب الدعاء، **فطريقة ايوب في** الدعاء تستدعي ان يكون الانسان مؤدباً في دعائه لله، اذ نرى ان ايوب لم يطلب من الله شيئاً بصراحة، وانما نادى ربه اني مسني الضر..

الهي قد بلغ بي الضر درجة المساس، اي ان الضر دخل في عظمي واثر علي تاثيراً شديداً **﴿وانت ارحم الراحمين﴾** وما دمت كذلك، فكيف تدع عبدك هكذا يمسه الضر، فيطلب ايوب رحمة ربه بكناية هي ابلغ من التصريح.

دعاء موسى

وهكذا ايضاً يدعو النبي موسى ربه اذ يقول:

﴿رب اني لما انزلت الي من خير فقير﴾

(٢٤/القصص)

فلم يطلب الخير من الله باسلوب صريح، بل انه يقول: الهي انزلت عليّ خيراً كثيراً واشكرك على ذلك، لكنني الان اصبحت فقيراً الى ذلك الخير. فهو قد طلب الخير من الله ولكن بلغة غير مباشرة.

وحسبما جاء في بعض الاحاديث فان الانبياء (عليهم السلام) كانوا يكتفون بالتوجه الى الله فقط، دون التصريح بمطاليبهم في الدعاء.

«عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: لما أجلس ابراهيم في المنجنيق، وارادوا أن يرموا به في النار أتاه جبرائيل فقال: السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته ألك حاجة [illegible] أما اليك فلا، فلما طرحوه دعا الله فقال: يا [illegible] لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فحسرت [illegible] عنه. ورآه لمحتبي ـ أي ملتفٌ في ثوبه ـ ومعه جبرائيل وهما يتحدثان في روضة خضراء» (١)

دعاء زكريا

وعن كيفية دعاء النبي زكريا نقرأ في سورة الانبياء قول ربنا الكريم:

﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً
وكانوا لنا خاشعين ﴾

(٩٠/الانبياء)

ان من صفات المؤمنين انهم يدعون الله خوفاً من عذابه ورجاء رحمته. في حالة الدعاء يجب ان لا تكون آيساً من رحمة الله ولا مطمئناً الى ان هذه الرحمة سوف تشملك دون ريب، انما يجب ان تكون بين الخوف والرجاء.

---

(١) (البحار/١٢ص٢٤)

اذا كنت آيساً فان دعاءك لا يُستجاب، وكثير من دعواتنا تكون مع اليأس والقنوط.

فالدعاء يجب ان يكون مع حالة من الرجاء، وكأن الاجابة على الباب، وفي نفس الوقت يجب ان لا تكون مطمئناً ولا تحتم على الله الاجابة. فالله سبحانه وتعالى اعلى واعظم من ان يحتم الانسان عليه شيئاً.

والانسان لا يستطيع ان يطمئن الى انه ينجو من كل آلامه ومشاكله بمجرد دعوة واحدة، كما انه لا يصح ان يكون يائساً وقانطاً من النجاة و يستسلم لواقعه المؤلم بل الانسان المؤمن يكون بين الخوف والرجاء، وهكذا كانت دعوة زكريا واهله حيث كانوا ـ كما يقول ربنا العزيز :

ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين

وحينما يكون الدعاء رغباً ورهباً.. بين الخوف والرجاء تتضاعف احتمالات الاستجابة من قبل الله تعالى، وهذا هو الاسلوب الافضل الذي يتبعه المؤمنون في دعواتهم.

الدعاء سلاح المؤمن

وقد يركن الانسان ـ احياناً ـ الى اعماله الصالحة، و يغتر بها، و يعتقد

ـخطأـ انه الاقرب الى الله، وهو يمتحق الجزاء الاوفى، بينما لو تدبرنا الامر لوجدنا ان كل الاعمال الصالحة يمكن ان لا تكون في موازنة عمل سيء واحد، ومعصية واحدة تحدينا بها رب العالمين.

يجب ان لا نغتر باعمالنا ولا نركن اليها في علاقتنا مع الباري عزوجل، لان الذي يرشحنا لرحمة الله سبحانه وتعالى هو الدعاء.

وفي هذا يقول الله سبحانه:

قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم...

فالله لا يعبأ بالانسان ولا باعماله لولا توسله بالدعاء والتضرع. لذلك جاء في الحديث:

«الدعاء سلاح المؤمن» (١)

فالدعاء سلاح، والبكاء سلاح، والتضرع والخضوع امام الله سلاح.

الدعاء وفطرة الانسان

وتكشف الآية (٦٢) من سورة النمل جانباً آخر من الدعاء حيث

---

(١): (البحار ٩٣/٢٨٩)

تقول:

﴿أَمَّن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء
الارض ءإله مع الله قليلا ما
تذكرون﴾

(٦٢/النمل)

حينما تكون مضطراً، فاي باب يجب ان تطرق؟ ومن الذي يفرج عنك و يستجيب لك دعاءك (امّن يجيب المضطر اذا دعاه)، من هو الذي يستجيب دعاء المضطر؟ هكذا تخاطب الآية فطرة الانسان وتوقظ وجدانه، وتكشف امامه عن جوهر الحقيقة، وعن واقع ليس فيه اي لبس، وتجعله يعود لنفسه و يتذكر تجاربه السابقة.. و يتذكر ايام الاضطرار من الذي كان يستجيب له دعاءه و يكشف عنه الكروب، والآلام، والاضرار:

﴿امّن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الارض ءإله مع الله قليلا ما
تذكرون﴾

ولكن الانسان في كثير من الاحيان يتصرف بعيداً عن يقظة الوجدان والفطرة و ينسى الله، واستجابته لدعواته. فالله يجيب دعاءه و يكشف السوء عنه وفي لحظات الاضطرار يلجأ الى الله، ولكنه بعد ذلك يشرك بالله

و ينسى هذه اللحظات، وقليلاً ما يتذكر.

الدعاء والمستكبرون

اما الذي يستكبر عن الدعاء والتضرع لربه، فماذا يكون مصيره؟ يقول ربنا في الجواب:

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم
ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين﴾

الذين لا يدعون ربهم ولا يتضرعون الى الله، يستكبرون عن الدعاء، ولذلك فهم يدخلون جهنم داخرين. ان على الانسان ان يدعو الله في كل صغيرة وكبيرة وان لا يستكبر عن الدعاء، ولا يصح ان يقول الواحد منا: انا اعمل، وانا اتحرك، فلست احتاج للدعاء.

ولكن السؤال: كيف تعمل العمل؟ وكيف تتحرك في حياتك؟ ألست بحاجة الى توفيق الله، وتهيئة الظروف المناسبة لك؟! اذن، عليك ان تدعو ربك حتى يستجيب لك، و يوفقك للعمل:

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾

أليست عندكم حاجات وتطلعات وآمال؟ اذن، اِدعوا الله حتى يستجيب لكم. ثم يقول ربنا:

ان الذين يستكبرون عن عبادتي

وهنا يكون الدعاء من ابرز مصاديق العبادة. فالذين يستكبرون عن عبادة الله وعن الدعاء سيدخلون جهنم داخرين، يدخلون جهنم في حالة الذلة والهوان.

الدعاء والتطلع

ان الدعاء يزيد تطلع الانسان، و يزيد سعة صدره و يرفع همته. الدعاء يجعل الانسان لا يحصر نفسه ضمن حدود ضيقة وأطر محددة انه يعيد الانسان الى حقيقته، وحقيقة الانسان انه عالم كبير بالرغم من انه يزعم انه جرم صغير. والدعاء يسلط الضوء على هذه الحقيقة امام الانسان. وعلاقة الانسان بالدعاء والاستجابة تشبه علاقة المطر بالارض. فالمطر الذي ينزل من السماء هو للناس جميعاً، ولكن كل انسان يستفيد من هذا المطر بقدر ارضه. فالذي يملك هكتاراً واحداً من الارض يستفيد من المطر بقدر هكتار! والذي يملك عشرة هكتارات من الارض يستفيد بقدرها. وهكذا بالنسبة لمن يملك مائة هكتار يستثمر المطر بقدر مائة هكتار، اليس كذلك؟ وهكذا رحمة الله فانها واسعة بلا شك، ولكن سعة نفسك وسعة صدرك ومقدار استيعابك لهذه الرحمة هو شرط الرحمة، فاذا كانت نفسك ضيقة، واملك محدوداً، وتطلعك ضعيفاً، فان رحمة الله لك ايضاً تكون ضعيفة، ليس لان رحمة الله قليلة، وانما لانك انت لا تستوعبها.

اذن ينبغي ان ندعو الله وكلنا تطلع وامل في ان الله يجيب دعوتنا،

كما ينبغي ان ندعو الله ونسأله اشياء كثيرة وحاجات هائلة، واذا كان دعاؤك مستجمعاً لشروط الاستجابة، فان الله يعطيك ما تطلب، ولو لم يعطك في الدنيا فانه يعطيك في الآخرة.

اذن، فالدعاء يرفع همة الانسان و يزيد في تطلعه حتى يشمل الدنيا والاخرة، والانسان المؤمن لا يستكبر عن عبادة الله ودعائه، اذ انه بذلك يدخل جهنم داخراً، ويجمع الى شقاء الدنيا، شقوة الآخرة ايضاً. بينما الذي يدعو ربه و يتضرع اليه، يستجيب الله دعاءه في الدنيا و يؤتيه اجره في الآخرة.

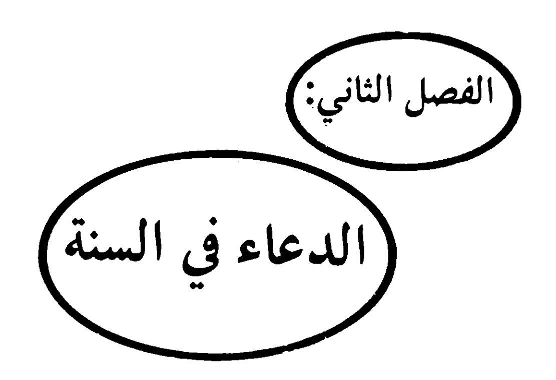
الدعاء وفضل الله

وتشير الآية (٢٦ من سورة الشورى) الى ان الله ليس فقط يستجيب دعوة المؤمنين من عباده، وانما يزيدهم من فضله، تقول الآية الكريمة:

﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾

فاذا دعوت الله سبحانه وتعالى وطلبت منه زوجة، فان الله يعطيك زوجة واولاداً، واذا طلبت منه زوجة واولاداً، فانه يعطيك زوجة واولاداً ورزقاً ومسكناً لهم ايضاً. وهكذا **﴿ويزيدهم من فضله﴾**

ان رحمة الله واسعة جداً، حينما يستجيب لدعوتك فانه يعطيك ما طلبت و إضافة الىٰ ما دعوت.



١ــ الدعاء سلاح المؤمن.
٢ــ الدعاء وتطهير النفس.
٣ــ الدعاء وتوفير الامن والرفاه.
٤ــ الدعاء وضعف الانسان.
٥ــ شروط الدعاء.

١ ـ الدعاء سلاح المؤمن.

الاحاديث الشريفة التي هي تعبير عن روح القرآن وتفسير لمضامينه اكدت هي الاخرى على الدعاء واهميته وضرورته، وعلى انه سلاح الانسان ضد سلبيات نفسه، وضد صعوبات الحياة، بل انه سلاح الانسان ووسيلته التي عبرها يستطيع ان يصل الى اهدافه السامية.

وفي طليعة هذه الاحاديث ما روي.. عن الامام الرضا عن آبائه(ع) عن رسولنا الاكرم محمد(ص) انه قال:

(الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والارض) (١)

هذه الرواية تشتمل ثلاث مفردات ينبغي ان نقف عند كل واحدة منها لنستخرج بصائر جديدة عن الدعاء:

---

(١): بحار الأنوار ـ ج٩٠/باب فضل الدعاء والحث عليه.

الاولى: سلاح المؤمن

ان المؤمن يواجه في حياته ثلا ثة مخاطر:

١ــ يواجه ضعف نفسه لان الانسان خلق من ضعف وركب في ضعف. حياته محدودة بحدود عديدة، وعمره محدود، وعلمه محدود وقوته محدودة، واخيراً، تحركه في الدنيا محدود.

والسؤال المطروح هو: كيف يخرج الانسان من هذا الضعف الذي يحيط به؟ كيف يقاومه؟ و يتحرر من حصار ضعفه لذاته، يخرج بقوة خارجية و بامداد غيبي، هو الا تصال بالله سبحانه وتعالى.

جرب في نفسك هذه الحالة: حينما تريد ان تعمل عملاً صعباً على نفسك كأن تريد القيام لصلاة الليل مثلاً. فانك توقت الساعة المنبِّهة في الوقت المحدد. يرن الجرس وتستيقظ، ولكنك تجد من الصعوبة ان تتجاوز ضعف ذاتك، فالنوم يستولي عليك، وجسمك يقاوم النهوض، ومشاعرك لا تزال خاملة . كيف تهيب بنفسك وتعزم على القيام؟

هنا امامك طريق واحد وهو ان تتذكر ربك، وتتوكل عليه، وتطلب من الله التوفيق، فسرعان ما تجد وكأن روحاً جديدةً هبت في جسمك وساعدتك على النهوض لاداء صلاة الليل. لذلك كان الدعاء سلاح المؤمن ضد سلبيات نفسه.

٢ــ و يواجه المؤمن ايضاً نواقص الطبيعة من حوله، والطبيعة هي

الاخرى مخيفة، والانسان بفطرته يخشى الطبيعة. ترى الطفل عادة يخشى الظلام، يخاف الصحراء ويخشى الاصوات الغريبة. والانسان الكبير ايضاً يخشى الكثير من مجالات الطبيعة، ولكن استطاع ان يتفوق بعلمه وعقله على بعض المخاوف، الا ان الخوف من الطبيعة لا زال موجوداً. وهذا الخوف هوالذي يهزم الانسان، قبل ان تهزمه مخاطر الطبيعة، لان الانسان الخائف لا يستطيع ان يتحدى المخاوف، والله سبحانه وتعالى قد سخر له ما في الارض والطبيعة جميعاً، فلا بد ان يتسلح بسلاح يقاوم هذا الخوف من الطبيعة، ثم يقاوم مخاطر الطبيعة ذاتها وذلك السلاح هو سلاح الدعاء.

اذا كنت وحدك في الصحراء او في الغابة وانتابك الخوف من شيء ما، واذا كنت تشعر بالضعف امام جبل سامق، امام اي ظاهرة طبيعية اخرى فادع الله حتى تتغلب على الخوف والضعف.

من هنا وردت في الاحاديث المأثورة .. ادعية لمختلف الامور: لمقاومة الخوف من المرض، من الجن، من الظلام، بالاضافة الى ان التوجه العام في الادعية هو ربط الطبيعة وربط الانسان بالله، حتى يندفع الانسان للسيطرة على الطبيعة.

نقرأ في دعاء الصباح المروي عن الامام علي اميرالمؤمنين(ع):

[اللهم يامن دلع لسان الصباح
بنطق تبلجه، وسرح قطع الليل المظلم

بغياهب تلجلجه، وأتقن صنع الفلك الدوّار في مقادير تبرجه، وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه، يامن دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته...] (١)

هذا الدعاء يذكر الانسان ـعبر تلاوته المستمرةـ بان كل جوانب الطبيعة خاضعة لله: تنفس الطبيعة في الصباح، وانهزام قطع الظلام امام نور الصبح، والافلاك الدائرة في هذا الكون.. كل ذلك انما هو بيد الله وتحت هيمنته وفي اطار عرشه سبحانه وتعالى وقدرته. لذلك لا مبرر للخوف من الطبيعة، بل على الانسان ان يتسلح بالايمان والعلم للتغلب عليها وتسخيرها لمآربه.

٣ــ يواجه المؤمن ـكذلكـ الخوف من عذاب الله و بلائه، والدعاء هو سلاح المؤمن امام عذاب الله و بلائه. ففي الحديث الشريف ان:

(الدعاء يرد القضاء وقد ابرم إبراماً) (٢)

ونقرأ في الروايات عن قوم يونس الذين نزل عليهم العذاب، واقترب منهم مسافة قامة رجل، اي حوالي المترين، كان العذاب مشرفاً عليهم، يرونه بام اعينهم، ولكنهم تضرعوا الى الله سبحانه وتعالى ودعوا ربهم

---

(١): المفاتيح ــ طبعة بيروت/ ص ٩١.

(٢): أصول الكافي/ج٤/ص ٢١٦

فانقشع عنهم العذاب.

والدعاء سلاح المؤمن امام عذاب الله سبحانه وتعالى، هذا العذاب الذي ينزله الله على الانسان بسبب اعماله، وما يرتكب من سيئات.

الثانية: عماد الدين

للدين مظهر وجوهر. مظهر الدين هو الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والخمس.. الى آخر العبادات، ولكن ما هو جوهر الدين ما هو قوام الدين وعماده؟ إنه الدعاء، لان جوهر الدين هو اتصال الانسان بالله، وعماد الدين هو عروج الانسان الى الله. **(فالصلاة معراج المؤمن)** كما جاء في الحديث الشريف، اما الصيام فتحدد الاية الكريمة الهدف منه:

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون

(١٨٣/البقرة)

فالهدف من الصيام هو التقوى..

وتزودوا فان خير الزاد التقوى

(البقرة/١٩٧)

الهدف من العبادات هو حالة العروج والتقوى، حالة الاتصال الغيبي بالله سبحانه وتعالى، وهذا يتحقق بالدعاء. ان الله سبحانه وتعالى

تحدث الى الانسان عبر القرآن الحكيم. ولكن كيف يتحدث الانسان مع الله سبحانه وتعالى؟

:ـ ان جواب الانسان وحديثه مع الله تعالى هو الدعاء، لذلك كان الدعاء (عماد الدين).

في المناجاة الشعبانية نقرأ هذه الفقرة التي تقول:

[واجعلني ممن ... فناجيته سراً وعمل لك جهراً] (١)

فمظهر الدين هو العمل الذي يقوم به الانسان من اجل الله سبحانه وتعالى، بينما روح الدين هو مناجاة الله للانسان.

الثالثة: نور السموات والارض

قد نفهم من التعبير عن الدعاء بانه (نور السموات والارض) ان للدعاء دوراً كبيراً في تحريك وتغيير امور السموات والارض.

ان جوهر وجود السموات والارض انما يكون بالدعاء. ونقرأ في القرآن:

***الله نور السموات والارض مثل نوره**

---

(١): مفاتيح الجنان ـ بيروت/ ص ٢١٤

كمشكاة*
(٣٥/ النور)

فالدعاء مشكاة نور الله سبحانه وتعالى لانه عبر الدعاء، وعبر ذكر الله والتوسل به، تصلح امور السموات والارض، و يصلح الله مافسد منها والفساد لا يكون الا بسبب اعمال الناس:

ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس

(٤١/الروم)

و بلجوء الانسان الى الدعاء، والتضرع، وتمتين الاتصال بالله والخضوع لتعاليمه من خلال الدعاء، فان الفساد في السموات والارض يتقلص، و بذلك يكون الدعاء نور السموات والارض، الذي يقضي على عوامل الفساد من خلال تزكية النفس البشرية، والسمو بها في آفاق التقوى، والمعنو يات السامية.

اذن، الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض

الدعاء يرد القضاء

جاء في الحديث عن الامام الصادق(ع):

(ان الدعاء يرد القضاء، وان المؤمن

ليذنب، فيحرم بذنبه الرزق)(١)

وهناك قول مأثور بان: (**الصدقة تدفع البلاء**) وهذا يعني ان الصدقة تمنع نزول البلاء بالانسان، بينما الدعاء يكشف البلاء حتى بعد نزوله و بعد ان يصبح قضاءاً.

فان الله قد يقضي عليك ببلاء، فتدعوه وهو يستجيب لك و يرد القضاء، فالدعاء يرد القضاء (**وان المؤمن ليذنب فيحرم بذنبه الرزق**).

لماذا؟

لان الكافر اذا اذنب، فان الله سبحانه وتعالى يأخذه بذنوبه في يوم القيامة الا بعض الذنوب العظيمة، اما المؤمن المحبوب عند الله فأنه اذا ارتكب اي ذنب، فان الله يجازيه في الدنيا، حتى يفد على الله في يوم القيامة ولا تثقل ظهره الذنوب، ولذلك فان الكثير من المؤمنين يعيشون في الدنيا ابتلاءات كثيرة لتصفية ذنوبهم في الدنيا قبل الآخرة.

فالحديث يقول ان المؤمن حينما يذنب ذنباً فانه يحرم من رزقه جزاءً على الذنب، فماذا نعمل حتى لا نحرم من رزقنا؟

الجواب:ـــ علينا بالدعاء، إذ(**ان الدعاء يرد القضاء**)

---

(١): بحار الانوار ٩٣/٢٨٨

ويدفع البلاء

وجاء في حديث مروي عن الامام الصادق عن ابيه(ع) عن رسول لله(ص) انه قال:

(داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا ابواب البلاء بالدعاء، وحصِّنوا اموالكم بالزكاة فانه ما يُصاد ما تصيد من الطير الا بتضييعهم التسبيح) (١)

ربما تعني الكلمة الاخيرة من هذا الحديث، ان الطير الذي يسقط في شرك الصياد، لا يسقط بالصدفة كما نتصور نحن، وانما لسبب وقدر، هو انه لم يسبّح الله تعالى.

فامور الكون كلها تجري باقدار بينما الانسان يتصور ان الامور تجري صدفة ودون تقدير. وجاء في حديث آخر عن رسول الله (ص):

(ان الرزق لينزل من السماء الى الارض على عدد قطر المطر، الى كل نفس بما قدّر لها، ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضله)(٢)

---

(١): بحار الأنوار ٢٨٨/٩٣

(٢): بحار الأنوار ٢٨٨/٩٣

فالامور والارزاق محددة ومقدرة من قبل الله تعالى، ولكن اذا اراد الانسان المزيد فعليه ان يدعو ربه من فضله.

وجاء في حديث آخر عن الامام اميرالمؤمنين (ع):

(إدفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء، فو الذي فلق الحبة، وبَرَأ النسمة، لَلْبلاء اسرع الى المؤمن من انحدار السيل من اعلى التِّلعة الى اسفلها ومن ركض البراذين).(1)

(1): بحار الأنوار ٩٣/٢٨٩

٢ ــ الدعاء وتطهير النفس

«ما زالت نعمة ولا نضارة عيش إلا بذنوب اجترحوا، ان الله ليس بظلاّم للعبيد، ولو أنهم استقبلوا ذلك بالدعاء والانابة لم تنزل، ولو أنهم اذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم فزعوا الى الله بصدق من نياتهم، ولم يهنوا ولم يسرفوا لأصلح الله لهم كل فاسد، ولرد عليهم كل صالح».[١]

لماذا تتواتر النقم؟

أن تنزل النقمة بالانسان بعدما كان يتمتع بالنعم، فهو من أصعب ما يواجهه الانسان في حياته، وأن أجمل ما يواجهه الانسان في الحياة هو أن تتوالى عليه النعم من ربه بعد أن قضى فترة طويلة يعاني فيها من النقم والمصائب.

وفي هذا المجال فان الناس تتفاوت أوضاعهم، فبعضهم يصاب

(١): بحار الأنوار- ٢٨٩/٩٣.

بمشكلة أو مصيبة سرعان ما يتغلب عليها نفسياً واجتماعياً و يستمر في حياته العادية، إلا أن بعض الناس يصابون بتواتر الأحزان والنقمات وتوالي المصيبات والمشاكل، مما يواجهون موقفاً صعباً للغاية، فهم لا يتخلصون من مصيبة إلا و يصابون بأعظم منها، هؤلاء الناس ينبغي أن يطرحوا هذا السؤال على أنفسهم: لماذا؟ لماذا تخصهم المصائب والمشاكل؟

نجد الجواب في كلام الامام علي (ع) حيث يُعزي الامام سبب توالي المصائب على الانسان الى اجتراح السيئات المتوالية، فكما يرتكب الانسان السيئات واحدة بعد الأخرىٰ، كذلك تتوالىٰ عليه المصائب واحدة تلو الأخرىٰ.

اذا كانت هنالك في بيتك منطقة قذرة تتراكم عليها الحشرات، فليس الحل هو أن تقوم بابادتها فحسب، إذ كلما قتلت قسماً منها تراكمت موجة جديدة منها على المنطقة القذرة.

إذن، ماذا عليك أن تصنع؟ عليك أن تنظف بيتك من القذارة. كذلك الأمر حينما تتوالىٰ عليك المصائب والنقم والمشاكل، فلابد أن تعرف أن قذارة معنوية تعيش فيها هي سبب كل ذلك، ولابد أن تبادر الى تطهير نفسك منها.

دور الخمول والاسراف

ويحدد الامام علي في الحديث الشريف ان عملية التطهير هذه

والتحصن ضد المشاكل والنقمات إنما تتم: بالانابة الى الله، والتوبة من الذنوب، والتوسل بالدعاء، وان لا يهن الانسان ولا يسرف بل يتخذ بين ذلك سبيلاً فلا الوهن والخمول وعدم النشاط والتكاسل عن القيام بالواجبات صحيح، ولا الاسراف صحيح، فقسم من الذنوب يأتي بسبب الخمول، بينما القسم الآخر من الذنوب يأتي من الاسراف، فحينما يسرف الانسان في أكله وشربه واهتمامه بنفسه، يحتاج الى ما يعوض عن سرفه و يتم ذلك ـ عادة ـ بالسرقة والاستغلال والاستثمار اللامشروع.

وكذلك حينما يكون الانسان خاملاً، فلا يتحرك ولا ينشط هو الآخر يحتاج الى الحيلة والمكر والخدعة والسرقة من نوع آخر، فالعامل الذي لا يعمل بصورة منتظمة بسبب خموله، فانه يسرق وقتاً معيناً من العمل، والذي يتكاسل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو مذنب، وهكذا نجد أن الخمول، وعدم النشاط يتسببان في ارتكاب السيئات والذنوب، لذلك يقول الامام علي:

«ولو أنهم اذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم فزعوا الى الله بصدق من نياتهم، ولم يهنوا ولم يسرفوا لأصلح الله لهم كل فاسد، ولرد عليهم كل صالح».

الفزع الى الله

إذن، فحينما تنزل النقم، وترحل النعم، فان على الانسان أن يفزع

الى الله، أي يستغيثه و يلجأ إليه، ولا يتحقق الفزع الى الله بأن ترفع يديك مرة واحدة وتسأل الله أن يكشف عنك النقم، بل يجب الالحاح في الدعاء حتى يستجيب الله لك، ففي الحديث:

«من أكثر طرق الباب أوشك أن يسمع الجواب، ومن لج ولج».

وكذلك جاء في الحديث:

«ان الله يحب الدّعاء الملح».

فادع الله واقسم بأسمائه الحسنى و بأوليائه الصديقين واعترف بضعفك وعجزك حتى يستجيب لك دعاءك. ثم يجب أن يكون الفزع الى الله «بصدق من نياتهم» وحينما تكون نية الانسان صادقة فان الله سبحانه وتعالى وهو العالم والخبير والبصير بنيات الناس، يستجيب دعاءه. ثم بعد ذلك: لم يهنوا ولم يسرفوا يطردون عن حياتهم الكسل والخمول والوهن، ولم يجعلوا الاسراف طريقة العيش في الحياة.

« لاصلح الله لهم كل فاسد ولرد عليهم كل صالح».

الدعاء عدة

وفي حديث آخر عن الامام علي عليه السلام:

« الـدعـاء يرد القضاء المبرم، فاتخذوه عدة»

الـذي يمـلـك الدعاء يملك العدّة والترس، يرد بهما البلاء اذا نزل به. والدعاء سلاحك وعدتك الذي تعتمد عليه من أجل درء البلاء. وجاء في الحديث عن الامام الصادق عليه الصلاة والسلام انه قال:

«ثلاث لا يضر معهن شيء: الدعاء عنـد الـكـربات، والاسـتـغـفـار عـنـد الذنب، والشكر عند النعمة» (١)

فـالانـسـان الذي لا يدعو ربه عند الكربة والمصيبة، ولا يستغفر عند الـذنـب، ولا يشكر عند النعمة، ليس فيه خير، يضره كل شيء ولا ينفعه شيء، بـيـنـمـا الـذي يـدعـو الله حـيـنما تنزل عليه المصيبة، فان الله يرفع المـصـيـبـة عـنـه، الذي يستغفر حينما يذنب فان الله يغفر له ذنبه، واخيراً الـذي يـشـكـر الله حينما يتفضل عليه بالنعمة فانه يرد عن نفسه سلبيات الـنـعـمة. وهنا نقطة هامة يجدر الاشارة اليها، وهي ان النعمة مثلما تأتي بـايجـابيات، كذلك تولد للانسان بعض السلبيات وعلى الانسان ان يدفع سـلـبـيات النعمة بالشكر، فالمال والاولاد، والمنصب، والقدرة، كل تلك نعم تحمل معها السلبيات العديدة الى جانب الايجابيات. والذي لا يشكر الـنـعـمة لا يلتفت الى الجوانب السلبية فيها و يغتر بها.. يأخذ بالاسراف

(١): بحار الأنوار-ج٩٣/ص ٢٨٩.

والـتبذير والاستئثار، لا يعطي حقوق الاخرين، و بالتالي يجر لنفسه الا ثار السلبية لهذه التصرفات فتتحول النعمة بالنسبة اليه نقمة.

ان كـثـيـراً مـن الـنـاس حـينما يتفضل الله عليهم بالنعم لا يحسنون الـتـصـرف فـيـهـا، فـتـكـون النعمة و بالاً عليهم. يشترط الامام الصادق «**الشكر عند النعمة**» حتى يتحصن المرء ضد الاضرار والسلبيات.

الدعاء والرزق

يقول الامام الصادق(ع):

> **«ان الله عز وجل جعل ارزاق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا، وذلك ان العبد اذا لـم يـعـرف وجـه رزقـه كـثـر دعاؤه»**(١)

فـالله يحـب ان يـسـمـع دعـاء الانـسـان المؤمن، ويحب ان يعطيه اجر دعائه، لان الدعاء بالاضافة الى نتائجه النابعة من الاستجابة الالهية، فان لـه تـأثـيـرات واقـعـيـة اخرى، الدعاء يجعل قلب الانسان خاشعاً، ويجعل روحـه نـظـيـفـة، كما يضاعف حسنات الانسان و بالتالي ثوابه عند الله. فلـذلـك يجـعـل الله رزق المؤمن من حيث لا يحتسب، ومن دون الاعتماد على مـورد ثابت للرزق، حتى تبقى يده-دائماً-، مرفوعة الى الله بالدعاء،

---

(١): بحار الأنوار- ٢٨٩/٩٣.

وعبر الدعاء يرزقه الله و يؤتيه -ايضاً- اجراً عظيماً.

افضل الكلام .. الدعاء

وسأل رجل شامي الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام):

أيُّ الكلام افضل عند الله عز وجل؟ فاجاب الامام قائلاً:

«كثرة ذكر الله، والتضرع اليه، والدعاء» (١)

فالله يحب الدعاء، وهو افضل ما ينطق به الانسان. وجاء في بعض الاحاديث .. ان الله اوحى الى موسى(ع):

[ياموسى ادعني لملح طعامك]

لان هذا هو نوع من التضرع الى الله، نوع من الا تصال بين العبد و بين ربه، والله يحب هذه العلاقة، و بالطبع عندما يحب الله احداً فانه يستجيب له و يؤتيه اجراً عظيماً.

وفي تفسير الآية الكريمة:

*** ان ابراهيم لاوّاه حليم ***

---

(١): بحار الأنوار- ١٥٩/٩٣.

جاء عن ابي جعفر أنه قال:

«الأوّاه: المتضرع الى الله في صلاته، واذا خلا في قفرة من الارض وفي الخلوات» (١)

فالأوّاه هو الذي يتضرع في صلاته، واذا خلا لوحده، أو كان في الصحراء، فانه يعوض عن وحدته ووحشته بالاتصال بالله سبحانه وتعالى، عن طريق التضرع والدعاء.

فضّل الله امتي بالدعاء

وجاء في حديث مروي عن النبي(ص) انه قال:

«مما اعطى الله به امتي وفضلهم به على سائر الامم، اعطاهم ثلاث خصال لم يعطها الا نبي: وذلك ان الله تبارك وتعالى كان اذا بعث نبياً قال له: اجتهد في دينك ولا حرج عليك، وان الله تبارك وتعالى اعطى ذلك امتي، حيث يقول:
وما جعل عليكم في الدين من حرج
وكان اذا بعث نبياً قال له: اذا

---

(١): بحار الأنوار- ٩٣/٢٩٠.

احزنك امر تكرهه فادعني استجب لك، وان الله اعطى امتي ذلك حيث يقول:

ادعوني استجب لكم

وكان اذا بعث نبياً جعله شهيداً على قومه وان الله تبارك وتعالى جعل امتي شهداء على الخلق حيث يقول:

ليكون الرسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس»(١)

وفي هذا الحديث نجد تاكيداً كبيراً على اهمية الدعاء، وان الامم لسابقة لم يكن للدعاء فيها دور بارز وكبير كما هو الامر بالنسبة للامة الاسلامية.

الذين يعجزون عن الدعاء

وجاء ايضاً عن رسول الله(ص) انه قال:

«ان اعجز الناس من عجز عن الدعاء، وان ابخل الناس من بخل بالسلام»(٢)

ان التضرع الى الله، وطرق بابه، والاتصال به، كل ذلك لا يحتاج

(١): بحار الأنوار- ٩٣/٢٩٠.

(٢): بحار الأنوار- ٩٣/٢٩١.

الى وسائط واسباب، ليس امامك الا ان تحرك لسانك وان توصل قلبك بالله. فاذا وجدنا انساناً تصيبه مصيبة اوكربة ولم يدع الله سبحانه وتعالى لرفع مصيبته وكربته فانه يعتبر من اعجز الناس.

ان كل واحد منا يمتلك نسبة كبيرة من هذا العجز، اذ اننا نعاني في حياتنا كثيراً من المشاكل، ونواجه عدداً كبيراً من النواقص ومن نقاط الضعف وليس هناك من يدعي انه كامل، وانه لا يشكو من اي مشكلة، فالعجز موجود ومحيط بنا من جميع جوانبنا، ولكن مع ذلك ترى اننا لا ندعو الله سبحانه وتعالى. اذن، فاذا كانت اخلاقك سيئة فادع الله لكي يصلحها لك، واذا كان عملك قليلاً فاسأل الله ان يضاعفه، واذا كنت تعاني من ضعف الارادة، فادع الله لكي يقوي فيك الارادة، واذا كان وضعك الاقتصادي متأزماً، او لم تكن ترزق الاولاد، فادع الله في ذلك. ولنتعلم الدعاء من سليمان(ع) الذي طلب من الله سبحانه وتعالى ان يعطيه ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده، واستجاب الله له، واعطاه مااراد.

لا مضرة مع الدعاء

وروي عن الامام الصادق عليه الصلاة والسلام عن ابائه انه قال: قال علي(ع):

«اربع للمرء لا عليه، ـ اي ان اموراً اربعة هي لمصلحة الانسان وليس في مضرته ـ: **الايمان والشكر، فان الله**

تعالى يقول: *ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم*

فالله ليس له حاجة في عذابكم، انما انتم تجرون العذاب لانفسكم فاذا شكرتم وآمنتم فان الله لا يعذبكم..

والاستغفار فانه قال: *وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون*

العذاب لا ينزل بالانسان الا اذا ارتكب المعاصي والذنوب ولم يستغفر الله سبحانه وتعالى.

والدعاء فانه قال تعالى:

قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم (١)

فالشكر والايمان والاستغفار والدعاء امور اربعة تكرس مصالح الانسان، ولا تكون ـباي حال من الاحوال ـ ضد مصالحه.

---

(١) بحار الأنوار ـ ٩٣/٢٩١.

٣ـ الدعاء وتوفير الامن والرفاه

روي عن نبينا رسول الله محمد(ص) انه خاطب جماعة من المسلمين قائلاً:

«ألا ادلّكم على سلاح ينجيكم من عدوكم ويدر رزقكم؟ قالوا: نعم. قال: تدعون بالليل والنهار، فان سلاح المؤمن الدعاء»(١)

الأمن والرفاه هما أهم جانبين يريد الانسان أن يحققهما في حياته، ولا يتحقق الأمن إلا من خلال القضاء على الأعداء، والتخلص من شرورهم، كما لا يضمن الانسان الرفاه إلا اذا تفضّل الله عليه برزق وافر، والدعاء ــ كما في الحديث ــ هو سلاح الانسان المؤمن ضد أعدائه،

(١) : البحار٩٣/ص٢٩١

وهو وسيلة لاستدرار الرزق الواسع.

وفي حديث آخر، يقول النبي الكريم (ص):

[ما من عبد يسلك وادياً فيبسط كفيه فيذكر الله ويدعو، إلا ملأ الله ذلك الوادي حسنات فليعظم ذلك الوادي، أو ليصغر](١)

اذا دخل المؤمن وادياً وذكر الله ودعاه، فان الحسنات والبركات تملا الوادي، سواء كان عظيماً أو صغيراً. فمن صفات المؤمن أنه مبارك أين ما كان، تحل البركة أينما يهبط المؤمن لذلك يشير الرسول الى أن المؤمن حينما ينزل أرضاً و يرفع كفيه الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء. فان الأرض تخضر وتنزل عليها بركات السماء. وهذا الحديث يكشف عن حقيقة هامة وهي ان مانسميه نحن بالصدفة ليس في الواقع كذلك، اذ ان كل التغييرات التي تحدث في الارض والسماء لابد ان تكون وفق قوانين وسنن مقدرة سلفا فالناس قديما وحينما لم تكن الانظمة الكونية معروفة لديهم، كانوا يربطون كل شيء بالصدفة حتى المرض، والموت، والقحط والرخاء، كل ذلك كانوا يتصورونه صدفة ولكن بعد ان اكتشفنا مجموعة الانظمة التي تجري في الطبيعة من حولنا عرفنا ان هذه

---

(١) : البحار ٩٣/ص ٢٩٢

التطورات والتغيرات ليست في الواقع مجموعة صدف، وانما هي تابعة لانظمة وقوانين لم يكن يعرفها الانسان ولكن ظلت هنالك مجموعة قضايا اخرى لايزال الانسان ينسبها الى الصدفة، لماذا؟

الجواب:

لان علاقتها ببعضها وعلاقتها بعمل الانسان غير معروفة لدينا حتى الان، وقد لانعرفها الى الابد. فحينما يخرج الواحد منّا في مهمة شاقة، و يدفع الصدقة للفقير، فانه ينجز مهمته دون ان تصيبه اية بلية، ومرة اخرى يخرج الانسان من بيته بعد ان يكون قد ارتكب ذنبا من الذنوب وعصى ربه، وصدفة يواجه في يومه العديد من المشاكل والمصائب..فهل حقا لعامل الصدفة اي دور في الحالتين؟ كلا.. ففي الحالة الاولى فان الصدقة هي التي دفعت البلاء، وفي الحالة الثانية كان الذنب سببا في نزول المشاكل والمصائب.

ان عشرات من امثال هذه الامور التي تواجه الانسان كل يوم، لايمكن ان نربطها بالصدفة وانما لكل قضية قانون، ولكننا لانعرف هذا القانون، اذ انه قانون غير مادي لم نكتشفه حتى الان، الا ان العقل يكشف لنا ان هنالك رابطة بين الدعاء و بين نزول الخير والبركة، بين الصدقة و بين دفع البلاء، وهكذا الامر بالنسبة للمؤمن يدخل ارضا و يدعو الله سبحانه وتعالى، يصلي ويخشع قلبه لله، فبسببه يتفضل الله على

تلك الارض فتمتليء بالحسنات والبركات، بالزروع والثمار، تتفجر فيها العيون الصافية، و يقيض الله لها رجالا يحرثونها و يعمرونها.. كل ذلك بتقدير الهي، و بسبب دعوة المؤمن الصالح.

ربنا يحب الدعاء

وفي حديث عن الامام ابي جعفر الباقر(ع):

«مامن شيء احب الى الله من ان يُسأل»(١)

لماذا السؤال هو احب شيء الى الله؟

لان الله سبحانه وتعالى رحمٰن رحيم، وهاب كريم، ولان من ابرز صفاته الجمالية هو العطاء والرحمة يوسعها لتشمل حياة الانسان، وافضل ساعات البشر عند الله تعالى هي تلك الساعة التي يتلقى الرحمة فيها من الله عبر السؤال والدعاء، لذلك جاء في الحديث عن الامام الرضا (ع):

«اقرب مايكون العبد من الله عزوجل وهو ساجد»(٢)

لان الانسان حين السجود يتذلل لربه، وحينها يكون في حالة

(١) : البحار٩٣/ص٢٩٢

(٢) : البحار٩٥/ص١٦٢

العبودية والسؤال من الله، وهذه هي الحالة الحقيقية للانسان بازاء الله تعالى، وفي حقيقة الامر فان البشر هو مجموعة حاجات، والله سبحانه وتعالى هو الغني الحميد ذو الرحمة الواسعة الذي يوفر هذه الحاجات. هذه هي المعادلة الحقيقية بين البشر وبين ربه: حاجة مطلقة في الانسان، ورحمة واسعة يجود بها الله، من هنا نفهم لماذا كان احب الاشياء الى الله هو ان يسأله العباد.

الدعاء والاستغفار

«ان الله يحب العبد ان يطلب اليه في الجرم العظيم، ويبغض العبد ان يستخف بالجرم اليسير» (١)

بعض الناس حينما يرتكبون السيئات الصغيرة فانهم يستخفون بها ولا يستغفرون الله منها، لكن حينما يرتكبون ذنباً عظيماً فانهم يستغفرون الله، فأي الحالتين افضل؟

لاشك ان الحالة الثانية افضل من الاولى، لان الحالة الاولى هي حالة الغرور والعجب والاستكبار، حالة التحدي امام الله، بينما الحاله الثانية هي حالة الخضوع، والخشوع والتذلل امام الله تعالى، وفي كثير من الاوقات تحصل في قلب الانسان حالة من الذلة بعد الذنب وذلك عبر

---

(١) : البحار ٩٣/ص ٢٩٢

التوبة وطلب الاستغفار، وقد جاء في مضمون بعض الاحاديث: ان المذنب الذي يستغفر الله و يتوب الى ربه توبة نصوحا، افضل ممن لاذنب له، من هنا فان الله يحب العبد الذي يطلب منه الغفران والتوبة على الذنب العظيم.

الدعاء والشفاء

روي عن الامام الكاظم (ع):

«لكل داء دعاء، فاذا أُلهِم العليلُ الدعاء، فقد أُذِن في شفائه»(١)

اذا حصلت عند المريض حالة الدعاء والتوجه الى الله سبحانه وتعالى، يعني ان شفاءه قد اقترب، اما المريض الذي لايدعو الله، يعني ان الشفاء يتأخر عنه او قد لاياتي

ثم يضيف الامام:

«الدعاء افضل من قراءة القرآن، لان الله جل وعز يقول:

﴿مايعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾(٢)

(١): البحار ٩٣ ص ٢٩٢
(٢): الحديث نفسه

والـذي استوحيه من هذه الكلمة هو ان الدعاء الذي يُعتبر افضل من قـراءة الـقـرآن لـيـس بمـعنى لقلقة اللسان وتلاوة بعض الاذكار والادعية المـأثـورة، فـان هـذه الـتـلاوة ليست بلا شك افضل من قراءة القرآن وانما المقصود هو حقيقة الدعاء، أي حقيقة اتصال قلب الانسان بالله.

و يروي الراوي عنه يقول:

« ان الـدعـاء يـدفع من البلاء ما قُدِّرَ وما لم يقدر»

قيل:

«وكيف يدفع مالايقدر»

قال:

«حتى لايكون»

فـمـرة يـدعـو الانسان حتى يرفع عنه البلاء، ومرة يدعو الله حتى يمنع عـنـه الـبـلاء، لان في الـعـالـم الـعـلوي وفي اللوح المحفوظ تقدر للانسان تـقـديـرات محـددة. وقـد يـكـون مـن بين هـذه الـتـقـديرات حلول البلايا والامـراض مـثـلاً بـالانـسان، فاذا دعا الانسان ربه فانه يمنع عنه البلاء، و يرفع عنه تقديرات السوء. حينما ندعو في ليالي شهر رمضان:

---

(١): الحديث نفسه

[وان تجعل فيما تقضي وتقدّر ان تطيل عمري في خير منك وعافية، وان توسع في رزقي وان تجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري] (١)

فان الله يستجيب لك، ويمنحك طول العمر والعافية.

وفي حديث عن معاوية بن عمار انه قال للامام:

(رجلان دخلا المسجد جميعاً، افتتحا الصلاة في ساعة واحدة، فتلا هذا من القرآن وكانت تلاوته اكثر من دعائه، ودعا هذا وكان دعاؤه اكثر من تلاوته ثم انصرفا في ساعة واحدة ايهما أفضل؟)

اي ان رجلين دخلا في الصلاة واتماها في وقت واحد، الا ان احدهما تلا في الصلاة آيات من القرآن اكثر من الدعاء، بينما الآخر كانت ادعيته في الصلاة اكثر من تلاوته للقرآن، وربما اقتصر من القرآن على المقدار الواجب في الصلاة.. فايهما أفضل؟

قال الامام:

«كلٌ فيه فضل.. كلٌ حسن»

فقال الراوي: اني قد علمت اَنّ كلاً حسن، وان كلاً فضل. قال:

الدعاء افضل أما سمعت قول الله تعالى:

---

(١): المفاتيح ــ بيروت/ ٢٣٦

﴿ادعوني استجب لكم، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾

«وهي والله افضل، هي والله افضل، هي والله افضل اليس هي العبادة؟ اليست اشدّ؟ هي والله اشد.. هي والله اشد.. هي والله اشد ثلاث مرات»(١)

فالامام يعتبر (العبادة) التي تشير اليها الآية هو الدعاء، فالذين لا يدعون الله فانهم يستكبرون عن عبادته.

وهنا يجب ان نشير مرة اخرى الى ان افضلية الدعاء على قراءة القرآن الكريم، لا تتحدد في اطار التلاوة المجردة الجافة، وانما الدعاء الذي يربط الانسان بالله، و يفعم قلبه بنور الايمان، وخشية الرب العظيم، ذلك الدعاء الذي يرتفع بالانسان عن حضيض الاهواء، والشهوات والاغلال الى مصاف الاولياء، والصديقين، والصالحين.

---

(١): البحار ج ٩٣/ ص ٢٩٢

٤ ــ الدعاء وضعف الانسان

قال الرسول العظيم محمد(ص) عن جبرئيل عن الله عزوجل انه قال:

[ياعبادي كلكم ضالّ الا من هديته، فاسألوني الهدى اهدكم، وكلكم فقير الا من أغنيته، فاسألوني الغناء أرزقكم، وكلكم مذنب الا من عافيته، فاسألوني المغفرة أغفر لكم، ومن علم أنّي ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني، بقدرتي غفرت له ولا أبالي، ولو ان اولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم و يابسكم، اجتمعوا على اتقاء قلب عبد من عبادي لم يزيدوا في ملكي جناح بعوضة، ولو ان اولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم و يابسكم، اجتمعوا على اشقاء قلب عبد من عبادي لم ينقصوا من ملكي جناح بعوضة، ولو ان اولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم و يابسكم، اجتمعوا فيتمنى كل واحد مابلغت امنيته، فاعطيته لم يتبين ذلك في ملكي، كما لو ان احدكم مرّ على شفير البحر فغمس فيه ابرة ثم انتزعها، ذلك باني جواد ماجد واجد، عطائي كلام، وعداتي كلام، فاذا اردت شيئاً فانما اقول

له كن فيكون)(١)

يعتبرهذا الحديث القدسي دعوة الهية للبشر بأن يستقبل نعم الله ورحمته، يبدأ الحديث ببيان ان الانسان هو عجينة من الفقر والعجز والضعف:

﴿وخلق الانسان ضعيفاً﴾

(٢٨/النساء)

والضعف هو من طبيعة الانسان، وهو لايقدر على ان يوفر لنفسه اقل قدر ممكن من حاجاته، وان كل ما يملكه البشر من نعم انما هو فضل من الله سبحانه وتعالى، ولكن هل يعترف الانسان بهذه الحقيقة اعترافاً قلبياً صادقاً؟

إن الأكثر والاغلب منا لا يعرف هذه الحقيقة عمق المعرفة.. لا يعرف ان ما تحيط به من نعم الوجود، والعلم، والامان، والعافية، والغنى، انما هي فضل من الله سبحانه، ذلك لان الانسان لم يكن شيئاً يُذكر قبل ان يوجَد في هذه الحياة:

﴿هل أتىٰ على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ إنّا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾

(١-٢/الدهر)

---

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٢٩٣

لا يـستطيع الواحد منا ان ينكر حقيقة انه كان في يوم من الايام نطفة صغيـرة جـداً لاحـول لهـا ولا طَـول، ولـم تكن تتمتع باية مقومات فعلية للحياة خارج اطار الاصلاب والارحام، فمن الذي اعطاها هذا الوجود، ثم اضفى عليها كل هذه النعم التي لا تحصى حتى اصبحت النطفة الحقيرة انساناً يتمتع بالحياة والقوة، والعلم، والامان، والعافية، والغنىٰ، بفضل الله ورحمته عزوجل، ولكن هذا الانسان الذي لم يكن شيئاً مذكوراً يصبح بعد وجوده في الحياة كتلة من الغرور والعجب واحياناً من الطغيان والاستكبار، و ينسى انه سيعود مرة اخرىٰ تراباً رميماً.. و يعود شيئاً لايُذكر، و يطويه الاولاد، **والتاريخ** في سجل النسيان والعدم.

لذلك يؤكد ربنا على هذه الحقيقة الضائعة من قلوبنا والغائبة عنا و يقول في بداية الحديث القدسي المروي عن النبي(ص):

[ياعبادي! كلكم ضالّ الا من هديته، فاسألوني الهداية اهدكم، وكلكم فقير الا من اغنيته، فاسألوني الغنىٰ ارزقكم، وكلكم مذنب الا من عافيته، فاسألوني المغفرة اغفرلكم...]

اذن، فاذا كان العبد كله ضِلالاً، وفقراً، وذنباً، فليس امامه الا ان يدعو الله سائلاً إياه: الهداية، والغنىٰ، والمغفرة، والعافية.

ان الانسان لا يستطيع ان يدعي انه يملك كل ما بين يديه من الاموال

والاولاد، والعافية، والامن، والعلم، ذلك لان الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل عليه بهذه النعم، ومن ثم هو الذي يسلبها منه اذا شاء، وعلى الانسان ان لا يفرح بما آتاه الله، ولا يحزن على ما فاته، كما ان عليه ان لا ييأس من رحمة الله اذا لم يكن يملك بعض النعم، اذ انه يستطيع بالدعاء ان يطلب من الله منحها اياه، فربنا قادر على ان يملكنا مالا نملك واكثر مما نتصور، لذلك يجب ان نكون كما قال الامام علي (ع):

(كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو) (١)

واذا كانت حقيقة الامر هكذا، فان ايدينا يجب ان تكون دائماً مبسوطة الى الله سبحانه وتعالى، كما علينا ان لا نغتر بما نملك والذي هو في الواقع ليس ملكاً لنا، اذ ان الله يمكن ان يسلبه منا في اية لحظة، والذي لا نملكه لانيأس منه ايضاً، ففي اية لحظة يمكن ان يتفضل الله به علينا، اذا فقدنا شيئاً صبرنا دون أن نيأس، واذا كسبنا شيئاً شكرنا دون ان نغتر به:

لكي لا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كلّ مختال فخور

(٢٣/الحديد)

بل الحقيقة هي اعمق من ذلك بكثير، اذ ان الانسان لا يملك حتى

---

(١): بحار الأنوار/ج ٧١/ص ٣٤

اعضاء جسمه، فالعين، والاذن، واليد، والرجل، وكل الاجزاء الاخرى لا نملكها نحن، انما هي وديعة من الله سبحانه وتعالى خولت الينا، ليعلم الله كيف نصبر وكيف نشكر! واذا عرفنا هذه الحقيقة وآمنا بها فان قلوبنا تبقى دائماً متجهة الى الله سبحانه وتعالى لطلب المزيد من فضله ونعمه، ونهاية الحديث القدسي تذكرنا بهذه الحقيقة، اذ يقول الله تعالى مخاطباً الانسان:

«ولو ان أولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم، اجتمعوا فيتمنى كل واحد ما بلغت امنيته فاعطيته لم يتبين ذلك في ملكي...»

لو ان كل العباد من الاولين والاخرين، من الاموات والاحياء طلبوا من الله العلي القدير كل ما يخطر على بالهم واعطاهم الله كل ذلك، لكان هذا الامر بالنسبة الى الله..

«كما لو ان احدكم مرّ على شفير البحر فغمس فيه أبرة ثم أنتزعها...»

فهل يؤثر ما تحمله هذه الابرة من الماء على البحر؟ وهل ينقص منه شيئاً؟ كذلك عطاء الله اللامتناهي، فانه: (لا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً)- كما جاء في الدعاء المأثور- واذا كان هذا هو حقيقة الامر بالنسبة الى كرم الله وعطائه وجوده فعلى الانسان ان يؤهل نفسه لاستقبال رحمة الله، والانتهال من معين جوده الذي لاينضب، عليه ان لايقصر

دعاءه على طلب الحاجات الصغيرة والتافهة. فبعض الناس المؤمنين يدعون الله فلا يُستجاب لهم، ذلك لانهم لم يسألوا الله الا شيئاً تافهاً، ولانهم يمدون ايديهم لبحر رحمة الله وجوده ولا يريدون منه الا شيئاً بسيطاً، فيمنع الله عنهم إجابة دعائهم في الدنيا ليجزيهم في الاخرة اضعافاً مضاعفة، يقول الله في ختام هذا الحديث:

«ذلك باني جواد ماجد واجد، عطائي كلام، وعداتي كلام، فاذا اردت شيئاً فانما اقول له كن فيكون»

ولكن لا يعني هذا اننا لا نسأل الله تعالى في الامور الصغيرة، ففي الحديث عن الامام الصادق (ع):

(عليكم بالدعاء فانكم لا تتقربون بمثله، ولا تتركوا صغيرة لصغرها ان تسألوها، فان صاحب الصغائر هو صاحب الكبائر)[1]

فلا تقل كيف أتوجه الىٰ الله وأسأله ملح طعامي؟

لان الله سبحانه وتعالى لايختلف بالنسبة اليه ان يعطيك مثقالاً من الملح او يعطيك جبلاً من الذهب، لان عطاء الله كلام يقول للشيء كن فيكون، والرب الذي يعطي الأشياء الكبيرة يعطي الأشياء الصغيرة أيضاً.

---

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٢٩٣

وجاء عن الرسول (ص) أنه قال:

(ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليست فيها قطيعة رحم، ولا استجلاب اثم، الا اعطاه الله تعالى بها احدى خصال ثلاث: اما ان يعجل له الدعوة، واما ان يدّخرها في الاخرة، واما ان يرفع عنه مثلها من السوء) (١)

فالدعاء يُشترط فيه:

اولاً: أن لا يؤدي الى التأثير السلبي على العلاقات الاجتماعية و بالذات الروابط الاسرية، فاذا دعا الانسان ربه ان ينتقم من احد اقربائه مثلاً، فان هذه الدعوة لا تُستجاب لانها تؤدي الى قطيعة رحم.

ثانياً: أن لا يجر الدعاء وراءه اثماً وذنباً، كأن يسأل الانسان أن يرزقه الله قنينة خمر-والعياذ بالله- أو أية دعوة اخرى تؤدي الى ارتكاب إثم أو جريرة. فانها لا تستجاب بالطبع، وحينما يدعو الانسان بدعاء ليس فيه قطيعة رحم، ولا يستجلب اثماً فان الموقف بازائه يكون احد ثلاث: اما ان يستجيب الله دعاءه و يعطيه ما يريد فعلاً، كأن يطلب الانسان من ربه بيتاً، فيهيء الله له الاسباب حتى يحصل على بيت يسكنه، واما ان يدّخر الله تعالى الاستجابة في الاخرة كأن يكتب له بيتاً

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٢٩٤

في الجنـة ولا يـستجيب له في الدنيا لسبب من الاسباب، واما ان يعوضه الله تعالى بان يدفع عنه بلاءً كان قد كُتب عليه..

اذن، فـفي كـل الاحوال فـان الانـسان لايخسر بدعائه شيئاً، بل هو الـرابح على اي حـال، ولـكـن مع ذلـك فـان الـكثير من الناس لايعتني بـالـدعـاء، ولايـعـقب صلواته بالادعية، وكأنه ليست له حاجة في الدنيا، ولايـواجـه ايـة مـشـكـلـة في حياته. ان علينا ان ندعو الله دائماً وابداً وان نسأله كل حاجاتنا ونطلب منه ان يكشف عنا السوء والبلاء.

لـيس هذا فحسب، وانما ايضاً علينا ان نطلب من اخواننا المؤمنين ان يدعوا لـنـا بـالخير والعافية والامن والامان، ذلك لان دعوة المؤمن في اخيه مـسـتـجـابـة، وعلينا ان لا نحتقر أية دعوة، أياً كان صاحب الدعاء، فقد جاء عن الامام علي (ع) انه قال:

(لا تـسـتـحـقـروا دعـوة احـدٍ، فـانـه يُستجاب لليهودي فيكم ولا يُستجاب له في نفسه)

فـاذا دعـا الـيهودي لمسلم بالخير لانه أسدى له خدمة معينة، فان هذه الدعوة تُستجاب، رغم إن دعوة اليهودي لنفسه لا تُستجاب.

٥ ـ شروط الدعاء

ـ: ماهي شروط الدعاء؟

ـ: نستطيع ان نستلهم شروط الدعاء من خلال الادعية القرآنية والادعية المأثورة التي سنتطرق اليها في الاحاديث القادمة، الا اننا في هذا الحديث نبحث عن شروط الدعاء من خلال احاديث الرسول واهل بيته عليهم افضل الصلاة والسلام.

الصلاة علىٰ محمد وآله

قال ابو عبد الله الصادق عليه السلام:

«لا يزال الدعاء محجوباً عن السماء
حتىٰ يصلىٰ علىٰ محمد وآل

محمد» (١)

ان العلاقة بين الانسان و بين الله هي علاقة المربوب بالرب، علاقة المخلوق بالخالق، وعلاقة الفقير الفاني بالحي القيوم، ولكن اسمىٰ انواع هذه العلاقة هي التي كانت بين الرسول (ص) واهل بيته المعصومين من جهة و بين ربهم الكريم من جهة اخرى، لقد كانوا عباداً مربوبين بلغوا في العبودية ذروتها، وفي الطاعة لله ارفع مستواها، ونحن حينما نذكر رسول الله ونصلي عليه وعلىٰ آله، انما نركز علىٰ هذه العلاقة، لنتخذ منها قدوة لانفسنا: كيف ينبغي ان تكون صلتنا بالله؟ واذا كانت صلتنا بالله صلة العبودية التامة والطاعة التامة، فكيف تكون صلة الله بنا؟ ترى حين تكون صلتنا بالله كصلة الرسول وصلة الائمة بربهم، فهل تكون صلة الله بنا مثل صلته بهم؟

لذلك ترانا نصلي علىٰ محمد وآل محمد، في كل صلواتنا، اذ ان من لم يصل علىٰ النبي وآله في صلاته، تبطل صلاته عند كثير من المذاهب الاسلامية.

ان هذه الصلاة تعني اننا نلقي الضوء علىٰ هذه العلاقة لكي نستلهم منها، فحينما نصلي علىٰ محمد وآله، فاننا من جهة ننفي عنهم صفة الالوهية باعتبار ان الصلاة تأتي من فوق، ومن جهة اخرى فان الصلاة علىٰ الرسول وآله تشير الىٰ ثلاث علاقات اولاً: رابطتنا بهذه الصفوة

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٣١٥

الميمونة باعتبارنا نحن الذين نصلي عليهم، وثانياً: علاقة الله بهم باعتبار ان ربنا سبحانه وتعالىٰ هو الذي يستجيب دعاءنا في ان يعطيهم الفضيلة والدرجة الرفيعة، وثالثاً: علاقتهم بالله باعتبارهم مربوبين ومكرمين، ولكن هنا يطرح السؤال التالي: ما هي علاقة الصلاة علىٰ النبي وآله بالادعية؟ لماذا الدعاء يكون محجوباً حتىٰ يصلي المرء علىٰ النبي وآله؟

الجواب هو: ان من يدعو للاخرين فان الله يستجيب له و يعطيه مثل ذلك، فقد جاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق(ع):

(دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب يسوق الىٰ الداعي الرزق، و يصرف عنه البلاء، و يقول له الملك: لك مثلاه)(١)

فحينما ندعو للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ونقول: **(اللهم صلِّ وسلم وبارك وتحنن وتفضل علىٰ محمد وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت وتحننت وتفضلت علىٰ ابراهيم وآل ابراهيم)**، فان الملائكة يقولون: ولك مثله، وتتفتح ابواب السماء امام هذا الدعاء، واذا انفتحت ابواب السماء لدعاء الخير، فان الادعية الاخرى تصعد مع ذلك الدعاء وتُستجاب، لذلك اذا اراد الواحد منا ان تستجاب دعوته فعليه ان يصلي علىٰ محمد وآله قبل ذلك، وفي حديث مروي عن الامام علي(ع) يكشف لنا عن العلاقة بين الصلاة

---

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٣٨٥

علىٰ النبي وآله و بين استجابة الدعاء، فيقول:

(إذا كانت لك الىٰ الله سبحانه
حاجة، فابدأ بمسألة الصلاة علىٰ
النبي وآله ثم سل حاجتك، فان الله
اكرم من ان يُسأل حاجتين يقضي
احدهما ويمنع الاخرىٰ)(١)

فالله الغني الكريم حينما يستجيب دعاءك في الصلاة علىٰ رسوله وآل بيت الرسول، فانه سوف يستجيب لك دعاءك الخاص بحوائجك، اذ ان الله تعالىٰ هو اكرم من ان يستجيب لدعاء، و يدعْ الاخر.

إذكرْ حاجاتك عند الدعاء

وجاء عن الامام الصادق(ع):

(إن الله تبارك وتعالىٰ يعلم ما يريد
العبد اذا دعاه ولكن يحب ان يبثّ
اليه الحوائج، فاذا دعوتَ فسمِّ
حاجتك، وما من شيء احب الىٰ الله
من أن يُسأل)(٢)

ونستلهم من هذا الحديث امرين:

---

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٣١٣

(٢): المصدر-ص ٣١٢

الاول: إن الانسان لا يصح ان يقول: الله تعالىٰ هو العليم بما في الصدور ولذلك فهو يعلم حوائجي ومشاكلي ولا داعي للدعاء والسؤال، كلا.. فعلىٰ الانسان ان يدعو ربه و يسأله، إذ (**ما من شيء أحب الىٰ الله من ان يُسأل**).

الثاني: لا يصح أيضاً ان يدعو الانسان ربه دعاءً عاماً، أيّ أن يكتفي بالقول: اللهم إقضِ ليّ حوائجي، بل عليه أن يسميها واحدة واحدة فالله (**يحب ان تبث اليه الحوائج**) بالأسماء والتفاصيل.

اما عن الحالة النفسية للانسان.. فكيف يجب ان تكون حينما يدعو ربه؟

نجد الجواب في الحديث المروي عن الامام الصادق:

(عليكم بالدعاء فانه شفاء من كل داء، واذا دعوت فظن حاجتك بالباب)(١)

فالانسان يدعو ربه بحالة نفسية وكأن الحاجة على الباب..

آداب الدعاء

للدعاء آداب عديدة تشير اليها الروايات والاحاديث المختلفة، نذكر هنا اهمها:

(١): المصدر ـ ص ٣٠٥

١) أن يكون الدعاء في السر، فالدعاء في العلن وفي صلاة الجماعة وامام الاخرين عمل جيد بلا شك، الا ان الدعاء في جوف الليل بين العبد وربه، فهو يختلف عن الدعاء الاول من حيث الاخلاص وعمق الاتصال بالله، لذلك يقول النبي (ص):

(دعوة السرّ تعدل سبعين دعوة في العلانية)(١)

٢) أن يدعو الانسان ربه في حالة الرخاء، الرفاه، وتواتر النعمة عليه ايضاً، وليس فقط عند ما تحدق به الكربات والمشاكل فحينما يدعو الانسان ربه وهو لا يشكو من اية امراض، او مشاكل او مصاعب في حياته، فان دعاءه يُستجاب، كما يؤثر هذا الامر في ان يستجيب الله دعاءه حين الكربات ايضاً، ذلك لان هذا يعني ان الانسان لم ينسَ ربه في حالة الرخاء والراحة، لذلك يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه:

(من سرّه أن يستجيب الله له في الشدائد والكرب فليكثر الدعاء عند الرخاء)(٢)

فعليك أن تعمق روابطك بالله في ايام الرخاء ايضاً، حتى يذكرك الباري عزوجل في ايام الشدة و يستجيب لك في الكربات..

٣) أن يقرن الدعاء بالعمل، اما الانسان الذي يجعل الدعاء تغطية

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٣١٢
(٢): المصدر-ص ٣١٢

للكسل، وتبريراً للخمول فان دعاءه لا يُستجاب.

لذلك جاء في حديث عن رسول الله (ص):

(الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)(1)

فالذي يرمي الرصاصة دون بندقية تنطلق منها، فان رميته هذه تكون هباءً ودون جدوى، اذ ان الرصاصة انما تؤثر اذا انطلقت من فوهة ثابتة، وكذلك الدعاء يبقى مجرد طقوس جافة وغير نافعة اذا لم يقترن مع العمل، فالعمل يُعتبر قاعدة ينطلق منها الدعاء المستجاب.

٤) أن يبدأ الانسان دعاءه اولاً بالثناء علىٰ الله والحمد والشكر له، ثم الصلاة علىٰ محمد واهل بيته، ثم يدعو بدعواته وحاجاته، وهذه الطريقة تكون اكثر ضماناً للاستجابة. روي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

(إياكم أن يسأل احد منكم ربه شيئاً من حوائج الدنيا والاخرة حتىٰ يبدأ بالثناء علىٰ الله تعالىٰ والمدحة له، والصلاة علىٰ النبي وآله، ثم الاعتراف بالذنب، ثم المسألة)(2)

---

(1): المصدر ــ ص ١٢

(2): المصدر ــ ص ٣١٢

من هنا ايضاً نشاهد ان الادعية المأثورة عن رسول الله واهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) تنتهج هذا الاسلوب، ولكن يحدث احياناً ان يستغرق الانسان المؤمن في الثناء والحمد لله، و يتفاعل مع الدعاء الىٰ درجة ينسى حاجاته الخاصة، فما هي النتيجة في هذه الحالة؟

عن هذا يجيب الحديث المروي عن الامام الصادق عليه السلام:

(إن العبد لتكون له الحاجة الى الله، فيبدأ بالثناء على الله، والصلاة على محمد وآله حتى ينسى حاجته، فيقضيها الله له)(١)

فالله سبحانه وتعالى يقضي حاجته، دون السؤال، لان الله يعلم بما في الصدور، ولان العبد انما نسي ذكر حاجاته بسبب استغراقه في الحمد والثناء والصلاة

روي عن الامام الصادق(ع) أنه اذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء فقد استوجب، واذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان علىٰ رجاء، وقد ادبنا رسول الله(ص) بقوله: **(السلام قبل الكلام)**(٢). فحينما ندعو الله، علينا ان نسبق دعاءنا بالسلام، ولكن كيف يكون السلام علىٰ الله؟

-: يكون ذلك بالحمد والثناء والتهليل والتمجيد..

٥) أن يدعو الانسان ربه وقد غمرته حالة من التذلل، والخشوع،

---

(١): المصدر ـ ص ٣٤٢

(٢): المصدر ـ ص ٣١٣

والخضوع، وليس في حالة من الغرور والتكبر والتعالي، وحتىٰ لو لم تحصل له حالة حقيقية من التذلل والخشوع، فعليه ان يتظاهر بذلك، جاء في الحديث المروي عن الامام الصادق(ع):

(إن الله تبارك وتعالىٰ اوحىٰ الىٰ موسى: اذا وقفت بين يدي، فقِف وقف الذليل الفقير)

وتشير بعض الروايات الىٰ ضرورة ان يرفع الانسان يديه اثناء الدعاء، ويمدهما امامه، و ينظر اليهما ولا ينظر الىٰ السماء، امعاناً في التذلل والخشوع.

٦) عدم الاكتفاء بحاجات الذات، وانما تعميم الدعاء الىٰ الاخرين، بل وتقديم اربعين مؤمناً في الدعاء، ثم التعرض للحاجات الخاصة، وهذا الاسلوب هو احد عوامل الاستجابة.

جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال:

(إذا دعا أحد فليعم، فانه أوجب للدعاء، ومن قدم أربعين رجلاً من اخوانه قبل ان يدعو لنفسه، أستجيب له فيهم وفي نفسه)(١)

---

(١): المصدر ـ ص ٣١٣

٧) أن يصوم الانسان في الشدائد والحاجات، فانه يساعد على استجابة الدعاء، وقال الامام ابوالحسن عليه السلام بهذا الشأن:

(إذا نزل بالرجل الشدة والنازلة فليصم، فان الله يقول: «إستعينوا بالصبر والصلاة»، والصبر هو الصوم، قال: دعوة الصائم تُستجاب عند إفطاره)(١)

فالصائم الذي قاوم طوال النهار شهواته، يتمتع بروح اكثر شفافية عند نهاية الصوم، و بذلك يكون اقدر على تعميق الاتصال الروحي بالله، لذلك فان رحمة الله تنزل عليه، و يُستجاب دعاؤه، من هنا فان على الانسان ان يستغل لحظات الافطار في ايام شهر رمضان المبارك للدعاء ليس للذات فقط، وانما قبل ذلك لاخوانه المؤمنين و بالذات الذين يواجهون الطواغيت في السجون والمعتقلات، وان يدعو للمجاهدين المسلمين في كل جبهات الصراع بين الحق والباطل.

٨) أن تكون بينك و بين الله اعمال صالحة تدعو الله سبحانه وتعالى على اساسها، وتجعلها وسيلة للتقرب الى الله، اذ ان الاعمال الصالحة تسبب بالطبع نشوء علاقة حسنة وايجابية بين العبد وربه، فاذا وضع العبد اعماله الصالحة بين يدي الله وسأله ان يعطيه حاجته فان احتمالات الاستجابة تتضاعف، وفي هذا المجال نشير الى رواية مفصلة مروية في

(١): المصدر-ص ٣١٣

كتاب البحار:

«أن ثلاثة نفر كانوا يمشون في صحراء إلىٰ جبل فأخذتهم السماء فألجأتهم الىٰ غار كانوا يعرفون، فدخلوه يتوقّون به من المطر، وكان فوق الغار صخرة عظيمة تحتها مدرة هي راكبتها، فابتلّت المدرة فتدحرجت الصخرة، فصارت في باب الغار فسدَّت وأظلمت عليهم المكان، وقال بعضهم لبعض، قد عفا الأثر، ودرس الخبر، ولا يعلم بنا أهلونا، ولو علموا ما أغنوا عنّا شيئاً لأنه لا طاقة للآدميّين بقلب هذه الصخرة عن هذا الموضع، هذا والله قبرنا الذي فيه نموت ومنه نحشر.

ثمَّ قال بعضهم لبعض:

أو ليس موسى بن عمران ومن بعده من الانبياء (عليهم السلام) أمروا أنه إذا دهمتنا داهية أن ندعو الله بمحمد وآله الطيبين؟ قالوا: بلىٰ، قالوا: فلا نعرف داهية أعظم من هذه، فقالوا: ندعو الله بمحمد وآله الطيبين و يذكر كلُّ واحد منّا حسنة من حسناته التي أراد الله بها فلعلَّ الله أن يفرِّج عنّا.

فقال أحدهم: اللهمَّ إن كنت تعلم أنّي كنت رجلاً كثير المال، حسن الحال أبني القصور، والمساكن والدور، وكان لي أُجراء وكان فيهم رجل يعمل عمل رجلين، فلمّا كان عند المساء عرضت عليه أُجرة واحدة، فامتنع، وقال: إنّما عملت عمل رجلين، فأنا أبغي أُجرة رجلين فقلت له: إنّما شرطت عليك عمل رجل والثاني فأنت به متطوِّع لا أُجرة لك، فذهب وسخط ذلك، وتركه عليَّ، فاشتريت بتلك الأُجرة حنطة فبذرتها، فزكت ونمت، ثمَّ أعدت بعد ما ارتفع من الارض فعظم زكاؤها ونماؤها ثم أعدت بعد مرتفع من الثاني في الأرض فعظم الزكاء والنماء ثمَّ ما زالت هكذا حتىٰ عقدت به الضياع والقصور والقرى والدور والمنازل والمساكن، وقطعان الابل والغنم وصُوّار العنز والدوابّ والأثاث والأمتعة

والعبيد والاماء والفراش والالات والنعم الجليلة، والدراهم والدنانير الكثيرة.

فلمّا كان بعد سنين مرّ بي الاجير، وقد ساءت حاله، وتضعضعت واستولىٰ عليه الفقر، وضعف بصره، فقال لي: يا عبد الله أما تعرفني؟ أنا أجيرك الذي سخطت أُجرة واحدة ذلك اليوم، وتركتها لغنائي عنها، وأنا اليوم فقير، وقد رضيت بها فأعطنيها، فقلت له: دونك هذا الضياع والقرى والدور والقصور والمساكن وقطعان الابل والبقر والغنم وصُوار العنز والدوابّ والأثاث والأمتعة والعبيد والاماء والفراش والآلات والنعم الجليلة والدراهم والدنانير الكثيرة، فتناولها إليك أجمع، مباركة لك، فهي لك.

فبكى وقال: يا عبد لله سوَّفت حقّي ثمّ الان تهزأ بي فقلت: ما أهزأ بك وما أنا إلاّ جادٌّ مجدٌّ، فهذه كلّها نتائج أُجرتك تلك، تولّدت عنها، فالأصل كان لك، فهذه الفروع كلّها تابعة للأصل فهي لك فسلمتها أجمع، اللهمَّ إن كنت تعلم أنّي إنما فعلت هذا رجاء ثوابك، وخوف عقابك، فافرج عنّا بمحمد الأفضل الأكرم سيّد الأوّلين والآخرين الذي شرّفته بآله أفضل آل النبيّين، وأصحابه أكرم أصحاب المرسلين، وأمّته خير الأُمم أجمعين. قال (عليه السلام): فزال ثلث الحجر ودخل عليهم الضوء.

وقال الثاني: اللهمَّ إن كنت تعلم أنّه كان لي بقرة أحتلبها ثمّ أروح بلبنها علىٰ أُمّي ثمَّ أروح بسؤرها علىٰ أهلي وولدي، فأخّرني عائق ذات ليلة، فصادفت أُمي نائمة، فوقفت عند رأسها لتنتبه لا أنتبهها من طيب وسادها، وأهلي وولدي يتضاغون من الجوع والعطش، فما زلت واقفاً لا أحفل بأهلي وولدي حتّى انتبهت هي من ذات نفسها وسقيتها حتّى رويت، ثمَّ عطفت بسؤرها علىٰ أهلي وولدي اللهمَّ إن كنت تعلم أنّي إنّما فعلت ذلك رجاء ثوابك، وخوف عقابك، فافرج عنّا بحقِّ محمد الأفضل الأكرم سيّد الأولين والآخرين، الذي شرّفته بآله أفضل آل النبيين، وأصحابه أكرم صحابة المرسلين، وأمته خير الأُمم أجمعين، قال (عليه

السلام): فزال ثلث آخر من الحجر وقوي طمعهم في النجاة.

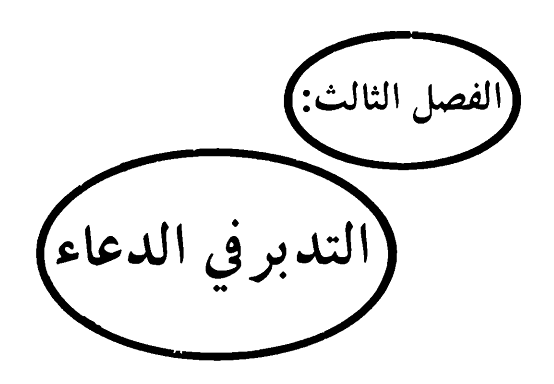
وقال الثالث: اللهمَّ إن كنت تعلم أني هويت إمرأة في بني إسرائيل فراودتها عن نفسها، فأبت علَيَّ إلاّ بمائة دينار، ولم أكن أملك شيئاً فما زلت أسلك براً وبحراً، وسهلاً وجبلاً، وأُباشر الأخطار، وأسلك الفيافي والقفار، وأتعرَّض للمهالك والمتالف، أربع سنين، حتّىٰ جمعتها وأعطيتها إيّاها وأمكنتني من نفسها فلمّا قعدت منها مقعد الرجل من أهله، ارتعدت فرائصها، وقالت لي: يا عبد الله إني جارية عذراء فلا تفضَّ خاتم الله إلاّ بأمر الله عزَّوجلَّ، وإنّما حملني علىٰ أن أُمكّنك من نفسي الحاجة والشدَّة، فقمت عنها وتركتها، وتركت المائة الدينار عليها، اللهمَّ إن كنت تعلم أني إنّما فعلت ذلك رجاء ثوابك وخوف عقابك، فافرج عنّا بحقِّ محمد الأفضل الأكرم سيّد الأولين والآخرين، الذي شرَّفته بآله أفضل آل النبيين وأصحابه أكرم أصحاب المرسلين وأُمته خير الأُمم أجمعين، قال: فزال الحجر كلّه، وتدحرج وهو ينادي بصوت فصيح بيّن يعقلونه ويفهمونه: بحسن نياتكم نجوتم، وبمحمد الأفضل الأكرم سيّد الأوَّلين والآخرين المخصوص بآله أفضل آل النبيّين، وبخير أُمته سعدتم ونلتم أفضل الدرجات»(١)

فالله تعالىٰ إستجاب للرجال الثلاثة وفرّج عنهم بسبب اعمالهم الصالحة اذ كان احدهم قد اهتم باموال الناس واستثمرها ثم اعادها لصاحبها.

والثاني كان كثير الاحترام والحب لوالديه، والثالث كان قد اقترب من الزنا، ولم يدع ذلك الا خوفاً من الله، وهكذا تكون الاعمال الصالحة عنصراً فعالاً في إستجابة الدعاء.

---

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ١٣



الفصل الثالث:

التدبر في الدعاء

١ ــ مفردات الدعاء.
٢ ــ الخطوات الاساسية في التدبر.
٣ــ التدبر في الذكر.

١ ــ مفردات الدعاء

الأدعـية المأثورة عن النبي(ص) أو الأئمة الهداة إنما هي استلهام عن القـرآن الحـكـيـم، وتـعبير آخر عن ذات الأفكار والمفاهيم التي عبر عنها الـذكر الحكيم بلغته الخاصة، وهي في ذات الوقت تعبير عن الأدعية التي نزلت في العصور السابقة قبل الاسلام، وهذه الأدعية التي نقلت إلينا عبر الـرواة الـثـقـات، بـل تـداولتها الألسن والأ يدي جيلاً بعد جيل، هي في الـواقـع تـشـكـل صـدى المـعـارف القرآنية. فحينما أنزل القرآن على تلك القلوب النقية الطاهرة، والتي أشربت بمعارف الكتاب العزيز، انعكست هـذه المـعـارف على ألـسـنـتهم وعبروا عنها بالأدعية المأثورة، فهي إذن لا يمـكـن أن تُفصل عن القرآن الحكيم، وأشد ما يدهش الانسان هو: كيف ان المـسـلـمين انـتـبـهـوا الى ضـرورة تـفسير القرآن بالأحاديث، باعتبارها جـاءت مـفـسرة للـقـرآن وهـي تـعـبير عما تلقاه الرسول الكريم(ص) والأئمة(ع) من معارف القرآن، ولكنهم لم ينتبهوا الى أهمية تفسير القرآن

بالدعاء، علماً بأن كثيراً من آيات القرآن هي ذكر ـ كما صرح القرآن ـ و بصيرة وهدى وتزكية للنفوس، وهذه المفردات تشكل مضامين الأدعية المأثورة كما سنبين ذلك فيمايأتي:

ان الأدعية المأثورة تركز ـ في الأغلب ـ على مفردات معينة تعبّر عن المفاهيم والمعارف القرآنية، ومعرفة هذه المفردات ركن من أركان التدبر في الدعاء ونحن نشير الى هذه المفردات أولاً ثم بعد ذلك سنشير الى بعض أساليب التدبر في الدعاء الذي يشبه الى حد بعيد التدبر في القرآن الحكيم وتحتوي الأدعية المأثورة عادة على المفردات التالية:

الأولى: الذكر

ذكر الله سبحانه وتعالى أمر يؤكد عليه القرآن الحكيم في كثير من آياته المباركة، ففي الآية (٤١) من سورة الأحزاب نقرأ:

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً

(٤١/ الاحزاب)

(وفي سورة البقرة):

واذكروه كما هداكم

(١٩٨/ البقرة)

والـذكـر يـكـون مـتـبادلاً بين العبد وربه فحينما يذكر الانسان رب العالمين، فان الله تعالىٰ يذكره أيضاً:

فـاذكـروني أذكركم، واشكروا ليّ ولا تكفرون

(١٥٢/ البقرة)

وفلسفة الذكر تأتي من أنه يعمل على زرع حب الله في الانسان فلا يـكـفـي أن يعرف الانسان ربه، وإنما لابد أن يحب الله، واذا وصل العبد الى مـرحلة الحب لله، واعتمر قلبه بمحبة الله سبحانه وتعالىٰ فان الطاعات تتسم بطابعين:

أولاً:

تـصبـح الـطاعات ذات محتوى حقيقي، فالصلاة تصبح فعلاً معراجاً لـلانـسـان، والـصـوم صبراً، ومعيناً على مصاعب الحياة، وكل الطاعات تصبح ذات معنى ومحتوى، بعد ان كانت مجرد قشور بلا محتو يات.

ثانياً:

تجري الطاعات من جوارح الانسان بصورة طبيعية، كما يجري السيل مـن أعلىٰ التل. جاء في بعض الأحاديث ان رسول الله (ص) كان يجلس الى الـصـلاة قـبـل وقـتـهـا، ثـم يـنظر الى السماء بحثاً عن علامات وقت الصلاة، فاذا حان الوقت الشرعي، يقول: يابلال أرحنا بالصلاة. فحينما يـكـون رسول الله على موعد مع ربه سبحانه وتعالىٰ ينتظر هذا الموعد بفارغ الـصـبـر حـتـى اذا دخـل الـوقت صاح ببلال لكي يؤذن للصلاة. وهكذا

يصبح المحب متشوقاً لطاعة الله. بل و يرى راحته وسعادته في الاستجابة لنداء ربه.

وحينما يحب العبد ربه فان الله يحبه أيضاً، واذا أحب الله أحداً فان ملائكة الله وأولياءه يحبونه، وكذلك الصخور في الأرض والمياه في البحار، والهواء في الفضاء وكل الطبيعة ستحبه، وهكذا يعيش الانسان في مهرجان الحب، يعيش في عائلة واحدة مع الكون عضواً محبوباً وليس عضواً شاذاً، والدعاء الذي يحتوي على ذكر الله، يؤدي الى خلق هذا الحب في القلوب.

الثانية: العقائد

الدعاء يعمل على ترسيخ العقائد في قلب الانسان. فليس كل مسلم يُعتبر مؤمناً أيضاً، ذلك لأن الايمان يعتبر مرحلة متقدمة عن الاسلام، والقرآن وضع شروطاً معينة للايمان.

*إنما المؤمنون الذين اذا ذُكِر الله،
وجلت قلوبهم، واذا تليت عليهم آياته
زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون*
(٢/ الانفال)

* قد أفلح المؤمنون* الذين هم
في صلاتهم خاشعون* والذين هم
عن اللغو معرضون* والذين هم

للـزكاة فاعلون* والذين هم لفروجهم حافظون*

(١ـ٥/ المؤمنون)

هذه صفات المؤمن وقليلاً ما تتواجد فينا. فكيف نرتقي باسلامنا الى درجة الايمان، و بايمانـنا الى درجة اليقين، و بيقيننا الى درجة الكمال، و بكمالنا الى العاقبة الحسنة؟.

إنما يـكـون ذلك عبر الأدعية المأثورة والتي تحتوي عادة على تنزيه الله سبـحـانـه وتـعـالـىٰ وتـسبيحه، وتحميده، والثناء عليه، هذا على صعيد الايمـان بـالله. ثـم بـعـدئـذ يـتـطـرق الدعاء للصلاة على النبي محمد(ص) وذكـره والثناء عليه، و بيان حميد صفاته، مما يعمق إيمانك بالنبي اكثر من ذي قبـل، فـتـحـب الـرسـول وتؤمن بإرسالته، كما و يثني على اهل بيت الـنـبـي(ص)•وتحـتوي الأدعية على كلام كثير عن القرآن، وأهميته، وعن طـريـقـة التدبر فيه وتلاوته، وانشراح الصدر بقراءته. وأخيراً فان الأدعية فيها الكثير من الحديث حول الآخرة وجزاء الانسان في يوم الدين، وهكذا فـان الـدعـاء يؤدي دوراً أساسياً في ترسيخ عقائد الانسان بالله، ورسالته، والرسول والقرآن والمعاد.

الثالثة: التزكية

يـعـمـل الـدعـاء أيـضـاً على تزكية النفس، وتطو ير تطلعات الانسان واصلاح أهـدافـه في الحـيـاة. فـلكل انسان أهداف معينة في الحياة سواء

كانت كبيرة أو صغيرة، حسنة أو سيئة. والأدعية تسعى من أجل تغيير أهداف الانسان نحو الأفضل والأكمل.

أو بتعبير آخر: تغيير الاطار العام لحياة الانسان ذلك لأن الانسان حينما يضع لنفسه هدفاً معيناً فانه يسعى للوصول إليه، ومن أجل ذلك فانه يقولب حياته طبقاً لذلك الهدف.

إذن فان الاستراتيجية العامة لحياة الانسان يحددها هدفه في الحياة، وهذا الهدف يختلف من فئة لأخرىٰ فبعض الناس يبغون الوصول الى الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالىٰ، بينما البعض الآخر يبغي الحصول على الكرسي والمنصب، أما البعض الثالث فانه يبغي الوصول الى الثروة. وتأتي الأدعية لكي تزكي نفس الانسان، وترفع همته، وتجعله يتطلع الى الأعلىٰ، حتى لا تخبو شعلة التطلع في قلبه وهو يرتطم بمشاكل الحياة، فالكثير من البشر يتطلعون الى تحقيق طموحات كبيرة حينما يكونون صغاراً أو شباباً، لكن الاصطدام بمشاكل الحياة، ومواجهة الصعوبات والمشاق تؤدي الى ضمور طموحاتهم وانطفاء شعلة الطموح في قلوبهم فتتحول الطموحات شيئاً فشيئاً الى اماني بعيدة، ثم هذه الأماني -بدورها- تتبخر و يصبح الانسان بذلك مجرد . م بدون روح وتطلع.

فالمسألة إذن هي تغيير طموحات الانسـ ن ورفعها الى مستوى الطموحات الانسانية الكاملة.. الى مستوىٰ انسانية الانسان وكرامته، وهذا من أهداف الأدعية المأثورة.

الرابعة: الأخلاق

و يقوم الدعاء بتزكية النفس تجاه اصلاح أخلاق الانسان وآدابه. والأخلاق مبنية على أساس اصلاح نفس الانسان وطموحاته، وحينما تصبح طموحات الانسان شريفة وفاضلة فان أخلاقه تنبع من الأرضية الصالحة.

الخامسة: العمل الصالح

والدعاء في مجمله هو دعوة الانسان الى الأعمال الصالحة كالصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واصلاح ذات البين والانفاق وما شابه.

ففي أدعية شهر رمضان ــ على سبيل المثال ــ نقرأ هذه الفقرة:

[اللهم اني أسألك أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام المبرور حجهم، المشكور سعيهم المغفور ذنوبهم، المكفّر عنهم سيئاتهم].

والملاحظ هنا هو ان الدعاء لا يقتصر على جعل طموح الانسان متجهاً نحو الحج باعتباره واجباً وهو الجهاد الضعفاء، وإنما أكثر من ذلك يحدد برنامج الحج وما هو الهدف من الحج؟

هذا بالاضافة الى ذكر الجهاد في كثير من الأدعية كوظيفة أساسية

من وظائف الانسان المؤمن، ونقرأ في أدعية شهر رمضان:

[وقتلاً في سبيلك فوفق لنا..].

هـذه هـي مجـمـل المفردات التي نستطيع أن نستوحيها ونستلهمها من الأدعية المأثورة وهي تعكس بشكل من الأشكال مجمل المعارف القرآنية.

٢ ـ الخطوات الاساسية في التدبر

سبق وأن ذكرنا ان الأدعية تحتوي ـ عادة ـ على عدة مفردات هي: الذكر، وترسيخ العقائد الاسلامية، وتوضيح نية الانسان أو اصلاح أهدافه وتزكية نفسه، وتعليمه الأخلاق والآداب الحسنة، وتشجيعه بالتالي على الأعمال الصالحة وعلى كيفية أدائها هذه هي المفردات الخمس التي تشكل الهيكل العام للأدعية المأثورة، إلا أن (الذكر) يشكل الصبغة العامة لكل الأدعية، ولجميع مراحل الدعاء، فحتى عندما يشجعنا الدعاء على الأعمال الصالحة أو يزكي نفوسنا، فانه يفعل ذلك عبر (الذكر) فالذكر بالرغم من انه مفردة واحدة الى جنب سائر المفردات، إلا أنه في نفس الوقت الصبغة العامة لكل المفردات الأخرى أيضاً، وتُعتبر معرفة هذه المفردات والتفتيش عنها الخطوة الأولى والأساسية من التدبر في الدعاء، أما الخطوات الأخرى فانها تتشابه الى حد بعيد مع تلك الخطوات التي يجب اتباعها لدى التدبر في القرآن

الحكيم، لأن لغة الأدعية شبيهة الى حد بعيد بلغة القرآن فهي دون القرآن مستوىٰ، وفوق كلام المخلوقين جميعاً، و بعض هذه الأدعية حسب ما نعرف إنما هي أحاديث قدسية رو يت عن الله سبحانه وتعالىٰ عبر النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، و بعضها ترجمة حقيقية للأدعية المأثورة في الكتب الالهية السابقة كزبور داود (عليه السلام).

ان الخطوات التي نتبعها لدىٰ التدبر في القرآن وكذلك الأدعية هي بايجاز كالتالي:

١ــ التدبر في السياق، لمعرفة جزئيات وخصوصيات العلاقة بين الكلمة الأولىٰ والكلمة الثانية في القرآن أو في الدعاء، وهكذا بين كل جملتين، و بين كل آيتين في القرآن، وفقرتين في الدعاء. وهذه العلاقة هي أما علاقة واقعية خارجية، وأما علاقة نفسية، مثلاً نجد ان العلاقة في الفقرتين التاليتين من (دعاءالافتتاح) هي علاقة واقعية:

[اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك،
وأنتَ مسدِدٌّ للصوابِ بمنك..]

فالعلاقة بين (الافتتاح) و(حمدالله) هي علاقة واقعية، لأننا من دون نعم الله التي يستوجب بها حمداً متجدداً، لا نستطيع أن نفتتح حديثنا. أوليس اللسان من الله؟ والعقل والايمان والتوفيق من الله؟ ثم لنتأمل فقرة:

[وأنت مسدِدٌّ للصوابِ بمنك]

انها تدل على ان الانسان قد يفتتح حديثه ببداية صائبة إلا أنه سرعان ما ينحرف بالافراط أو التفريط، والله سبحانه وتعالىٰ هو القادر على أن يسدده للصواب.

إذن فالعلاقة بين الفقرتين الأولىٰ والثانية في مبتدأ دعاء الافتتاح هي علاقة واقعية خارجية وقد تكون العلاقة نفسية تربوية تعيشها نفس الانسان وتحتاجها في عملية التزكية كالعلاقة بين كل جملتين من الفقرة الثالثة من دعاء (مكارم الأخلاق).

[اللهم وأوسع علي في رزقك، ولا تفتني بالنظر، واعزني ولا تبتليني بالكبر، وعبّدني لك ولا تُفسد عبادتي بالعجب واجر للناس على يديّ الخير ولا تمحقه بالمن، وهب لي معالي الأخلاق، واعصمني من الفخر..]

فالعلاقة بين «وهب لي معالي الأخلاق» و بين «واعصمني من الفخر» بالاضافة الى انها علاقة خارجية واقعية فهي علاقة نفسية، لأن الانسان الذي يملك معالي الأخلاق لابد أن يحذر من «الفخر» لأن الفخر يهدد عادة ذلك الرجل الذي يتصف بمعالي الأخلاق، كما ان الذي يكثر من العبادة لابد أن يحذر من العجب لأن العجب يأتي عادة بعد كثرة العبادة.

[وعبّدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب]

وهكذا الذي يجري الله على يديه الخير للناس لابد أن يحذر من المنّ، لأن المن يأتي عادة بعد هذه الصفة.

إذن فالعلاقة بين الفقرات المذكورة هي علاقة نفسية ترتبط بواقع نفس الانسان، وهكذا الأمر بالنسبة الى الدعاء المأثور عن النبي (ص) بمناسبة ليلة النصف من شعبان نقرأ في هذا الدعاء:

[اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ماتبلغنا به رضوانك، ومن اليقين ما يهون علينا به مصيبات الدنيا، اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا]

بالتدبر في هذا الدعاء نكتشف ان الفقرات الثلاث الأولى تتحدث عن مراحل كمال الانسان من خشية الله الى طاعة الله والى اليقين ثم في الفقرات التالية نجد الحديث عن الأهداف المادية للانسان مثل: الصحة والعافية ثم الأهداف الاجتماعية، ثم التطلعات البعيدة للانسان، ونجد ان هذا التدرج مرتبط بنفس البشر، باعتبار ان الانسان الذي لا يملك الخشية من الله، ليس من المستحسن أن يطلب من الله الطاعة، لأن

الطاعة تأتي بعد الخشية، والذي لا يملك الطاعة لله ليس من الصحيح أن يطلب اليقين لأن الطاعة تأتي قبل اليقين، والذي لم يكمل بناء نفسه ولم يحصل على درجات الخشية والطاعة واليقين ليس من الصحيح أن يفكر في عينه وأذنه و يده، لأن الصحة الجسمية تأتي أهميتها ودورها بعد الصحة النفسية والتكامل الروحي للانسان، ومن لا يملك العين والأذن واليد وسائر الجوارح السليمة، ليس من المستحسن أن يدعو الله سبحانه وتعالىٰ بأن يرزقه القوة ضد أعدائه. لأن قوة الانسان تأتي من خلال امتلاكه العين، واليد، والأذن وما أشبه والذي لم ينتصر بعد على الظالم الداخلي، ليس من الصحيح أن يفكر في الانتصار على الظالم الخارجي، لأن الانسان يستطيع أن ينتصر على الظالم الخارجي بعد الانتهاء من الظالم الداخلي، من هنا فان الدعاء يقول:

[واجعل ثارنا على من ظلمنا]

ثم يقول:

[وانصرنا على من عادانا]

وهكذا نلاحظ ان التدرج في الدعاء اما يرتبط بالتدرج التربوي، واما بالتدرج الخارجي الواقعي، إذن فالخطوة الأولىٰ هي التدبر في السياق لاكتشاف العلاقة الواقعية أو النفسية بين فقرات الدعاء المختلفة.

٢ــ ملاحظة ظلال الكلمات: إذ أن الكلمات بالاضافة الى

معانيها القريبة، تحتوي على ظلال توحي الينا بمجموعة أفكار معينة، مثلاً.

[اللهم اني أفتتح الثناء بحمدك]

لماذا لم يقل «أفتح الثناء»؟ لأن هناك فرقاً كبيراً بين (أفتتح) و (أفتح) في الظلال وان كانت متقاربة في المعنىٰ، وكذلك فقرة:

[وأنت مسدد للصواب بمنك]

لماذا لم يقل: «وأنت مسدد للسليم..» مثلاً؟ إذ أن الصواب في الفكر والسلامة في الجسم، هكذا فان كل كلمة تحمل ـ بالاضافة الى جوهر معناها ـ ايحاءات خارجية لابد أن نجعلها ضمن تدبرنا فقد جاء في الحديث الشريف:

«أعربوا كلامنا»

أي حاولوا أن تفهموا كلامنا بعمق. وجاء في حديث آخر مروي عن الامام الصادق عليه الصلاة والسلام:

«الفقيه كل الفقيه من عرف معاريض كلامنا»

أي آفاق كلامنا. فالرسول (صلىٰ الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرون الذين تركوا لنا مجموعة الأدعية المأثورة، كانوا يتمتعون بأعلىٰ

درجات البلاغة والتي تعني استخدام الكلمة في موضعها الخاص بالضبط دون أي كلمة أخرى، وهناك خطوات أخرى مشتركة في التدبر لا يسع البحث الاشارة اليها، إلا أن هناك خطوة تختص بالتدبر في الدعاء، وهي:

٣ــ التدبر في أوقات الدعاء: ان الدعاء يختلف عبر مناسبات عديدة فهناك أدعية النهار، وهناك أدعية الليل، وهناك أدعية المناسبات الدينية، وأدعية المناسبات الطبيعية، وأدعية مرتبطة بتطورات جسم الانسان، وهناك أدعية مرتبطة بتطورات روح الانسان، بل وأكثر من ذلك نجد ان لكل يوم دعاءً خاصاً، وليس عبثاً تخصيص دعاءٍ ما لوقت معين أو حالة خاصة. ان هنالك علاقة وثيقة بين الأدعية و بين المناسبات والأوقات التي خصصت لها. بحيث لو غيّرنا الوقت أو المناسبة لفقدنا هذه العلاقة و بالتالي ميزة الدعاء. فمثلاً نحن نقرأ دعاء (الافتتاح) في أول الليل من ليالي شهر رمضان، ودعاء (أبي حمزة الثمالي) في السحر، وأدعية أخرى خاصة بالنهار، فلو قرأ الانسان في وقت الظهر مثلاً دعاء (أبي حمزة الثمالي) لم يتلذذ بمناجاة الله بمثل ما لو قرأ هذا الدعاء في وقت السحر، و بالعكس لو قرأ أدعية النهار في آخر الليل. ان أدعية النهار تتناسب مع جو الصخب، بينما أدعية الليل تتناسب مع جو الهدوء والخشوع، وهكذا الأمر بالنسبة لمختلف الأوقات والمناسبات.

إذن فعلينا التدبر في هذا الجانب من الأدعية، حتى نكتشف حقيقة العلاقة بين الأوقات والمناسبات، و بين الأدعية، وقد نستطيع الحصول

على معارف قرآنية والهية كثيرة ومتنوعة.

واذا أمعنا في أدعية الأيام -على سبيل المثال- لوجدنا أنها تبدأ في الغالب بالحديث عن الطبيعة وربطها بخالقها ومبدعها ومنشئها وهو الله سبحانه وتعالىٰ، ففي دعاء يوم الاثنين، نقرأ:

[الحمد لله الذي لم يشهد أحداً حين فطر السموات والأرض، ولا اتخذ معيناً حين برأ النسمات]

ونقرأ في بداية دعاء يوم الأربعاء:

[الحمد لله الذي جعل الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشورا]

أما في دعاء يوم الخميس فنقرأ:

[الحمد لله الذي أذهب الليل مظلماً بقدرته، وجاء بالنهار مبصراً برحمته، وكساني ضياءه وأنا في نعمته]

وفي دعاء يوم الجمعة نقرأ الفقرة التالية:

[الحمد لله الأول قبل الانشاء والاحياء، والآخر بعد فناء الأشياء]

وهنا نلاحظ ان لغة الدعاء في يوم الجمعة اختلفت عن لغة الدعاء في

الأيام الأخرى إذ انها بدأت باستعراض العقائد الاسلامية و بالذات مسألة التوحيد، وكذلك الأمر بالنسبة الى أدعية الحالات المختلفة، إذ أننا نجد هناك علاقة متينة بين تلك الحالة و بين الدعاء، مثلاً الدعاء المأثور لحالة الغضب تتناسب لغته مع هذه الحالة إذ يذكر الانسان بغضب الله، وقدرته وجبروته حتى يخشع قلب الانسان وتنطفيء سورة غضبه، والدعاء الذي يقرؤه الانسان حينما يرزقه الله ولداً يحتوي على الشكر لله، ثم يشير الدعاء الى ان هذا المولود سيرث الوالد، لكي ينبهه على توارد الأجيال، وان قدوم الجيل الجديد يأذن برحيل الجيل السابق فعليه أن يستعد لتوديع الحياة.

فنجد ان الدعاء يتناسب مع الحالة النفسية للانسان، وانه يشير الى نقطة واقعية تتفاعل معها روح الانسان. وحينما ينظر الانسان الى الهلال في أول الشهر يقرأ الدعاء التالي:

[أيها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير، المتصرف في فلك التدبير، آمنتُ بمن نوَّر بك الظلم، وأوضح بك البهم، وجعلك آية من آيات ملكه.. الخ]

هنا أيضاً نلاحظ العلاقة المتينة والتناسب الكامل بين لغة الدعاء، و بين المناسبة.

فكل دعاء يأتي لمناسبة، يهدف تغيير واقع من نفس الانسان،

وربطه بواقع في الطبيعة، وبالحقائق الكونية، إذن فان من أهم البرامج الأساسية للتدبر في الدعاء هو ربط الدعاء بالمناسبة التي جاءت فيها ومن أجلها، واكتشاف العلاقة بينهما.

٣ــ التدبر في الذكر

يقوم (الذكر) في الدعاء على اساسين هامين:

الاساس الأول: معرفة الله

الاساس الثاني: معرفة النفس.

فما هي العلاقة بين معرفة الله، ومعرفة النفس؟ ولماذا جاء في الحديث الشريف:

(من عرف نفسه فقد عرف ربه)

الجواب: لانه حسب المنظور الاسلامي ان في هذا الوجود شيئين لا ثالث لهما. شيئان متمايزان عن بعضهما تمام التمايز:

ـ: الله الخالق الرازق الباريء المصور له الاسماء الحسنى.

-: وخلق الله سبحانه وتعالى.

واقول شيئين لمجرد التعبير لانني لا أجد تعبيراً اخر استطيع ان اطلقه في هذا المجال، وليس بين هذين الشيئين درجات وطبقات، اي لا يوجد بين الله الخالق، و بين الخلق: أنصاف آلهة.

فكل شيء ما سوى الله، مخلوق مربوب ضعيف بالذات، عاجز بالذات، محدود بالذات، وربنا هو القيوم عليه، وهو الغني والحي بالذات القاهر فوق عباده.. الغني عن الخلائق القيوم في شأن المخلوقين، و يصح ان نطلق على الله كلمة شيء ولكن بهذا المفهوم، لاباثبات الشيئية له، وانما فقط نقول: (شيء لا كالاشياء)، لان التعابير تظل عاجزة عن الاداء حينما تصل الى افق الخالق سبحانه وتعالى. فكل الالفاظ تعجز عن ان تصف ربنا سبحانه وتعالى، او ليست الالفاظ بالتالي من صنعنا وفي مستوانا نحن البشر؟ فكيف تصف الالفاظ المخلوقة ذلك الخالق السامي الشامخ السامق، الذي كلت العقول عن وصفه وسمت العقول الا اليه؟ نقول لله (شيء) لمجرد التعبير عن انه غير معدوم وغير مفقود وغير عاجز، و يكفينا ان نثبت لله سبحانه وتعالى خلوه عن صفات العجز، اما اثبات صفات الكمال بصورة نتوهم معنا تلك الصفات، فهذا لا يجوز بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى، نحن نستطيع (اخرا[illegible] حد التعطيل) فقط. وحينما نقول: (الله موجود) يعني انه غير مفقود وحينما نقول: (الله غني) نعني به أنه غير عاجز، أما ما هو غناه؟ كيف هو غناه؟ هذه قضايا لا تصل اليها عقولنا، كيف وان العقول قد عجزت عن معرفة المخلوقات

فكيف بالخالق سبحانه وتعالى، اذن ففي هذا الكون شيئان: (شيء لا كالاشياء) وهو الله الخالق سبحانه وتعالى، وشيء اخر هو المخلوق لله، واذا اردنا ان نثبت صفة لربنا سبحانه وتعالى، فلابد ان ننفي عنه صفة المخلوقين فاذا راينا المخلوق عاجزاً، نقول ان ربنا غني عن العجز، واذا رأينا المخلوق ضعيفاً، نقول: ان ربنا غني عن الضعف، اذا رأينا المخلوق محدوداً بوقت نقول: إن ربنا لا حد له، واذا رأينا المخلوق محدوداً بمكان نقول: ان ربنا لا مكان له، ولا نستطيع باي شكل من الاشكال ان نقول: علامَ؟ وفيم؟ ولِمَ؟ ومتى ؟ وكيف؟ فهذه الكلمات تتساقط كلها امام عزة الله وجلاله وغناه سبحانه وتعالى.

اذن، فاذا لم يكن في الحياة الا شيئان: الخالق والمخلوق، فكلما عرف الانسان حقيقة مخلوقيته، وحقيقة ضعفه وعبوديته، كلما عرف ايضاً ربه سبحانه وتعالى باعتبار خلقه خلو منه وهو خلو عن خلقه، اي ان صفات المخلوقين لا تثبت له.

من هنا فاننا نفهم مدى العلاقة بين معرفة الله ومعرفة النفس، فلكي نصل الى معرفة الله، علينا ان ننطلق عبر معرفة انفسنا:

﴿سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبين لهم أنه الحق﴾

(٥٣/فصلت)

معرفة النفس طريق لمعرفة الله، عُدْ الى نفسك وتساءل: أنا ضعيف

أم قوي؟ عاجز أم قادر؟ فقير أم غني؟ وتعود الى عمق واقعك باحثاً عن الاجابة الصائبة، فتكتشف بفطرتك الحقيقة: انني ضعيف وعاجز وفقير، إذن فأنا محتاج الى من يكون قوياً، وقادراً، وغنياً.

عبر هذه المعادلة التي نجدها بوضوح و بكثافة في الادعية نصل الى معرفة الله، هذه المعادلة تكشف لنا أنفسنا، فنعرف من جهة، مدى الضعف والعجز والفقر الذي ارتكسنا فيه، ونعرف من جهة اخرى رب العزة.. الخالق، القوي، القادر، الغني.

ولكي نوضح الفكرة اكثر، نقرأ بعض الفقرات من دعاء الامام الحسين (عليه السلام) المأثور عنه بمناسبة (يوم عرفة)، ولنقرأ الفقرات بمزيد من التدبر والعودة الى الوجدان والفطرة:

[الهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري، الهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي..](1)

ثم يواصل الدعاء في فقرة اخرى:

[الهي اخرجني من ذل نفسي، وطهرني من شكي وشركي قبل حلول

(1): من دعاء الامام الحسين (ع) في يوم عرفة.

رمسي، بك انتصر فانصرني وعليك اتوكل فلا تكلني، واياك أسأل فلا تخيبني وفي فضلك ارغب فلا تحرمني] (١)

وهكذا يستمر الدعاء في بيان وتوضيح هذه المعادلة:

ان جهل الانسان الحقيقي، وضعفه وفقره الواقعيين، كل ذلك يكشف عن قيمومة الله وغناه وقدرته، ونواصل قراءة فقرة اخرى من الدعاء.

[الهي كيف اخيب وأنت أملي؟ أم كيف أهان وعليك متكلي؟ الهي كيف أستعز وفي الذلة أركزتني؟ أم كيف لا أستعز واليك نسبتني؟ إلهي كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقراء أقمتني؟ أم كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني؟] (٢)

وهكذا يكشف الامام الحسين (عليه السلام) من خلال الدعاء هذه الحقيقة:

ان الانسان مهما يكن غنياً فعليه ان يتساءل: مَن اين هذا الغنى؟

---

(١) : من دعاء الامام الحسين(ع) في يوم عرفة.

(٢) : من دعاء الامام الحسين(ع) في يوم عرفة.

ومن الذي يصون له الغنى ويحفظه؟ أو ليس الله سبحانه وتعالى؟ اذن، فغناه دليل حاجته، وهكذا الامر بالنسبة للعالم، فاذا لم يمده الله بنور الوجود ونور العقل ونور العلم فان علمه سيزول عنه. اذن، فان الانسان جاهل الا به، ولكننا كلما شعرنا بالضعف، والفقر، والمحدودية في حياتنا، فاننا نشعر من جهة اخرى باننا اغنياء، لان لنا رباً غنياً، واننا اقوياء لاننا نتوكل على رب قوي، لذلك يقول الامام الحسين (عليه السلام) في دعائه:

[الهي كيف اخيب وانت املي؟]

فالخيبة هي من ذات الانسان ولكن حينما يكون الله امله، فانه لا يخيب.

[أم كيف أهان وعليك متكلي]

ذات الانسان هي الاهانة، ولكنه لا يهان حينما يتكل على الله.

[كيف أستعز وفي الذلة أركزتني]

حينما يريد الانسان ان يستعز، ويجلب لنفسه العزة، ما الذي يستطيع ان يفعل اذا كان كل شيء من دون الله ذليلاً؟

[أم كيف لا أستعز واليك نسبتني]

اذن فالعزة تاتي للانسان من خلال انتسابه لله، يكفيه ان يقول أني (عبد الله) لكي يكون عزيزاً في الحياة. هذه المعادلة نجدها في دعاء شريف اخر، يقول:

[مولاي مولاي أنت المولىٰ وأنا العبد وهل يرحم العبدَ إلا المولىٰ. مولاي مولاي أنت العزيز وأنا الذليل وهل يرحم الذليلَ إلا العزيزُ..] (١)

اذن، أساس الذكر هو فهم هذه المعادلة: (اذا عرفت نفسك عرفت ربك)، و بالعكس أيضاً صحيح (كلما تعرفت على الله كلما عرفك الله نفسه سبحانه وتعالى وعرفك نفسك ايضاً) بالطبع هناك المعرفة العقلية وهي معرفة الله بالعقل، و بالادلة الكلامية وهناك المعرفة الوجدانية التي يصل فيها الانسان الى حالة انكشاف الحقائق ليراها بنور قلبه.

وخلاصة القول: إن معرفة الله سبحانه وتعالىٰ انما تتم بمعرفة خصوصيات النفس، وانما يكون هذا بتدبرنا في الادعية التي نقرأها و بتفهمنا للصلاة التي نصليها لنعرف إن الله يراقبنا واننا انما نناجيه ونخشاه ولا نخشىٰ غيره.

وفي الدعاء يقول:

[اللهم أجعلني أخشاك كأني أراك]

---

(١) : من دعاء الامام زين العابدين(ع) في التذلل الىٰ الله.

الحي القيوم:

و ينقسم الذكر ـ من جهة اخرى ـ الى قسمين:

١ ـ الذكر الذي تتجلى فيه صفة (الحي) والذي يُعبر عنه بصفات الذات أو أسماء الذات، والمقصود باسماء الذات هو مجموعة الصفات والامور الخالدة والازلية كعلم الله وقدرته، وحياته، وغناه، ولان البشر مخلوق، وهو عاجز عن توهم ربه والاحاطة بذاته سبحانه وتعالى، فان علينا ـ بالنسبة لاسماء الذات ـ ان نسبح الله، ونقدسه، وننزهه عن صفات المخلوقين، ونخرجه عن حد التعطيل والتشبيه.

٢ ـ الذكر الذي تتجلى فيه صفة (القيوم) وهي ما يُعبر عنها بصفات الفعل او اسماء الفعل، وهي تعني اسماء لمجموعة الصفات المنظورة من قبل الله سبحانه وتعالى كصفات: الخالق، الرازق، الفعال لما يريد، المنشيء، المبدع، المعين، وهذه الاسماء تعبر عن الصفات التي ينعكس اثرها المباشر على المخلوقات، لذلك فان الذكر في هذا المجال يتجسد في حمد الله وثنائه، والشكر له.

وسنحاول ـ من خلال التدبر في دعاء الافتتاح ـ ان نكتشف هذين القسمين من اقسام (الذكر) انشاء الله تعالى.

ودعاء (الافتتاح) هو دعاء معروف ومروي عن الائمة الطاهرين (عليهم السلام) ومخصص للقراءة في ليالي شهر رمضان المبارك،

وقـد أختـرنا هذا الدعاء للتدبر والتأمل لانه يجمع بين مفردتين اساسيتين من مفردات الادعية، هما:

١ـ الذكر.

٢ـ ترسيخ العقائد الاسلامية.

الفصل الرابع:

تأملات في دعاء الافتتاح

١ــ الحمد والدعاء.

٢ــ توحيد الله.

٣ــ خزائن الله.. لا تنفذ

٤ــ علاقة الانسان.. بالله.

٥ــ الدعاء ومعالجة الغيب والشهود

٦ــ حاجة الانسان الى الله.

٧ــ الاعتماد على الله.

٨ــ معرفة الرسول.

٩ــ معرفة الوصي.

١٠ــ حجج الله على العباد.

١١ــ دور الامام المنتظر.

١٢ــ اسس الدولة الاسلامية.

١٣ــ الايمان بالآخرة.

١ ــ الحمد والدعاء

[اللهم اني أفتَتِح الثناء بَحمدِك، وانت مُسددٌ للصوابِ بِمنِك، وأيقنتُ أنك أنتَ أرحمُ الراحمين في مَوْضعِ العفوِ والرحمة، وأشدُّ المعاقبين في موضعِ النَكالِ والنَقِمة، وأعظمُ المُتَجبِرين في موضعِ الكبرياءِ والعظمة، اللهم أذِنتَ لي في دُعائك ومِسألتِك، فأسمع ياسميعُ مِدْحَتي، وأجِب يارحيمُ دَعْوَتي، وأقِل ياغَفورُ عَثْرتي، فكم ياإلهي مِن كُرْبَةٍ قد فَرَّجتَها، وهُمومٍ قد كَشَفْتَها، وعَثْرةٍ قد أقلْتَها، ورَحْمةٍ قد نَشَرْتَها، وحَلقةِ بلاء قد فَككتَها...]

[اللهم اِني اَفتَتِحُ الثناء بَحمدِك،
وانَتَ مُسَدِّدٌ للصوابِ بِمَنِّك]

-: ينبغي للداعي ان يبدأ حديثه ودعاءه بالثناء على الله سبحانه وتعالى، والثناء على الله قد يكون بالشكر لله وحده، وقد يكون بتسبيحه سبحانه وتعالى وتقديسه، (اللهم اني افتتح الثناء بحمدك)، سوف يكون اول

ثـنائي لك حمدي لك، وقد تعني هذه الجملة ان الثناء انما هو بما وهب الله لـنـا واعـطـانـا مـن فـضـل يجـب ان نحمده عليه، فثنائي عليك انما يكون بـحـمـدك، فـلـولا انـك رزقتني القدرة على الثناء ووفقتني للدعاء كيف كنت استطيع ان احمدك او اثني عليك..

[وانت مسدد للصواب بمنك..]

-: ان حسن الافتتاح لايدل على حسن الختام، فربما يكون الانسان في مـفـتـتـح حياته، ومفتتح حديثه حسناً صالحاً، صائباً لكنه ينحرف بعدئذ تحـت تـأثـيـرات مختـلـفـة، لـذلـك فـنـحن نطلب من رب القدرة لتستمر اسـتقامتنا على الصواب: (**وانت مسدد للصواب بمنك**)، انت الذي تسددني للصواب.

حـينما يرمي الانسان سهماً و يصيب الهدف، يكون قد سدّد الرمية، لانـها اصابت هدفها، ونحن حينما ندعو ربنا نطلب منه ان يسدد دعوتنا للـصـواب و يستجيبها، وهو المسدد للصواب، الا اننا يجب ان لانغفل عن ان نـعـم الله تـعـالى عـلـيـنـا ومنها تسديده لنا للصواب، ليس امراً نستحقه نـتـيجة اعمالنا وجهدنا، وانما هي بمن الله سبحانه وتعالى لذلك فاننا نقول في دعائنا و بكل خشوع: (**وانت مسدد للصواب بمنك...**).

[وأيـقـنـتُ [١] أنـك انـت ارحـم

---

(١): تـكـتـب بـعض كتب الادعية كلمة (وأيقنتُ) بضمير المخاطب اي (وأيقنتَ) و يعني هذا الاتجاه ان الله هو

الراحمين في موضع العفو والرحمة واشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة..]

-: ينبغي ان يكون الداعي بين اليأس والرجاء او بتعبير افضل بين الخوف والامل (يدعونه رغباً ورهباً)، خوفاً واملاً، لذلك ترى في بداية دعاء الافتتاح يضع الامام الدعاة بين الرغبة والرهبة (**وايقنتُ انك انت ارحم الراحمين في موضع العفو والرحمة**)، اذا كنت أهلاً للعفو والرحمة، فان الرحمة تنزل عليك بحيث لا تستطيع استيعابها، مثلاً: حينما تهطل الامطار من السماء كمظهر من مظاهر رحمة الله، فانها تكون من الكثرة بحيث تفيض الاودية بالماء، ولا تستطيع ان تستوعب الكمية الهائلة من الامطار التي تنزل من السماء، او اذا فتح الله على الانسان ابواب الرزق، فانه يغمر الانسان بحيث لايعرف ماذا يصنع به، هذا اذا كان الانسان مستحقاً للرحمة.

اما اذا كان الانسان مستحقاً للعذاب فان العذاب ياتيه بشدة و بصورة لايتصورها، اذن، فان الانسان بين امرين:

الذي ايقن بأنه ارحم الراحمين.. اذ ان كثيراً ممن يقرأون الدعاء قد لا يكونون من الموقنين، فكيف يمكن لغير الموقن أن يقول (وايقنتُ انك انت ارحم الراحمين) في الوقت الذي لم يصل بعد الىٰ مرحلة اليقين؟ اما نحن فنفضل القراءة المعروفة وهي (وايقنتُ) بضمير المتكلم، لاننا لا نعرف هل ان استخدام كلمة (اليقين) في الله سبحانه وتعالىٰ له معنىً ام لا. ثم من جهة اخرى: ان الادعية هي -في الغالب- اعتبارات اي انها تجعل الانسان يفكر وكأنه من الموقنين، مثلاً: حينما نقول: (اللهم اني وعزتك من النادمين) فليس هذا اخباراً عن حالة سابقة، وانما هو انشاء لهذه الحالة، والادعية هي عادة مجموعة انشاءات الا انها تتحدث بلغة الماضي ولكن تعبيراً عن الحاضر. اذن حينما نقول: (وايقنتُ) يعني اننا ينبغي ان نرتفع الىٰ درجة اليقين، واذا لم اكن من (الموقنين) فعلاً فانني يجب ان اكرر هذا الايحاء حتى ارتفع الىٰ هذا المستوى، بل وتعبيراً عن رغبتي الشديدة في بلوغ مرحلة اليقين.

اما رحمة واسعة نسألها من الله، واما عذاب شديد نستجير بالله منه، (وايقنت انك انت)، وليس غيرك يارب (ارحم الراحمين، في موضع العفو والرحمة)، فاذا كنتَ مذنباً ودعوتَ الله سبحانه وتعالى، مددت اليه يد الضراعة والمسكنة ليغفر لك ذنبك، فان الله لايعفو عن الذنب فقط، وانما يزيدك من رحمته، وهذا من اسماء الله سبحانه وتعالى.

فالانسان المذنب يطلب من الله ان يتجاوز عن سيئاته و يغفر له ذنوبه من قبيل: ترك الصلاة، ايذاء الناس وتضييع حقوقهم، اتهامهم واغتيابهم، تضليل الاخرين... الخ، فان الله يغفر له ان شاء، و يزيده من نعمه بان يعطيه الايمان، والتقوى، والرحمة من عنده، (واشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة)، واذا اراد ربنا ان يجازي احداً وان ينتقم منه، فان عذابه يكون شديداً، وما نراه في هذه الدنيا من انواع العذاب التي حلت بالاقوام الكافرة مثل:

قوم لوط او بلاد عاد او ثمود او اصحاب الايكة، وما نعرفه من غرق فرعون وآل فرعون في اليم، كل هذا شيء بسيط جداً من عذاب الله سبحانه وتعالى، اما عذابه الشديد ونكاله ونقمته فهي في الاخرة.

[واعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمة]

-: كل ابناء آدم يذنبون الا المعصومين منهم، ولكن على الانسان ان لايتحدى ربه، فبعض الذنوب يرتكبها الانسان في حالة التحدي لله

عزوجل.

ان كبرياء الله وعظمته لن تسمحا لاحد بان يتحداه، وعلى العبد ان يحذر من تحدي جبار السموات والارض بكثرة الذنوب والاصرار عليها، مما قد يصل الى درجة يخاطبه الله تعالى فيها:

(عبدي افعل ماشئت فاني لن اغفر لك ابداً)(١)

فعن ابي عبد الله الصادق(ع) قال:

(من همَّ بالسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب فيقول: وعزّتي وجلالي لا أغفر لك أبداً)(٢)

وقد جاء في دعاء (أبي حمزة الثمالي) مايشير الى هذا المفهوم، اذ يقول الدعاء:

[الهي لم اعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرض، ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة

---

(١): وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٤٨

(٢): وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٤٨

عرضت، وسوّلت لي نفسي، وغلبني هواي، واعانني عليها شقوتي، وغرّني سترك المُرخى عليّ، فقد عصيتك وخالفتك بجهدي، فالآن من عذابك مَن يستنقذني، ومِن ايدي الخصماء غداً مَن يخلصني...]

وعلى الانسان ان يسارع الى التوبة من الذنب، ولايترك الذنوب تتراكم في حياته فانها تكون اصعب للمغفرة ثم ان تراكم الذنوب على قلب الانسان تميت قلبه وتجعله ابعد عن الهداية، فيجب ان يبادر الانسان الى محوها بالتوبة.

[اللهم اَذِنت لي في دعائك ومسألتك فاسمع ياسميع مدحتي واَجب يارحيم دعوتي، واقل ياغفور عثرتي]

ـ: ان من اشد العذاب الذي ينتقم الله به من الكفار والمشركين في نار جهنم هو ان الله سبحانه وتعالى لايأذن لهم بسؤاله عن شيء، فاهل النار لايحق لهم التحدث مع الله، الا ان الله لم يغلق باب التحدث معه وسؤاله التوبة والمغفرة في وجه المذنبين في الدنيا، فانت العبد الضعيف المحتاج المسكين الذي لا تملك لنفسك شيئاً، تتحدث مع ربك وتذنب الذنب ثم تستغفره وتطلب منه العفو والتوبة، وهو يغفر لك، انه فتح امامك، باب المغفرة وأذن لك بالتوبة في الدنيا، اما في يوم الحساب فان الله يغلق هذا الباب، فعلينا ان نستغل الفرصة، ونبادر الى التوبة وطلب الغفران.

(اللهم اَذِنتَ لي في دعائِك)، الهي: اَنت الذي بدأت بالفضل واَعطيتني الاذن بالدعاء والمسألة **(فاسمع ياسميع مدحتي)**، اذن فانا أبدأ دعائي بمدح الله وحمده سبحانه وتعالى **(واَجِب يارحيم دعوتي، واَقِل ياغفور عثرتي)**، اننا نطلب من الله ان يغفر لنا كل العثرات، والزلل والذنوب والهفوات، وان يقبلها أي: يعتبرها وكأنها لم تكن، فالاقالة تعني انك حينما تشتري بضاعة، ثم تكتشف انها لا تفيدك، فترجع الى البائع وتطلب منه ان يستردها و يعيد لك نقودك وكأن لم يكن بيع ولا شراء، هذه هي الاقالة، ونحن نطلب من الله ان يعتبر ذنوبنا وكأنها لم تكن، ويمحيها من صفحات اعمالنا: **(واَقِل ياغفور عثرتي)**.

[فكم ياالهي من كربة قد فرجتها،
وهموم قد كشفتها، وعثرة قد اقلتها،
ورحمة قد نشرتها، وحلقة بلاء قد
فككتها..]

-: ياالهي، اذا غفرت لنا ذنوبنا، واقلت عثراتنا فليست هي المرة الاولى، فما اكثر الذنوب التي غفرتها، والكربات التي فرجتها، والعثرات التي اقلتها..

ان الداعي يجب ان يتذكر كربه التي فرجها الله، وهمومه التي كشفها الله، وعثراته التي اقالها الله سبحانه وتعالى، فان هذا التذكر ادعى لان يفتح الله ابواب الاجابة امامه.

ولكن لاينحصر فضل الله على الانسان بكشف الهموم، واقالة العثرات، وتفريج الكربات، بل اكثر من ذلك: (**ورحمة قد نشرتها وحلقة بلاء قد فككتها**)، قد يشعر الانسان احياناً وكأن البلاء قد حاصره من كل مكان وقد أعيته مذاهب الحياة، وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، فاذا به يرى البلاء من كل مكان: اصدقاؤه يخونونه، اقاربه يتركونه، مجتمعه يرفضه، والحكومة تلاحقه، ومن جهة اخرى: جسمه ضعيف والمرض يهجم عليه، وكأن البلاء يهاجمه من كل مكان وليس له اي امل ولا يستطيع ان يمد يده الى اي انسان، هنالك يتجه قلبه الى الله سبحانه وتعالى فيفك الله عنه حلقة البلاء ويجعله ينطلق في الحياة، وتعود كل المياه الى مجاريها، وتعمره رحمة الله ولطفه. الا ان مشكلة الانسان انه ينسى كل ذلك، فأنا وأنت لاشك قد ابتلينا في فترات من حياتنا بانواع البلاء والمشاكل، ولم يفك حلقة البلاء عنا الا الله تعالى، ولكننا نسينا تلك اللحظات الصعبة، والدعاء يذكرنا بكل ذلك و يزرع في قلوبنا الامل بالله والرجاء برحمته.

٢ ــ توحيد الله

[... الحمدُ لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له شريكٌ في الملك، ولم يكن له ولي من الذلِ وكبِّره تكبيراً، الحمدُ للهِ بجميع محامده كلها، على جميع نعَمِه كلها، الحمدُ لله الذي لا مُضادَّ له في ملكِه، ولا منازعَ له في أمره، الحمدُ لله الذي لا شريك له في خلقه، ولا شبيهَ له في عظمتِه، الحمدُ لله الفاشي في الخلقِ امرُه وحمدُه، الظاهرِ بالكرمِ مجده، الباسط بالجود يدَه...]

عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: «ان الله تبارك وتعالىٰ خلق إسماً بالحروف غير منعوت، و باللفظ غير منطق، و بالشخص غير مجسّد، و بالتشبيه غير موصوف، و باللون غير مصبوغ، منفي عنه الاقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة علىٰ أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة اسماء لفاقة الخلق اليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة التي أظهرت، فالظاهر هو (الله وتبارك

وسبحان) لكل اسم من هذه اربعة اركان، فذلك اثني عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين إسماً فعلاً منسوباً اليها.

فهو الرحمن الرحيم، القدوس، الخالق، الباريء، المصور، الحي، القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبار، المتكبر، العلي، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، المنشيء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث.

فهذه الاسماء، وما كان من الاسماء الحسنىٰ حتى تتم ثلاثمائة وستين فهي نسبة لهذه الاسماء الثلاثة، وهذه الاسماء الثلاثة اركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة، وذلك قوله عزوجل:
«قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ»(١)

الله، تبارك، سبحانه، هذه اصول (اسماءالله) الحسنى، واسم (الله) تشتق منه اسماء اخرى كالعليم، القدير، الخبير، البصير، السميع الحكيم، وما أشبه، هذه الاسماء التي تدل على صفات الله الذاتية ـحسب تعبير علماء الكلامـ واسم (تبارك) تشتق منه ايضاً مجموعة اسماء هي (أسماءالفعل) فتبارك يعني: اعطى البركة، وكل مايعطيه الله سبحانه وتعالى لخلقه فهو بركة، واسماء الفعل هي: الخالق، الرازق،

(١): بحار الانوار/ج ٤/ص ١٦٦

الفاعل لما يشاء، المصور، الباريء وماشبه، هذه الاسماء التي تدل على افعال الله سبحانه وتعالى، والاسم الثالث هو (سبحان)، وهو اسم يدل على تنزيه ربنا عن التشبيه بالخلق، وعن اتخاذ المثل له، وتجزئته سبحانه وتعالى، مثل اسم الصمد، احد، لم يكن له كفواً احد، هذه هي اسماء الله سبحانه وتعالى و يشتق منها ثلاثمائة وستون إسماً على الأقل، من كل اسم تشتق مجموعة اسماء، تتفرع منها أسماء اخرى.

وفي هذه الفقرة من الدعاء، نتلو بعضاً من اسماء التسبيح والتنزيه التي يرمز اليها اسم (السبحان)، يقول بعض العلماء ان اعظم اسماء الله هو اسم (السبحان)، وان اعظم الاذكار هو (سبحان الله) لذلك فان افضل الاذكار في الركوع والسجود هو (سبحان الله)، كما ان التسبيحات الاربع التي تُقرأ في الركعات الثالثة والرابعة من الفرائض، تبتدأ بـ(سبحان الله)، حتى في التكبيرات التي تتلى عقب الفرائض والمشهورة باسم (تكبيرات الزهراء) قال بعض العلماء ان الافضل الابتداء بـ(سبحان الله) ثم (الحمد لله) ثم (الله أكبر) بعكس ما هو المتعارف عند عامة الناس.

والسؤال هو: لماذا إسم (السبحان) هو من أعظم أسماء الله؟

الجواب: لان الانسان يعرف بفطرته ان له خالقاً:

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾

(٣٠/الروم)

وفي آية اخرى يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا..﴾

(١٧٢/الأعراف)

إذن، ان فطرة العبودية لله، وفطرة الاعتراف بالخالق مرتكزة في كل النفوس الا انّ مشكلة الانسان الحقيقية هي انه يريد ان يفهم الله وان يحيط معرفة بالله، يريد ان يلمس وان يحس ربه، لذلك فهو يشبه ربه بخلقه. وهنا مكمن الانحراف في العبادة، اذ ان الانسان يتجه مرة لكي يصنع صنماً و يعبده و يقول هذا ربي، ومرة اخرى يتخذ نوعاً من النباتات والاشجار والحيوانات ليعبدها من دون الله، والبعض الاخر يعبد الشمس او القمر، او النجوم، فالجميع معترفون بان لهم خالقاً، ولكن: من هو هذا الخالق؟ هنا مكمن الاشتباه، واساس ضلالة الانسان وانحرافه، اذ انه يحاول ان يشبه خالقه بخلقه. اما لو عرف الانسان هذه الحقيقة: ان ربه تعالى عن الاحاطة بالعلم، وانه منزه وسبوح وقدوس عن التشبيه بالخلق، لو عرف بان الله اكبر من ان يُوصف، لاقترب الى الله سبحانه وتعالى ولكن هناك مشكلة اخرى تعترض البشر حتى المؤمنين بالله منهم، فحينما يريدون ان يقتربوا الى الله تاتي المخلوقات وتحجبهم عن الخالق، فيتوجه الانسان الى المخلوق عوض التوجه الى الخالق، و (سبحان الله) هو الذكر الذي يقربكّ الى الله سبحانه وتعالى، لانه يبعدك

عن التشبيه، ولذلك جاء في القرآن الكريم:

﴿سبح لله مافي السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم﴾

(١/الصف)

فالسموات والارض بما تدل عى محدوديتها وحاجتها وضعفها وعجزها وانها قد ابتدأت في لحظة،وسوف تنتهي في لحظة وفي ساعة معينة، ان هذه السموات والارض تسبح الله، اي تنزهه وتقدسه عن صفات السموات والارض، ومن ابرزها (المخلوقية) بينما صفة الله تعالى هي (الخالقية) ومن صفات السموات والارض: العجز والحاجة، بينما صفات الله تعالى هي: الغنىٰ والقدرة.

وربما نستطيع ان نعتبر البرهان الذي توصل عبره النبي ابراهيم الى اثبات وجود الله واتجه الى عبادته، هو من قبيل هذا الامر، حيث انه لما رأى الكوكب، والقمر، والشمس، وقال عن كل واحد منها: هذا ربي، ولكنه لما رأى افولها، وانها لايمكن ان تكون آلهة، توصل الى هذه النتيجة:

﴿إنّي وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾

(٧٩/الأنعام)

فتوجه الى خالق الكوكب، والقمر، والشمس..

هذا البرهان هو في هذا الاتجاه، اذ ان الانسان يشبه ربه اولاً بالمخلوقات، الا انه بعد الدقة والتعمق يعرف ان الخالق لا يمكن ان يكون مثل المخلوق، لان المخلوق بصفاته المعروفة غير قادر على الاستقلالية، فالمحدود يحتاج الى من يحده، والعاجز يحتاج الى من يعطيه القدرة، والضعيف يحتاج الى القوي، فاذن يجب ان يكون الخالق قوياً، عزيزاً، وقادراً.

لذلك كلما سبّحنا الله وقدسناه ونزهناه سبحانه وتعالى، كلما اقتربنا اليه، والان لنتأمل فقرات الدعاء:

[الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً]

-: لماذا لم يقل لم يتخذ ولداً ولا صاحبة، لان الانسان -في البدء- يتخذ لنفسه صاحبة وزوجة، ثم بعد ذلك يولد له الاولاد. والله الخالق منزه عن ذلك، (**ولم يكن له شريك في الملك**) الملكوت لله سبحانه وتعالى ليس له شريك فيه، (**ولم يكن له ولي من الذل**) الصالحون من عباد الله هم اولياء الله: أشهد أن علياً ولي الله، ولكن ليس لله ولي من الذل، اي انه لايحتاج الى احد، غني عن العالمين، بل العالمون جميعاً يحتاجون اليه، و الانسان اذا اراد ان يعمل عملاً، فلا بد ان يعينه فيه مجموعة من الاعوان والانصار، اما الله فهو لايحتاج الى احد، امره اذا اراد شيئاً ان يقول له:

كن فيكون. لا يحتاج الى من يعينه في خلق السموات والارض، او يساعده في تدبير شؤون السموات والارض **(ولم يكن له ولي من الذل وكبره** تكبيراً)، فالله اكبر مما يصفه الانسان ومما تتوهمه العقول.. ان محاولة توهم الله تعالى تجر الانسان الى عبادة المخلوقات.. وهذا هو الذي ادى بالسامري واتباعه ان يتوهموا ربهم في عجل خلقوه بايديهم:

***فأخرج لهم عجلاً جسداً له خُوار،**
فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي*

(٨٨/طه)

(وكبره تكبيراً..) أي لا يجب ان يكون هناك اي توهم لله، فالله فوق الأوهام، والخيال، كلما توهمته في ذهنك فهو مخلوق وليس بخالق. الخالق فوق توهم الانسان، والمطلوب في معرفتك بالله هو ان تخرجه من حدود التعطيل والتشبيه، فلا هو من خلقة ولا هو عدم، هو شيء لا كألاشياء، أما كيف؟ لا كيف له.. أين؟ لا أين له؟ متىٰ؟ لا متىٰ له. ما هي علامته؟ لا علامة له. ان كل هذه الحروف غير صادقة في الله، هذه كلها صفات المخلوق

[الحمد لله بجميع محامده كلها، على جميع نعمه كلها، الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه، ولا منازع له في امره، الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه، ولا شبيه له في عظمته...]

بعد ان ذكر الدعاء بعضاً من اسماء الله السبحانية التي تقدسه وتنزهه عن كل نقص وعجز، يشير في هذه الفقرة الى اسماء الفعل التي يرمز اليها اسم (تبارك): **(الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها)** هل يستطيع الانسان ان يستغني عن أيّ نعمة من نعم الله؟ أو هل يستطيع أن يحصل على هذه النعم من غيره؟ واي نعمة من النعم التي اعطاها الله لنا لا يستحق بها حمداً جديداً؟ كل النعم نحتاجها، وكل النعم من عنده، وكلها بحاجة الى الحمد، لذلك فاننا نحمدها جميعاً وفي جملة صغيرة ونقول: **(الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها)** ولكن ماذا يعني بجميع محامده كلها؟

الجواب: اننا قد نحمد الله بتعابير مختلفة، فنقول: الحمد لله، حمدك يارب، نحمدك ياالله، لك الحمد ياحامد و ياحميد، الا اننا هنا نحمد الله بجميع محامده على جميع نعمه.

(الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه) حينما ملك الله فليس هناك ملك آخر يستطيع ان يضاد ربنا، هذا مانعترف بهبألسنتنا. و يأتي الدعاء لكي يعمل على ادخال هذه الحقيقة الى القلب، حتى تتحول جزءاً من جنان البشر ومن تركيبته الداخلية، ان الانسان كثيراً ما يقول: **(الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه)** ولكنه حين العمل يخضع للطاغوت، وللانظمة المستكبرة، يخضع لغير الله سبحانه وتعالى، ان ما تقر به السنة البشر يجب ان يتحول الى ايمان قلبي ينعكس بدوره على مواقف واعمال الانسان في حياته اليومية. **(ولا منازع له في امره)** اذا امر الله امراً، انتهى كل شيء، فلا

معقب لحكمه، ولا أحد يستطيع ان يقول لماذا؟ او ان يقف بوجه امر الله، فلو اراد الله ان يرفع انساناً، لا يستطيع العالم كله ان يضعه، ولو شاء الله ان يضع انساناً و يهينه، فان كل قوى العالم لا تستطيع مجتمعة ان تكرمه، ان امر الله ومشيئته لا منازع لهما ولا يقدر احد ان يتحداهما.

(الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه ولا شبيه له في عظمته) فعندما خلق السموات والارض لم يتخذ شريكاً، وعظمة الله ليست مما تصل اليها عظمة احد. **(الحمد لله الفاشي في الخلق امره وحمده)** كان اليهود يقولون بان الله سبحانه وتعالى مغلول اليدين، لايقدر على شيء، وقد كانت لهذه الفكرة امتدادات، منها الكفر بعقيدة (البداء) والايمان (بالبداء) يعني الايمان بان الله سبحانه وتعالى قادر ان يتخذ قراراً جديداً في كل لحظة وفي كل شأن من الشؤون، فليس هناك ما يحتم على الله شيئاً ابداً، فالله فوق الحتميات، اذا اراد الله الان وفي هذه اللحظة ان يعدم الكون كله، لفعل ذلك في اقل من طرفة عين، فهو الفاشي في الخلق امره.

أفلا يستطيع الذي خلق الكون اول مرة واعطاه الوجود، ان يعدمه و يسلب منه نعمة الوجود في لحظة واحدة؟ ان من اهم عقائدنا ومن اكثرها تقدمية وحضارية وحرية هي عقيدة (البداء) ففي اعتقادنا يستطيع الله ان يغير وان يبدل القدر، ينزل عليك البلاء ثم تدعو الله سبحانه وتعالى، فيرفع القدر، هذا هو (البداء) وليس كل ماخط في اللوح المحفوظ هو الذي يحدث حتماً ودون اي تغيير، كلا.. ان التغيير ممكن، لذلك نقرأ في ادعية شهر رمضان المبارك **(اللهم ان كنت من الاشقياء فامحني**

من الاشقياء واكتبني من السعداء) فاذا كان اسمي في اللوح المحفوظ مكتوباً من الاشقياء فانني ادعو الله، واعمل الصالحات، والتمس الى الرب الكريم، فيستجيب الله لي، و يغير ذلك القرار: **(الحمد لله الفاشي في الخلق امره وحمده)** امر الله منتشر في الخلق وهو قادر على ان يغير و يبدل في كافة الامور والشؤون حسب مشيئته الحكيمة، وكذلك الامر بالنسبة الى حمد الله، وهذا يعني ان امره حميدٌ ايضاً.

(الظاهر بالكرم مجده) ان مجد الله وعظمته يظهران بالكرم، فالله لا يستخدم عظمته ومجده وقدرته في ظلم المخلوقات، وقمع الضعفاء والعاجزين كما يفعل بعض المخلوقين حينما يحصل على القوة والعظمة الظاهرية، اما الله فانه ذو مجدٍ وكرمٍ في آن واحد، **(الباسط بالجود يده)** اما جود الله و يده فانهما مبسوطان على كل الخلائق، ولولا جود الله ونعمه التي يبسطها بيده على الخلق، لانعدم الوجود ولتحول كل شيء الى رماد.

٣ ـ خزائن الله.. لا تنفذ

[... الحمد لله الفاشي في الخلقِ امرُه وحمدُه، الظاهرِ بالكرمِ مجدُه، الباسطِ بالجودِ يدَه، الذي لا تَنْقصُ خزائِنه، ولا تَزيدُهُ كَثرةُ العطاء ِالا جُوداً وكرَماً، انه هو العزيزُ الوهّاب، اللهم اني اسألكَ قليلاً من كثير، مع حاجةٍ بيّ اليه عظيمة، وغِناكَ عنه قديمٌ، وهو عندي كثير، وهو عليك سهل يسير، اللهم انَّ عفوكَ عن ذنبي وتجاوزك عن خطيئتي، وصَفْحَك عن ظُلمي، وسِتْرَكَ على قبيح عملي، وحلمك عن كثير جُرمي، عندما كان من خطأي وعمدي، اطمعني في ان اسألك مالااستوجِبُه منك الذي رزقتني من رحمتك، واريتني من قُدرتك، وعرّفتني من اجابتك، فصرت ادعوك امناً، واسألك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدِلاً عليك فيما قصدْتُ فيه اليك، فان ابطأ عني عتبتُ بجهلي عليك، ولعلّ الذي ابطأ عني، هو خير لي لعِلمِك بعاقبة الامور...]

[الحمد لله الفاشي في الخلق امره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط

بالجود يده، الذي لا تنقص خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً، انه هو العزيز الوهاب]

-: كيف لا تنقص خزائنه بكثرة العطاء، بل ولا تزيده الا جوداً وكرماً؟

الجواب: ان عطاء الله سبحانه وتعالى انما هو من خزائن لا تنفد، ان خزائن الله عظيمة وكبيرة ولا نفاذ لها، لان خزائن الله، ورحمته، ونعمه انما هي من كلمة واحدة: (كن) فيكون، ان الله تبارك وتعالى يخلق بكلمة (كن) واحدة، ملايين الكرات وملايين المجرات، فكيف تنفذ خزينته مَن كانت قدرته بهذه السعة؟

الا ان الامر هو ابعد من هذا الواقع بكثير، اذ ان كثرة العطاء من قبل الله، ليس فقط لا تنقص خزائنه، بل وتزيده جوداً وكرماً.

فالله يهب للانسان العقل، والانسان يعرف بعقله ربه فيدعوه، فيزيده الله من فضله و يعطيه الايمان، فاذا زُوِّد بالعقل والايمان، يعرف ان رحمة الله واسعة، وفضله عميم فيدعوه، فيزيده اليقين، ثم يدعو فيدخله الجنة، ثم يدعو فيرفعه الله الى درجة الرضوان، فنعم الله متسلسلة، وكلما اعطى نعمة استتبعها بنعمة اخرى، وهكذا نرى ان كثرة العطاء تزيد الله كرماً وجوداً وعطاءاً، لذلك فلو اعطانا الله نعمة واحدة، فلا يجوز لنا ان نيأس، بل علينا ان ننتظر نعماً اخرى تتلاحق بعدها.

إذ ان عطاء الله الكثير لا يعني ان ربنا سيصبح بخيلاً سبحانه وتعالى عن ذلك، فعطاؤه لا محدود، و جوده لا يقف عند حد.

ان الله يخاطب رسوله محمداً (ص) الذي جعله من اشرف الخلائق اجمعين وفضله على الانبياء والمرسلين واعطاه ما لم يعطِ احداً من النعم والشرف والذكر الحسن، حتى قرن اسمه باسمه، يخاطبه قائلاً:

﴿ومن الليل فتهجّد به نافلة لك،
عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾

(٧٩/ الاسراء)

و يقول له أيضاً:

﴿وقل ربّ زدْني علماً﴾

(١١٤/ طه)

وهذا يعني: حتى رسول الله الذي اعطاه الله هذه النعم الكثيرة، مع ذلك لايقول له ربه: كفى، بل يحثه على الدعاء والسؤال حتى يزيده الله من فضله وعطائه، فالله اذن: (**لا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً..**)

-: أتدري من هو البخيل العاجز الفقير؟

-: انه.. نحن، اذا وقف الواحد منا بجانب البحر، ولكنه لم ياخذ شيئاً من الماء، فهل يكون البحر بخيلاً؟ اذا وقف العطشان على شاطيء النهر، ولكنه لم يمد يده ليغترف غرفة و يروي بها ظمأه، فمن هو

البخيل: النهر الجاري، ام هذا الانسان؟

والانسان الذي لا يطلب الفضل والنعمة من الله، هو البخيل.

أما رب الرحمة فهو واسع العطاء، ولا حدود لجوده وكرمه، فالله يقول: ادعوني استجب لكم.. ولكن الانسان يبخل بهذا الدعاء، فيُحرم نفسه من عطاء ربه.

وهكذا كلما كان تطلع الانسان ابعد، وهمته ارفع، كلما استوعب رحمة الله سبحانه وتعالى اكثر، ولذلك فان على الانسان ان يستغل اوقات الدعاء: ليالي الجمعة، شهر رمضان المبارك، وفي الاسحار، ليمد يده لرحمة الله ولبحر جوده، وان لا يطلب من الله اشياءاً تافهة و بسيطة، بل عليه ان يطلب كلما عظم من الامور، ليس لنفسه فحسب، وانما لاخوانه المؤمنين ايضاً، ومن هنا يقول الفقهاء انه يستحب في صلاة الليل ان يدعو الانسان لاربعين مؤمناً: **(من قدم اربعين مؤمناً، واستغفرلهم ودعى لهم ثم دعىٰ لنفسه يستجيب الله دعاءه فيهم وفي نفسه..)** (١)، فالله تعالى كريم، و يبقى على الانسان ان يكون كريماً -ايضاً- حينما يدعو ربه، و يطلب منه: **(ولا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً انه هو العزيز الوهاب)** انه القوي القادر المهيمن وهو (الوهاب) الذي لا تنقطع هباته اللامتناهية عن عباده.

بعد سرد هذه المجموعة من النعوت الفاضلة والاسماء الحسنى لله،

---

(١): بحار الأنوار ــ ج/ ٩٠/ص ٣٨٣

نواصل الدعاء ونقول:

[اللهم اني أسألك قليلاً من كثير مع حاجة بي اليه عظيمة، وغناك عنه قديم، وهو عندي كثير، وهو عليك سهل يسير..]

ان ما يطلبه الانسان من الله مهما كان عظيماً وهاماً في تصوره، الا انه قليل جداً اذا قيس بملكوت الله وجبروته وقدرته اللامحدودة، و يستطيع الواحد منا ان يعرف هذه الحقيقة من خلال المعادلة التالية: انني واحد من اربعة آلاف مليون بشر يعيشون على وجه الكرة الارضية، وقد عاش قبلهم وسيعيش بعدهم الوف الملايين، ثم ان هذه الارض اذا قيست الى المجرة التي نحن فيها، فانها تشبه الذرة التائهة في صحراء واسعة، والمجرة التي نحن فيها بالنسبة الى سائر المجرات التي نعرفها هي الاخرى كالذرة التائهة في الفضاء اللامتناهي. واما الكون الذي نعرفه، فهو بالنسبة الى رحمة الله يعتبر اصغر من الذرة التائهة، اذن فكل مانطلبه من الله العلي القدير من المغفرة، والرحمة والعافية، والرزق، والفلاح، فهو شيء قليل جداً من بحر جوده اللامتناهي، ولكن بالرغم من تفاهة طلباتنا وصغر حجمها بالنسبة الى رحمة الله الواسعة، فان حاجتنا اليها شديدة: **(مع حاجة بي اليه عظيمة)** ان حاجتنا نحن الى رحمة الله عظيمة لانه لا نحصل على احد سواه نسأله من رحمته، كما لا يمكننا ان نتحمل عذاب الله وهجرانه وغضبه ان لم يغفر لنا: **(وغناك عنه قديم)** فكل ما يحتاج اليه الانسان، فان الله غني عنه.. فيارب انت غني عني وعن عذابي، فلماذا

تعذبني؟

انك لا تنقصك المغفرة فلماذا لا تغفر لي؟ وهذه هي لغة الالحاح في الدعاء، وعلى الانسان العاجز الضعيف ان يطلب دائماً من ربه بالحاح واصرار، لانه هو المحتاج الى عطاء ربه، (**وهو عندي كثير، وهو عليك سهل يسير**) ان ما نطلبه من الله كثير عندنا، الا انه عند الله سهل و يسير، فحينما خلق الله سبحانه وتعالى السموات والارض بكلمة واحدة وقال لها: كن، هل اصابه تعب او لغوب؟ كلا.. ان ربنا سبحانه وتعالى اعز واعلى من ان يعتريه تعب او لغوب، وكذلك الامر بالنسبة الى الاستجابة لدعواتنا، فانها اسهل وايسر من كل شيء على الله سبحانه وتعالى.

[اللهم ان عفوك عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وصفحك عن ظلمي، وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كثير جرمي، عندما كان من خطأي وعمدي، اطمعني في ان اسألك ما لا أستوجبه منك الذي رزقتني من رحمتك، واريتني من قدرتك، وعرّفتني من اجابتك...]

-: ان اهم حاجة للانسان هو ان يرفع الحواجز بينه و بين الله، وان الحاجز الرئيسي بين الانسان و بين ربه هو حاجز الذنوب، فالله لا يحتجب عن خلقه الا ان تحجبهم الذنوب دونه، اذن فان السؤال الاول هو ان يعفو الله عن ذنوبنا، و يتجاوز عن خطيئاتنا، و يصفح عن ظلمنا، و يستر على

قبيح اعمالنا، ويحلم عن جرائمنا الكثيرة، والله تعالى يستجيب لنا في كل ذلك و يغمرنا برحمته الواسعة، ولطفه العميم، وهذه الرحمة هي التي تجعلنا نسأل الله اكثر.. فاكثر.. ونمد اليه ايدينا، اننا اذنبنا ذنوباً كثيرة، ولكن الله لم يؤاخذنا بها، ولم يعذبنا بالرغم من استمرارنا على الذنوب، بل العكس هو الصحيح اذ لا تزال رحمته تشملنا من كل جهة و يزيدنا من نعمه، و يلوح لنا بالمغفرة، و يدعونا للتوبة والعودة اليه مهما اذنبنا واخطأنا.

ان هذه الرحمة من ربنا سبحانه وتعالى تشجعنا على ان نذهب الى بابه ونسأله مع ان وجوهنا مسودة بالذنوب، لكن وجهه الكريم هو الذي يجعلنا نسأله سبحانه وتعالى..

ان الله خلق العباد ليرحمهم لا ليعذبهم: (**سبحان من لا يعتدي على اهل مملكته، سبحان من لا يؤاخذ أهل الارض بالوان العذاب**)، (**اللهم ان عفوك عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي وصفحك عن ظلمي وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كثير جرمي، عندما كان من خطأي وعمدي اطمعني...**) كل هذه النعم المتتالية تجعلني اطمع: (**في ان اسألك مالا أستوجبه منك**)، كل تلك التي جعلتني انا الفقير الذي لا أستوجب رحمتك، ان اطرق بابك واسألك من رحمتك الواسعة، (**الذي رزقتني من رحمتك واريتني من قدرتك، وعرفتني من اجابتك**) فكم من المرات، ييأس الانسان من الحياة، و يعجز عن حل مشاكله، الا انه باللجوء الى الله، والطلب منه، تتفتح عليه ابواب رحمة الله، و يريه من قدرته ليزداد ايماناً، و يعرّفه من اجابته لكي لا ييأس بعد

ذلك من شيء، و يعتمد على الله في حل مشاكله.

[فصرت أدعوك آمناً وأسألك
مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً
عليك فيما قصدت فيه اليك، فان
أبطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعل
الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك
بعاقبة الامور]

ـ: حينما يرتكب الانسان خطأ تجاه صديقه، او من هو اكبر منه في اي مجال من مجالات الحياة، ويحاول أن يعتذر عن ذلك الخطأ، تنتابه حالة من القلق: هل سيقبل الطرف الاخر عذره، ام انه سيرده على اعقابه؟ الا اننا بازاء الله سبحانه وتعالى، و بالرغم من كل ذنوبنا، واخطائنا، ومعاصينا، لا نعيش هذا القلق، بل ندعوه وقلوبنا مطمئنة، ونسأله المغفرة ونحن نشعر بالامن: (**فصرت ادعوك آمناً وأسألك مستأنساً**) ولكن بالاضافة الى حالة الاطمئنان والامن القلبي، فانني (مستأنس) أيضاً، لانني اعرف انني مُقبل على مناهل رحمة الله و ينابيع عفوه ومغفرته، وسوف ارتوي منها بكل راحة وأُنس (**لا خائفاً ولا وجلاً**) فما دمت ادعو الرب الرحيم الذي يحب عباده فلا داعي للخوف والوجل، الا ان الانسان المذنب المقصر يذهب ابعد من هذا: (**مدلاً عليك فيما قصدت فيه اليك**) فهو يتدلل على ربه، ولكن كيف؟

(**فان أبطأ عني عتبت بجهلي عليك**) فقد يتأخر الله في الاستجابة لدعوات

الانسان المذنب العاصي لسبب من الاسباب، فينبري بجهله وغروره معاتباً ربه: (**ولعل الذي أبطأ عني هو خيرلي**) فنحن لا نعرف كامل مصالحنا ولا نعرف الحكمة وراء عدم استجابة الله سبحانه وتعالى لبعض دعواتنا، فقد يطلب احدنا من ربه ان يرزقه مالاً كثيراً، او يعطيه سلطة وحكومة، من دون ان يعرف ان المال الكثير، والسلطة تفسده وتجعله ينسى نفسه و يطغىٰ علىٰ الاخرين و بذلك يستحق عذاب الله الشديد، اذن فقد يكون التأخر في الاستجابة لبعض دعواتنا لأجلِ مصلحتنا التي لا نستطيع ان نعرفها.

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السٰموات والارض﴾

(٧١/ المؤمنون)

فالحياة ليست لعبة وانما هي مبنية على اساس مجموعة من الحكم والمصالح التي لا يعرفها الا الله: (**لعلمك بعاقبة الامور...**) فالله وحده يعرف مصائر الناس وعواقبهم، وعلى اساسها قد يتأخر الرب في الاستجابة، وقد لا يستجيب ابداً لبعض الدعوات لانها لا تكون في مصلحة الانسان.

٤ ــ علاقة الانسان.. بالله

[... فلم أرَ مولىً كريماً أصبرَ على عبدٍ لئيم منكَ عليّ يارب، انكَ تدعوني فاولي عنك، وتتحبّبُ إليّ فاتبغضُ اليك، وتتودّدُ اليّ فلا اقبلُ منك، كأنّ ليَ التطولَ عليك، فلمْ يمنعكَ ذلك من الرحمة لي، والاحسانِ اليّ والتفضلِ عليّ بجودِك وكرمِكَ، فارحم عبدَك الجاهل، وجُد عليهِ بفضلِ إحسانِك إنكَ جوادٌ كريم. الحمدُ للهِ مالِكِ الملك، مجري الفلك، مسخِّر الرياح، فالقِ الاصباح، ديانِ الدين، ربِ العالمين. الحمدُ للهِ على حلمه بعدَ علمِه، والحمدُ للهِ على عفوهِ بعد قدرته، والحمدُ للهِ على طولِ أناته في غضبِه، وهو قادرٌ على مايريد...]

[.. فلم ارَ مولىً كريماً أصبرَ على عبدٍ
لئيم منك عليّ يارب، انك تدعوني،
فأولي عنك، وتتحبّبُ اليّ فاتبغضُّ
اليك، وتتودّد اليّ فلا أقبَلُ منك ..]

: ان العلاقة بين الانسان وربه، علاقة غريبة، فبينما الانسان هو

المحتاج والفقير، والمفروض ان يكون هو الذي يسعى نحو ربه و يفتش عن الوسائل التي تقربه اليه زلفىٰ، نجد ان العكس هو الصحيح في اكثر الاحيان، اذ ان الله تعالى هو الذي يدعو الانسان و يتحبب اليه، بينما الانسان يرفض الاستجابة، و يبتعد عن الله استجابة لضغوط الاهواء، والشهوات، ومتع الحياة، وهذه الفقرة من دعاء (الافتتاح) تسلط الضوء على هذه المفارقة الغريبة في علاقة الانسان بربه:

[فلم أرَمولى كريماً أصبرَعلى عبد لئيم
منك عليّ يارب]

بالرغم من حاجة الانسان اليه وعبوديته له، و بالرغم من لؤمه الذي يتجلى في ارتكاب الذنوب والاصرار على المعاصي، الا ان الله يصبر عليه وعلى ذنوبه واخطائه. فلا يوجد الصبر من الله على عباده المذنبين، والدليل على ذلك هو: (**انك تدعوني فاولي عنك**)، فكم يحدث ان الله تعالى يدعونا للصلاة مثلاً عبر المؤذن الذي ينادي في اوقات الفرائض: حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل، الا اننا لانستجيب، ونبقى مشغولين بالاعمال التافهة؟

فالله يدعونا ونحن نوليّ عنه.

(**وتتحبب اليّ فاتبغض اليك**)، فالله يحبك و يريدك ان تحبه، يريد ان تكون العلاقة بينك و بينه علاقة حب متبادلة، ورب العزة بيده كل شيء، وهو يتفضل عليك بالنعم المتواترة حتى تحبه، و يريدك ان تخضع له وتعبده،

وتـطـيـع تـعـالـيـمه حتىٰ يحبك، الا انك ترفض ذلك عملياً: **(وتتحبب اليّ فـاتـبـغـض الـيـك)**، فـكـلـمـا يهدي الله الينا هدايا طيبة حتى نحبه، نحن نعكس الامر ونرسل له بذنوبنا، وفي دعاء أبي حمزة الثمالي:

[ولـم يـزل ولايـزال مـلك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح]

(وتـتـودد الي فـلا أقبل منك)، يرسل الله للانسان رسالة الحب والود، الا ان الانـسـان لايقبل بذلك و يردها دون ان يفتح الرسالة والقرآن هو رسالة الله للانسان، فكم نحن نقرأ القرآن؟

واذا قرأنا القرآن في شهر رمضان المبارك كعادة موروثة، فهل نتدبر في آيـاتـه، ام ان كـل اهتمامنا ينصب على كمية الايات والسور التي نقرأها في كل يوم؟

[.. كأن لي التطول عليك، فلم يمنعك ذلـك مـن الـرحمة لي، والاحـسـان الي، والتفضل علي بجودك وكرمك، فارحم عـبـدك الجـاهـل، وجـد عـلـيـه بفضل احسانك، انك جواد كريم..]

(فأرحم عـبـدك الجاهل، وجد عليه بفضل إحسانك، إنك جواد كريم..)

ـ: هـذا الانـسـان الـعـاجز الضعيف الذي لايستطيع ان يواصل الحياة

لحظة واحدة من دون نعم الله، وألطافه، ومن دون حب الله ووده، يرفض تحبب الله وتودده، وكأن له اليد العليا على خالق الكون، وله الفضل والطول عليه: (**كأن لي التطول عليك**) الا ان هذا النوع من العلاقة السلبية التي يقيمها الانسان بينه وبين ربه لايمنع الله من مواصلة الرحمة والنعمة للانسان: (**فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والاحسان الي، والتفضل علي بجودك وكرمك**)

وفي دعاء ابي حمزة الثمالي ايضاً نقرأ مثل هذه الفقرات:

> **[الحمد لله الذي ادعوه فيجيبني وان كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وان كنت بخيلاً حين يستقرضني... الحمد لله الذي لاأدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي، والحمد لله الذي لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لاخلف رجائي... فربي أحمد شيء عندي وأحق بحمدي]**

وهكذا تحكم بني آدم هذه المفارقة: كلما غمره الله بلطفه ورحمته كلما رد الانسان بالذنب والجفاء، والانسان انما يرتكب الذنب تحت ضغط الشهوات، ووقوع الانسان في الخطأ هو امر طبيعي، والله تعالى يغفر له ذلك.

أما الجفاء فهو أسوأ من الذنب بكثير، وهو يعني ان لايسأل الانسان

ربه، ولايدعوه في شيء، ولايستغفره من ذنوبه، واذا جافى الانسان ربه وقاطعه، فالى من يلجأ؟ وهل هناك غير الله نلتمس منه حوائجنا، ونلجأ اليه في الرخاء والشدة؟

نحن نحيا بلطف الله ورحمته، ونعيش علىٰ ارضه وتحت سمائه، وبيده كل حركاتنا وسكناتنا، فكيف اذن نقاطعه ونجافيه؟

«روي أن الحسين(ع) جاءه رجل وقال: أنا رجل عاصٍ، ولا أصبر علىٰ المعصية، فعظني بموعظة، فقال(ع): أفعل خمسة أشياء واذنب ما شئت. فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني أخرج من ولاية الله واذنب ما شئت، والثالث: أطلب موضعاً لا يراك الله واذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل فى النار واذنب ما شئت» (١)

[فأرحم عبدك الجاهل، وجد عليه
بفضل احسانك انك جواد كريم]

وهكذا يتضرع الانسان الى ربه طالباً رحمته، ومعترفاً بجهله، وحاجته الملحة الى فضل الله واحسانه، وبهذا التضرع ينتهي القسم الاول من دعاء الافتتاح، وكما قلنا سابقاً ان الادعية المأثورة تبدأ عادة بحمد الله وتنزيهه وتسبيحه، ثم بعد ذلك ياتي دور التضرع لله وطلب الحاجات منه، لذلك فان القسم الاول من دعاء الافتتاح إبتدأ بالحمد والثناء والتسبيح ثم انتقل الى الطلب والتضرع، وهكذا ايضاً يبتدأ القسم الثاني

---

(١): بحار الأنوار- ٧٨/ص١٢٦.

بـرحـلـة جديدة في الحمد والتسبيح والتنزيه، ثم ينتقل بعدئذ الى الطلب، وفي هذا القسم يبدأ الطلب بالصلاة على النبي محمد(ص) ثم الصلاة على الائـمـة المـعـصـومين(ع) وفي نـهـايـة الـدعـاء نـجـد مجموعة من الطلبات الاستراتيجية الهامة التي تتعلق بمصير الانسان في الحياة، و بواقعه السياسي و بقضايا المواجهة مع اعداء الامة الاسلامية.

[الحـمد لله مالكِ الملك، مجري الفلك، مـسـخـرِ الـرياح، فالق الاصباح، ديان الدين، رب العالمين]

ـ: ربمـا يـكـون هـنـالـك فـرق بين معرفة الله، و بين مجرد الايمان بالله، فـحـالة (المعرفة) هي حالة متقدمة عن الايمان، اذ ان (المعرفة) هي الرؤية الـقـلـبـيـة المباشرة، وحالة المعرفة والعرفان هي حالة الا تصال الغيبي بين قـلـب الانسان و بين رب الانسان، فكيف تحصل حالة العرفان هذه؟ ان مـن وسـائـل الوصول الى حالة العرفان هو الايمان التفصيلي، او تفصيلات الايمـان، فـنـحـن بصورة مجملة مؤمنون بان هذا الكون الواسع قد خلقه الله سـبـحـانـه وتـعـالى وانـه هو الذي يدبر اموره، هذا هو الايمان، اما اذا اراد الانسان ان يصل الى (معرفة الله) والى اتصال قلبه بالله والى درجة اليقين، فـان عـلـيـه ان يـفـصِّـل هذا الايمان المجمل، وان يتوجه الى كل جزء من مخـلـوقـات الله في الكون و يتدبر في خلقه وصنعه، فيتدبر في خلق الله لهذا الكون، وهذه الشجرة، وهذا البستان، وهذه الشمس، وهذا القمر، وهذه الـنـجـمـة، وهـذه الـكـرة، وهـكـذا... حتى ينبعث في قلب الانسان نور

اليقين، وتغمره حالة المعرفة، و يصل الى ماوصل اليه الامام علي(ع) الذي يقول حسب ماروي عنه:

[مارأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله ومعه وبعده]

فكل شيء يراه الانسان يتجلى فيه اسم من اسماء الله سبحانه وتعالى فحينما يرى الشجرة لايفكر في ثمرتها وقيمتها فقط، بل و يفكر ايضاً في اتقان الصنع وابداع الخلق وجمال الصورة ونظام الحياة، ومن خلال اتقان الصنع يصل الانسان الى اسم الله البديع المدبر، ومن خلال قوة ومتانة الصنع يقول: سبحان الله القوي القدير، ومن خلال تفاعل الشجرة مع الكون، يقول سبحان الله مدبر الامور، المقدر الحكيم. فاذن كل شيء يهدي الانسان العارف الى اسم من اسماء الله، واذا عرف الانسان ربه عبر اسمائه الحسنى سبحانه، فانه يزداد تألقاً في سماء الايمان كلما عرف اسماً جديداً من اسماء الله عزوجل، و يرتقي درجة جديدة من درجات اليقين.

من هنا نجد ان القسم الثاني من (دعاء الافتتاح) يبدأ بحمد الله وثنائه مشيراً الى تفاصيل الابداع والاتقان في الخلق، في محاولة لدفع الانسان المؤمن الى المزيد من التدبر والتفكر في صنع الله ليكسب المزيد من اليقين والمعرفة: (**الحمد لله مالك الملك**) فالملك كله لله: (**مجري الفلك**) ان كل شيء في هذا الكون يجري و يدور، فالارض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس، والشمس بذاتها تدور وتتحرك والكرات كلها في حالة

دوران مستمر فمن الذي يجريها ويحركها؟ هو الله سبحانه وتعالى! هذا هو احد المعاني لجريان الفلك، اما المعنى الاخر فهو: السفينة، فالله تعالى هو الذي يجريها وسط البحار المتلاطمة بواسطة القوانين الطبيعية التي وضعها رب العالمين: (مسخر الرياح) اننا نعرف بان حركة الرياح انما هي بسبب تحولات تحدث في الشمس، فالرياح تحدث في الارض اذا حدث انفجارٌ ما في عمق الشمس، ولكن الامر هو ابعد وادق من ذلك، فالرياح تتحرك بانتظام دقيق، وهي التي تدير الكثير من شؤون الكون، والرياح مثل رسل الله سبحانه وتعالى، تلقح الاشجار وتكشف السحب وتغير الهواء وتجري السفن في اعالي البحار ومئات العمليات الاخرى التي تقوم بها الرياح، فمن الذي ينظمها و يهديها ويحركها غير الله سبحانه وتعالى؟ و بعض الرياح تكون رياح عذاب حينما تهب على القرية المذنبة وتبيدها عن آخرها، بينما القرية القريبة منها تكون بعيدة عن تأثيرات الرياح، ان الرياح لا تعقل شيئاً، فمن الذي يوجهها، ويحركها حسب مصلحة معينة غير الله تعالى؟

(فالق الاصباح) وهو الذي فلق الصبح وجعله ينفجر من ضمير الظلام الدامس لتتنفس الحياة، وتدور عجلة البشرية في نشاط دائب، **(ديان الدين رب العالمين)** والله هو الذي يعطي جزاء الناس ويحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة، لانه رب العالمين.

[الحمدُ للهِ على حلمِهِ بعد علمه،
والحمد لله على عفوه بعد قدرته،

والحمد لله على طول اناته في غضبه وهو
قادرعلى ما يريد..]

-: في هذه الفقرة من الدعاء نجد مظاهر اخرى من المفارقة السابقة التي ذكرناها في علاقة الانسان بربه، فالله تعالى يحلم عن الانسان المذنب العاصي بالرغم من علمه بكل ذلك، فانت قد تغتاب شخصاً لايسمعك، ولكن الله يراك و يسمعك، وما من ذنب يرتكبه الانسان الا و يراقبه الله و يراه، جاء في حديث شريف ان ابراهيم النبي عليه الصلاةوالسلام اراه الله ملكوت السموات والارض وكشف عن بصره الغطاء، فرأى كل مايدورمن احداث: رأى رجلاً يزني بامرأة في مكان ما، وآخر يسرق من بيت ما، وثالث يعتدي على صاحبه و يقتله، وهكذا مجموعة كبيرة من الذنوب والمعاصي، وكان النبي يرى كل ذلك ويملأه العجب، وهو نبي معصوم ويخشى الله سبحانه وتعالى، و يعرف الله حق معرفته.

عن رسول الله (ص) قال:

«إن إبراهيم الخليل لما رفع في الملكوت، وذلك قول ربي *وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين* قوّى الله بصره لما رفعه دون السماء حتىٰ أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وأمرأة علىٰ فاحشة، فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما فهلكا، ثم رأى آخرين فهم بالدعاء عليهما بالهلاك، فأوحى الله اليه:

يا إبراهيم إكففْ دعوتك عن عبادي وإمائي فاني انا الغفور الرحيم، الجبار الحليم، لا تضرني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست اسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي فانما انت عبد نذير، لا شريك في المملكة، ولا مهيمن عليّ ولا علىٰ عبادي، وعبادي معي بين خلال ثلاث: اما تابوا اليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم، وسترت عيوبهم، واما كففت عنهم عذابي لعلمي بانه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون، فارفق بالآباء الكافرين، وأتأنىٰ بالامهات الكافرات، وارفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم، فاذا تزايلوا حق بهم عذابي، وحاق بهم بلائي، وان لم يكن هذا ولا هذا فان الذي اعددته لهم من عذابي اعظم مما تريدهم به، فان عذابي لعبادي علىٰ حسب جلالي وكبريائي..

يا ابراهيم فخلّ بيني وبين عبادي فاني ارحم بهم منك، وخلّ بيني وبين عبادي فاني أنا الجبار الحليم، العلام الحكيم. ادبرهم بعلمي، وأنفذ فيهم قضائي وقدري»(١)

وهكذا نجد ان الله تعالى يحلم عن عباده بعد علمه بكل معاصيهم، وهو قادر على ان ياخذهم الا انه يعفو عنهم (الحمدلله على عفوه بعد قدرته)، وكذلك يصبر الله طويلاً على عبده ولاينزل عليه غضبه، فقد يمهل الله انساناً عشرات السنين وهو سادر في الذنوب والمعاصي لعله يهتدي في النهاية و يعود الى رشده (والحمد لله على طول أناته في غضبه) كل ذلك (وهو قادر علىٰ ما يريد) ولان الله يعفو، ويحلم و يصبر على المذنبين بالرغم من قدرته وجبروته، كان العفو، والحلم، والصبر من اسمائه الحسنىٰ.

(١): بحار الأنوار- ١٢/ص٦٠.

٥ ـ الدعاء ومعالجة الغيب والشهود

[... الحمدُ لله خالقِ الخلق، باسط الرزق، فالقِ الاصباح، ذي الجلال والاكرام، والفضل والانعام، الذي بَعُد فلا يُرى، وقرُبَ فشهِد النجوى.. تبارَك وتعالى، الحمدُ لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولاظهير يعاضده، قهر بعزّته الاعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغَ بقدرته مايشاء...]

● [الحمد لله خالق الخلق، باسط الرزق، فالق الاصباح، ذي الجلال والاكرام، والفضل والانعام، الذي بعد فلا يُرى، وقرب فشهد النجوى... تبارك وتعالى]

ـ: ان التأمل في هذه الفقرة من الدعاء يصل بنا الى عدة افكار من ابرزها ما يلي:

الفكرة الاولى: ان هناك علاقة وثيقة بين (خالق الخلق) و (باسط

الـرزق)، اذ انـه حسب مايبدو لنا من آيات القرآن الحكيم ومن التدبر في طبـيـعـة الـكون الذي نعيشه، هو ان خلق الله سبحانه وتعالى للاشياء لم يـكـن بـتحو يلها من العدم الى الوجود، بل ان ذات الاشياء لا تزال هي: الـعدم. انما الله تعالى رش عليها وميضاً من نور الوجود، فهي موجودة بالله، قائمة به، وربنا هو القيوم على كل شيء ولو ان ربنا ترك الموجودات لحظة واحـدة لانـعدمت، ولم يبقَ منها شيء. ان كل هذه السموات العملاقة، وهـذا الـفـضـاء الـلامـتناهي بما فيه من مجرات هائلة، انما هي قائمة باذن الله:

﴿ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا، ولئن زالتا إن امسكهما من أحدٍ من بعده﴾

(٤١/فاطر)

ان مـفـهـوم الـعـطـاء المستمر والفيض المستمر، هو مفهوم يتناسب مع الـرزق، لان الـذي اعـطـى الـوجـود للاشياء لايزال يعطي لها تكامل هذا الوجود، واستمراريته واحتياجاته بصورة منتظمة.

ان وجـودنـا بـحـاجـة في اسـتـمـراره الى الله سبحانه وتعالى، والوجه الـظاهر لهذه الحقيقة هو رزق الله سبحانه وتعالى، فلو امسك الله رزقه عنا، لـو امـسـك هـذا الاوكـسجين الذي نتنفسه، وهذا الاكل الذي نتغذى به ومـن خـلالـه تـنـمـو خلايا وانسجة جسمنا، لكان مصيرنا الموت بالطبع، ليس الموت وحده، بل والتفتت والتحول الى تراب.

اذن فلو امسك الله تعالى عن الخلق رزقه المستمر، والعطاء المتواصل لانتهى المخلوق، من هنا نكتشف مدى العلاقة بين الامرين:

(خالق الخلق) و (باسط الرزق) فالذي خلق الخلق هو الذي يبسط الرزق و ينشره، والرزق هنا هو اشمل مما يتصوره الانسان في الوهلة الاولى، اذ انه يشمل كل مقومات الوجود واستمرارية الحياة، (فالق الاصباح) وهذا هو الاخر يرتبط بقضية الرزق واستمراريته، اذ ان الصباح هو خير فرصة للجميع للتحرك والسعي لاكتساب الرزق، والله هو الذي يغلق الصبح و يفجره ليتنفس من بطن الظلام: **(فالق الاصباح، ذي الجلال والاكرام)..**

الفكرة الثانية: ان الرؤية الاسلامية هي رؤية عمومية كلية تربط الموجودات الظاهرة بالغيبيات الباطنة.. والحقائق المركبة بالحقائق المجردة، وهذه الفكرة تتجلى في هذه الفقرة من الدعاء، حيث يربط بين الخلق الاول الذي لم نشهده، و بين الرزق المبسوط المتجدد الذي نراه ونلمسه كلّ لحظة، وهذا الرزق المشهود هو خير دليل على ذلك الخلق الغيبي، وهكذا يربط الدعاء بين ذلك الغيب وهذا الشهود، بين ذلك الماضي وهذا الحاضر، بين ذلك الذي لم نره وهذا الذي لا نزال نراه في كل لحظة، هذا من جهة..

ومن جهة اخرى، نرى ان هذه الفقرة تربط بين الخلق الاول والرزق المتجدد وفلق الاصباح وجلال الله واكرامه كمجموعة مترابطة من الحقائق، و بين ان ربنا قريب يسمع النجوى، و بعيد بجلاله وعظمته فهو قريب من جهة، بعيد من جهة، قريب لانه مهيمن، محيط سميع بصير،

و بعيد لانه عظيم جليل لايشبه خلقه، ولا يشبهه خلقه، يقول الدعاء: (الذي بَعُدَ فلا يُرى) هل يستطيع الانسان المحدود ان يرى الله سبحانه وتعالى من ان يُرى؟ انه بعيد من هذه الناحية، بعيد عن رؤية العين و بعيد عن أوهام الخيال (وقرُب فشهد النجوى) لو ناجى الانسان صاحبه بصوت منخفض لايسمعه احد، فان الله سبحانه وتعالى يسمعه قبل صاحبه، ولذلك فهو من هذه الجهة قريب الى الانسان، بل هو اقرب اليه من حبل الوريد: (وقَرُبَ فشهد النجوى تبارك وتعالىٰ..)..

ان تبارك يرمز الىٰ سلسلة من اسماء الله الخالق الرازق الباسط القابض. واسم تعالى يرمز الى سلسلة اخرى من اسماء الله: سبوح قدوس منزه، وكل الاسماء التي تنتهي الى تقديس الله..

● [الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولاشبيه يشاكله، ولاظهير يعاضده، قهر بعزته الاعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغَ بقدرته مايشاء]

ـــ. جاء في حديث مروي عن الامام علي عليه الصلاة والسلام انه قال في صفة المؤمنين:

«عظُم الخالق في أنفسهم فصغر ماسواه في اعينهم»

هذه المعادلة تتجلى في قلوب المؤمنين الصادقين، فكلما عظم الخالق

في انفسهم، كلما صغرت الخلائق في اعينهم، ووجدوا ما دون الله، تافهاً لا يساوي شيئاً ولا يقدر علىٰ شيء، لذلك فان قلوبهم لا تتعلق بحطام الدنيا، ولا يدخل فيها حب الماديات.. بل حب ماسوى الله.

وفي بعض الكتب: ان عيسىٰ(ع) كان مع بعض الحواريين في بعض سياحته، فمروا علىٰ بلدٍ، فلما قربوا منه وجدوا كنزاً علىٰ الطريق، فقال من معه: إئذن لنا يا روح الله ان نقيم ههنا ونجد ونحوز هذا الكنز لئلا يضيع، فقال(ع) لهم: اقيموا ههنا وانا ادخل البلد ولي فيه كنز أطلبه، فلما دخل البلد، وجال فيه رأى داراً خربة فدخلها فوجد فيها عجوزة، فقال لها: انا ضيفك في هذه الليلة، وهل في هذه الدار احد غيرك، قالت: نعم لي ابن مات ابوه و بقي يتيماً في حجري، وهو يذهب الىٰ الصحاري ويجمع الشوك و ياتي البلد فيبيعها، و يأتيني بثمنها نتعيش به، فهيأت لعيسىٰ(ع) بيتاً، فلما جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه الليلة ضيفاً صالحاً. يسطع من جبينه انوار الزهد والصلاح، فاغتنم خدمته وصحبته، فدخل الابن علىٰ عيسىٰ(ع)، وخدمه واكرمه، فلما كان في بعض الليل سأل عيسىٰ(ع) الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها، فتفرس(ع) فيه آثار العقل والفطانة والاستعداد للترقي علىٰ مدارج الكمال، لكن وجد فيه ان قلبه مشغول بهم عظيم، فقال له: يا غلام ارى قلبك مشغولاً بهمٍّ لا يبرح فاخبرني به لعله يكون عندي دواء دائك، فلما بالغ عيسىٰ(ع) قال: نعم في قلبي همٌّ وداء لا يقدر علىٰ دوائه احد الا الله تعالىٰ، فقال: اخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك، فقال

الغلام: اني كنت يوماً احمل الشوك الى البلد فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت الى القصر، فوقع نظري عليها فدخل حبّها شغاف قلبي، وهو يزداد كل يوم ولا أرى لذلك دواء الا الموت، فقال عيسى (ع): ان كنت تريدها انا احتال لك حتى تتزوجها، فجاء الغلام الى امه، واخبرها بقوله، فقالت امه: يا ولدي. اني لا اظن هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به، فاسمع له واطعه في كل ما يقول: فلما اصبحوا قال عيسى (ع) للغلام: اذهب الى باب الملك فاذا اتى خواص الملك ووزراؤه ليدخلوا عليه، قل لهم: ابلغوا الملك عني اني جئته خاطباً كريمته، ثم ائتني واخبرني بما جرى بينك و بين الملك، فاتى الغلام باب الملك، فلما قال ذلك لخاصة الملك. ضحكوا وتعجبوا من قوله، ودخلوا على الملك، واخبروه بما قال الغلام مستهزئين به، فاستحضره الملك، فلما دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزئاً به: انا لا اعطيك ابنتي الا ان تأتيني من اللآليء واليواقيت والجواهر الكبار كذا وكذا.. ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا. فقال الغلام: أنا اذهب واتيك بجواب هذا الكلام، فرجع الى عيسى (ع) فاخبره بما جرى، فذهب عيسى (ع) به الى خربة كانت فيها احجار ومدر كبار، فدعا الله تعالى فصيّرها كلها من جنس ما طلب الملك واحسن منها، فقال: يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به الى الملك، فلما اتى الملك بها تحيّر الملك واهل مجلسه في امره، وقالوا: لا يكفينا هذا، فرجع الى عيسى (ع) فاخبره، فقال: اذهب الى الخربة وخذ منها ما تريد، واذهب بها اليهم، فلما رجع باضعاف ما اتى به اولاً زادت حيرتهم، وقال الملك: ان لهذا شأناً غريباً،

فخلا بالغلام واستخبره عن الحال، فاخبره بكل ما جرى بينه و بين عيسى(ع)، وما كان من عشقه لابنته، فعلم الملك ان الضيف هو عيسى(ع)، فقال: قل لضيفك يأتيني و يزوجك ابنتي، فحضر عيسى (ع) وزوجها منه، و بعث الملك ثياباً فاخرة الىٰ الغلام فالبسها اياه، وجمع بينه و بين ابنته تلك الليلة، فلما اصبح طلب الغلام وكلّمه فوجده عاقلاً فهماً ذكياً، ولم يكن للملك ولد غير هذه الابنة، فجعل الغلام ولي عهده، ووارث ملكه، وامر خواصه واعيان مملكته ببيعته وطاعته.

فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فجأة، واجلسوا الغلام على سرير الملك، واطاعوه، وسلموا اليه خزائنه، فاتاه عيسى (ع) في اليوم الثالث ليودّعه، فقال الغلام: ايها الحكيم ان لك عليّ حقوقاً لا اقوم بشكر واحد منها لو بقيت ابد الدهر، ولكن عرض في قلبي البارحة امر لو لم تجبني عنه لا أنتفع بشيء مما حصّلتها لي. فقال: وما هو؟

قال الغلام: انك اذا قدرت علىٰ ان تنقلني من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا بنفسك، واراك في تلك الثياب، وهذه الحالة، فلما أحضى في السؤال. قال عيسى (ع): ان العالِم بالله و بدار كرامته، وثوابه، والبصير بفناء الدنيا وخستها ودناءتها، لا يرغب الىٰ هذا الملك الزائل، وهذه الامور الفانية، وان لنا في قربه تعالىٰ، ومعرفته ومحبته لذات روحانية، لا نعد تلك اللذات الفانية عندها شيئاً.

فلما اخبره بعيوب الدنيا وآفاتها ونعيم الاخرة ودرجاتها، قال الغلام: فليّ عليك حجة اخرى، لم أخترت لنفسك ما هو اولىٰ واحرى،

واوقعتني في هذه البلية الكبرى؟

فقال له عيسى(ع): انما اخترت لك ذلك لامتحنك في عقلك وذكائك، وليكون لك الثواب في ترك هذه الامور الميسرة لك اكثر واوفى، وتكون حجة على غيرك.

فترك الغلام الملك، ولبس أثوابه البالية، وتبع عيسى(ع) فلما رجع عيسى الى الحواريين. قال: هذا كنزي الذي كنت أظنه في هذا البلد فوجدته والحمد لله.(١)

وحينما تتجلى عظمة الله في نفس الانسان وتصغر الدنيا في عينه، فان كل مصائب الدنيا ومشاكلها تهون امامه، من هنا نرى ان الانبياء العظام يضربون للبشرية خير الامثلة في الصبر، والاستقامة، والتحدي، ومقاومة الضغوط والمشاكل، ذلك لانه عظم الخالق في اعينهم فصغر مادونه في اعينهم، فالنبي ابراهيم عليه الصلاة والسلام، يستجيب لنداء ربه، و يُقدم على ذبح ابنه، ثم بعد ذلك يترك ذريته في أرض لا زرع فيها ولا ضرع، وفي المواجهة مع الطاغوت يُرمى به في لهيب النار، فلا يتكلم ولاحتى بكلمة واحدة، وكذلك النبي نوح الذي صبر تسعمائة وخمسين عاماً يدعو قومه، وهكذا بالنسبة الى بقية الرسل والانبياء فمن اين حصلوا على هذا التعالي والتكامل؟ كيف تساموا على الدنيا وما فيها؟ وكيف استقاموا؟ ان وراءهم ينبوعاً من النور والارادة، ينبوعاً من القوة.

---

(١): بحار الانوار ١٤/ص ٢٨٠.

انه ينبوع الايمان بالله، فقد تجلت عظمة الله في انفسهم فهانت عليهم الدنيا. ونحن بدورنا مدعوون لكي نعمق هذا الايمان الى درجة الاستهانة لكل الصعاب والمشاكل. ان الايمان العميق هو الذي يمنح الانسان قدرة فائقة على الصمود في سجون الطغاة ومقاومة فريدة لكل اساليب التعذيب. والايمان هو الذي يجعل المؤمن المجاهد يستقبل حكم الاعدام بابتسامة عريضة، لان المشنقة سوف تعرج به الى الله سبحانه وتعالى.

ان الايمان بالله وعظمته لايجعلنا نفقد توازننا واستقامتنا في لحظات المواجهة الحاسمة مع الحياة.

والفقرة التالية من الدعاء تشير الى هذه الفكرة: (الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله ولا شبيه يشاكله)، فليس هناك من ينازع الله، و يكون عدلا له، ولا شبيه يشبه ربنا (ولاظهير يعاضده) ثم يقول الدعاء: (قهر بعزته الاعزاء) فكل الاعزاء اذلة ومقهورون لجبار السموات والارض، (وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء)، ان قدرة الله تعالى لا متناهية، وهي تحيط بكل شيء، و بكل ما يشاء ربنا العزيز القدير.

٦ ــ حاجة الانسان الى الله

[.. الحمدُ للهِ الذي يُجيبُني حِين أُناديه، ويَسْتُرُ عليّ كُلّ عَوْرَةٍ وَاَنا اَعْصيه، وَيُعَظّمُ النعمةَ عليّ فلا اجازيه، فَكَم مِن مَوْهِبَةٍ هَنيئةٍ قَدْ اَعْطاني، وعَظيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كفاني، وبَهْجَةٍ مُونقَةٍ قَدْ اراني، فَأُثني عليهِ حامداً، وَاَذكُرُه مُسَبِّحاً، الحمدُ للهِ الذي لايُهْتَكُ حِجابُه، ولا يُغْلَقُ بابه، ولا يُرَدُّ سائلُه، ولا يُخَيَّبُ آمِلُه...]

يتجلى ذكر الله سبحانه وتعالى، عندما يذكر الانسان اسماءه الحسنى، و يذكّر نفسه في ذات الوقت باضطراره وضعفه وحاجته الى الله سبحانه، فلو استطاع الانسان ان يعرف نفسه، وان يصل بمعرفته لنفسه درجة يعلم بها ان كلما اصابه من خير فهو من الله، وما اصابه من شر فهو من نفسه، و يعلم بها ان طبيعته مرتكزة في وحل الضعف والعدم والعجز والعجل، لو وصل الانسان الى هذا المستوى من المعرفة، لوصل الى قمة العبودية وذروة الطاعة له، فالله سبحانه وتعالى يريد ان يعرفك نفسك من

خلال اعمالك الصالحة، واذا عرفت نفسك معْرفة حقيقية فانك تستطيع ان تعرف ربك ايضاً:

(من عرف نفسه فقد عرف ربه)

وبالطبع ليست العملية بهذه السهولة ـ كما قد يتصور بعض الناس ـ اذ ان وصول الانسان الىٰ هذا المستوىٰ من المعرفة بحاجة الى عمل كثير ومركز ومستمر. كيف؟

نستطيع تحديد الاجابة من خلال ما جاء في بعض الاحاديث من: ان الارواح خلقت قبل الاجسام بألفي عام، وانها كانت موجودة في عالم الاشباح وهذا العالم يختلف عن عالم الذر، ثم انتقلت الى عالم الذر، ومن عالم الذر الى عالم النسل ومن عالم النسل تنتقل الى البرزخ، ومن البرزخ الى يوم القيامة، ومن يوم القيامة الىٰ المصير النهائي، اما الى الجنة او الىٰ النار.

عن علي بن احمد، عن محمد بن ابي عبد الله، عن محمد بن اسماعيل البرمكي عن جعفر بن سليمان، عن ابي ايوب الخزاز، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): لاي علة جعل الله عزوجل الارواح في الابدان بعد كونها في ملكوته الاعلىٰ في ارفع محل؟ فقال (عليه السلام): **(إن الله تبارك وتعالىٰ علم ان الارواح في شرفها وعلوها متىٰ ما تركت علىٰ حالها نزع اكثرها الىٰ دعوى الربوبية دونه عزوجل فجعلها بقدرته في الابدان التي قدرها في ابتداء التقدير نظراً**

لها ورحمة بها، واحوج بعضها الىٰ بعض، وعلق بعضها علىٰ بعض، ورفع بعضها علىٰ بعض، ورفع بعضها فوق بعض درجات، وكفىٰ بعضها ببعض، وبعث اليهم رسله، واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين، يأمرون بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الاجل، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم بذلك في الخير ويزهدهم في الشر، وليذلهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك انهم بها مربوبون وعباد مخلوقون، ويقبلوا علىٰ عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الابد وجنة الخلد، ويامنوا من النزوع الىٰ ما ليس لهم بحق.

ثم قال (عليه السلام): يا ابن الفضل! ان الله تبارك وتعالىٰ أحسن نظراً لعباده منهم لانفسهم، الا ترى انهم لا ترىٰ فيهم الا محباً للعلوا علىٰ غيره حتىٰ أنه يكون منهم لمن قد نزع الىٰ دعوى الربوبية، ومنهم من نزع الىٰ دعوى النبوة بغير حقها، ومنهم من نزع الىٰ دعوى الامامة بغير حقها، وذلك مع ما يرون في انفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم ــ يا ابن الفضل ان الله تبارك تعالىٰ لا يفعل بعباده الا الاصلح لهم، ولا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون).(١)

والتأكيد علىٰ قراءة الادعية المأثورة انما هو من اجل ان تتحول روح

---

(١): بحار الأنوار ـ ج٥٨/ص ١٣٣.

الاستقلال، والشعور بالاستغناء والطغيان، الى روح العبودية والذلة والاحساس بالحاجة الى الله سبحانه وتعالى، ولا شك ان العبودية والذلة لله سبحانه، تختلف عنها امام الخلق، فالعبودية لله عِزٌّ، والذل امام الله سبحانه وتعالى فخر، واستعطاء الله غنى، لذلك نقرأ في هذه المقطوعة من دعاء الافتتاح:

[الحمد لله الذي يجيبني حين اناديه]

فانا ضعيف امام الله، واحتاج اليه في كل شؤوني، وحينما اناديه القاه مجيباً (ويستر عليَّ كل عورة وانا اعصيه)، فكل انسان لا يخلو من عورة وعيب، وافتضاح الناس امام بعضهم البعض في الدنيا يعني عجز الانسان عن التعامل مع الاخرين، ولذلك كان الانسان بحاجة الى ان يستر الله عيوبه في الدنياوالاخرة، الا اننا احوج الى ستر الله في الاخرة منا الى ستره في الدنيا. اذ ان افتضاح عيوب الانسان وتعريته في الدنيا لايتعدى الدائرة الاجتماعية الضيقة التي يعيش فيها الفرد، وهي عبارة عن عدد محدود من الافراد بينما في يوم القيامة حيث يقف الواحد منا مع مئات المليارات من البشر، امام الله سبحانه وتعالى، فان افتضاح الانسان وتعريته امام هذا العدد الهائل من الناس لامر صعب وشاق للغاية.

اذن، فنحن نحمد الله على انه يستر عوراتنا، وحمد الله يجب ان يتجسد في الكف عن معصية الله: (ويستر عليّ كل عورة وأنا أعصيه)

فستر الله تعالىٰ على الانسان يجب ان يتحول الى رادع عن المعصية، وليس دافعاً، للتوغل في الذنوب، واذا لم يكن للانسان ايمان راسخ يمنعه عن المعصية، فلا بد ان يتمتع -على الاقل- بالحياء من الله الذي يستر العيوب والعورات عن الخلائق.

[ويعظم النعمة عليّ فلا اجازيه]

فالله تعالىٰ يبارك لنا في حياتنا، بل كل جزء من حياتنا هو نعمة عظيمة من الله، الزوجة والاولاد نعم من الله، والعزة والحرية والقدرة هي الاخرى نعم من الله، الا اننا بازاء كل نعم الله العظيمة لا نجازيه، بل نواصل العيش غافلين عن كل ذلك: (**ويعظم النعمة عليّ فلا اجازيه.. فكم من موهبة هنيئة قد اعطاني وعظيمة مخوفة قد كفاني**).

ان مواهب الله غالباً ما تكون واضحة يعرفها الانسان و يلمسها في حياته،و احياناً يشكر الله عليها، الا ان لطف الله الخفي هو ما يدفعه الله عن الانسان من عظائم الامور والاخطار، فالانسان معرض في اية لحظة لمئات الاخطار والمشاكل: للمرض، والفقر، والهزيمة، والموت. والله تعالىٰ هو الذي يدفع كل ذلك عن الانسان.

﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله﴾

(١١/الرعد)

فلكل انسان عدد من الملائكة الذين وكلهم الله به، وهم بمثابة

الحراس الذين يحفظونه من التعرض للاخطار، ولو عاد كل واحد منا الى نفسه لتذكر عشرات الموارد التي كاد يتعرض فيها لاخطار جسيمة، الا ان يداً غيبية كانت تنقذه، وتدفعه بعيداً عن ذلك.

يقول الطب الحديث ان السبب الظاهر لمرض السرطان هو وجود خلية فاسدة في اي منطقة من مناطق الجسم، تقوم هذه الخلية بتوليد المثل فتحول كل الخلايا المجاورة لها الى خلايا فاسدة ايضاً، وحينذاك تتسع الرقعة لتشمل مساحة كبيرة من الجسم يستحيل علاجها على الطب.

و يضيف الطب الحديث: ان هذه الخلية الفاسدة هي موجودة في كل جسم منذ الولادة، الا انها غير نشطة لاسباب غير معروفة طبياً، ويحدث احياناً وفي بعض الاجسام ـولاسباب غير معروفة ايضاًـ ان تنشط وتتحرك هذه الخلية الفاسدة وتقوم بافساد اكبر قدر ممكن من الخلايا المجاورة شيئاً فشيئاً.

اذن، فكل واحد منا مهدد بالاصابة بهذا المرض الخطير، وكل لحظة من حياتنا يمكن ان تتحول الى لحظة النهاية والموت بالسرطان، لكن الله سبحانه وتعالى يبعد كل هذه التهديدات وهذه المخاطر عنا، هل نحن نشكره؟ كلا..

(فكم من موهبة هنيئة قد اعطاني، وعظيمة مخوفة قد كفاني، وبهجة مونقة قد اراني)، ان كل مافي الحياة من جمال وروعة يعطيه الله لنا، وهو دليل اخر على ضعفنا وحاجتنا الى رحمته وفضله، ولكن كيف؟

: احيـانـاً حـينما تكون في الصحراء قد ضقت ذرعاً بالظلام والبرد والـوحـشـة فـترى الصبح بتألقه وضيائه يقدم عليك فينفتح قلبك، وتنشرح نفسك، وتجدد آمالك، هذه هي البهجة المونقة، والروعة والجمال، واحياناً تـكـون جـالـسـاً عـصراً في جو حار وخانق ومزعج، وفجأة ترى السماء قد امـتـلأت سـحـابـاً وامـطـرت مـطـراً حسناً، والجو آخذ في البرد، فتنتعش وتغمرك بهجة مونقة.

إذن، فـهناك لحظات البهجة والسرور يغمر الله الانسان بها ليشعر انه بـحـاجـة الـىٰ الله دائـماً وابداً.. (**وبهجة مونقة قد اراني، فاثني عليه حامداً، واذكره مسبّحاً..**).

فـمـن جـهـة اثني على الله أي أذكره بالخير، وأحمده، وفي نفس الوقت اجـري ذكر الله على لساني واسبحه وانزهه عن ان يشبه المخلوقين: (**الحمد لله الـذي لا يُـهـتـك حـجـابـه**)، هـل اسـتـطـاع احد ان يصل الى الله سبحانه وتعالىٰ؟ فحجابه لا يهتك، وهو مستور في سرادقات عرشه و بعزة مجده (**ولا يُـغـلـق بـابـه**)،. ابـواب الـنـاس تغلق في الليل، حتىٰ اكثر الحكومات عدالة تـغلق مكاتبها في فترات معينة من اليوم الا ان ابواب الله تبقىٰ مفتوحة في اي وقـت مـن الاوقـات، يـسـتطيع الانسان ان يطرقها في اية لحظة يحتاج فيها الى ربه: (**ولا يغلق بابه، ولا يرد سائله**) وحينما يطرق الانسان باب ربه فانه لابد ان يجد الاجابة الملائمة، فالله لا يرد من يسأله و يدعوه (**ولا يخيب آمـلـه**)، لا يـحـتـاج الانـسـان ان يـسـأل ربـه، بل يكفي ان تأمل ربك في قـلبك، حتىٰ تجد الله عند قلبك المنكسر، فالله يستحيل ان يخيب آمله، الا

ان الـشـرط هـو ان لا نـخـادع انـفـسـنا، وان يكون أملنا في الله وحده، لا نشرك به أحداً.

٧ــ الاعتماد على الله

[الحمدُ للهِ الذي يُؤمِنُ الخائفين، ويُنَجّي الصالِحين، ويَرْفَعُ المُستَضْعَفين، ويَضَعُ المُستَكْبِرين، وَيُهْلِكُ مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ آخَرين، والحمدُ للهِ قاصِم الجَبارين، مُبيرِ الظالِمين، مُدرِكِ الهارِبين، نكالِ الظالِمين، صَريخِ المُسْتَصْرِخين، مَوْضِعِ حاجاتِ الطالِبين، مُعْتَمَدِ المؤمنين، اَلحَمْدُ للهِ الذي مِنْ خَشْيَتِه تَرْعَدُ السماء وَسُكانُها، وتَرْجُفُ الارضُ وعُمّارُها، وتَمُوجُ البِحارُ، وَمَنْ يَسْبَحُ في غَمَراتِها. اَلحَمدُ للهِ الذي هَدَانا لِهذا وما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لولا اَنْ هَدانا الله، اَلْحَمْدُ للهِ الذي يَخْلُقُ وَلَمْ يُخْلَق، وَ يَرْزُقُ ولا يُرْزَق، وَيُطْعِمُ ولا يُطْعَمْ، وَيُميتُ الاحياء، وَيُحييُ المَوْتىٰ، وَهو حَيٌّ لايَمُوت، بِيَدِه الخير، وَهو على كلِ شَيءٍ قَدير..]

تعالج الادعية المأثورة واقعاً نفسياً للانسان ينعكس في تصرفاته الاجتماعية، وعندما نتأمل في فقرة من فقرات الدعاء لابد ان نتساءل: اي واقع تعالجه هذه الفقرة؟ واي انحراف تصححه؟ واي ضعف يسعىٰ

الدعاء من اجل ان يجبره؟ واي عجز يسعى من اجل أن يقيمه؟

وبتعبير اخر: ما هو الهدف المباشر وراء هذه الكلمة او تلك من الدعاء؟

وحينما نتعمق في كل ذلك فانه ينفعنا اولاً في معرفة نواحي الضعف في انفسنا، وثانياً في معرفة كيفية معالجة هذه النواحي عبر الدعاء وعبر ما يثيره في انفسنا من احساسات، وما يعلمنا من دروس.

وفي حالة التأمل في كلمة من كلمات الدعاء، يجب ان لانقتصر على فهم الدعاء فحسب، وانما علينا ان نصل الى تلك الطريقة التي اتبعها الدعاء من اجل معالجة هذه الناحية من النقص في انفسنا، واذا وصلنا الى تلك الطريقة فيمكن ان نستفيد منها ولو بصورة غير صورة الدعاء.

فمثلاً علينا ان نسأل: من اجل ماذا تسعىٰ هذه الفقرة من الدعاء؟

الجواب: انها تجبر ضعفاً موجوداً في واقع النفس البشرية، انه ضعف الانسان امام الطبيعة وخوفه منها، ضعف الانسان امام المجتمع وخشيته منه،ضعف الانسان امام السلطات التي تمثل القوى الاجتماعية وخوفه منها، هذا الضعف لابد أن يجبر لكي يتكامل الانسان، فالانسان الخائف الذي يخشى الطبيعة، او المجتمع، او السلطة الفاسدة الحاكمة،لا يكون انساناً متكاملاً ولا مستقلاً، بل اكاد اقول ولا انساناً مؤمناً، لان المؤمن لا يكون جباناً، ان المؤمن الذي يترك دينه خوفاً من الناس وخوفاً

من المجتمع وخوفاً من الطبيعة، ماذا ينفعه ايمانه؟ الايمان هو سلاح الانسان ضد الطبيعة، والحصن الذي يحافظ على استقلال المؤمن، فاذا كان هذا الحصن مخترقاً، فكيف ينفع الانسان؟ ماذا ينفع الايمان الذي لا يحصن استقلالك؟ انه يشبه الدواء الذي لا ينفعك في حالة المرض،و انما يفيدك فقط حينما تكون متمتعاً بكامل صحتك.. فما هي فائدة هذا الدواء اذن؟

الايمان هو حصن المؤمن وسلاحه، والانسان يستخدم سلاحه ضد عدوه، وضد كل ما يخاف منه،والانسان بطبيعته وفطرته يخشى الطبيعة، يخشى الظلام، والهوام والدواب، يخشى الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والرياح، ومن هنا نشأت عبادة البشر-عبر التاريخ- للظواهر الطبيعية، اذ انهم كانوا يخشونها فيتحولون الى عبادتها، ولذلك كان كل مجتمع يعبد الظاهرة الطبيعية التي يعايشها ويخاف منها، فمنهم من يعبد الرعد، والبرق، والسحاب، ومنهم من يعبد البحر اذا كان يعيش على سواحل البحار، وهناك من يعبد النهر لانه يسكن على شاطئه، وهكذا نجد الاقباط السابقين في مصر كانوا يعبدون النيل لانهم كانوا يعيشون على ضفافه وكانوا يطعمونه كل عام واحدة من أجمل فتياتهم.

ولهذا السبب كان جماعة من الناس يعبدون رؤساء العشائر رموز القوة الاجتماعية، وكانت الاصنام عادة رموزاً لقوى اجتماعية معينة.

كل ذلك لان في طبيعة الانسان تكمن حالة الانسحاب والتبعية،

حالة الذل التي تجعله يعبد ما يخشاه ويخافه.

وهـذه الفقرة من الدعاء تجبر هذا الضعف البشري، اذ تقول للانسان بـانـك قوي حتىٰ ولو لم تملك السلاح، والقوة المادية، اذ انك تملك التوكل على الله والاعـتـمـاد عـليه، تملك سلاحاً امضىٰ من اي سلاح، وهو سلاح الدعاء، فعندما تدخل علىٰ حاكم فاسد جبار، اقرأ هذا الدعاء لكي تغمر قـلـبك قوة في المواجهة، وعندما تواجه انحرافاً اجتماعياً، فاقرأ هذا الدعاء حتىٰ يمنحك القدرة علىٰ مقاومته وتصحيحه.

اذن، فـان كـل دعـاء يـعـالـج واقـعـاً نفسياً، وضعفاً قائماً في النفس الـبـشـريـة، وعـنـد الـتدبر في الدعاء يجب ان نحاول اكتشاف الاهداف المبـاشـرة من وراء كل فقرة، وكلمة، على هذا الاساس نواصل التدبر في هذه الفقرة من دعاء الافتتاح:

[الحمد لله الذي يؤمن الخائفين..]

الخوف هـو الـوتـر الحساس في حياة الانسان، والذي تؤكد عليه هذه الفقرة من الدعاء في بدايتها، فالذي يخاف و يرتجف من السلطان الجائر، كـيـف يـسـتطيع مقاومته، والذي يخاف الطبيعة ومظاهرها، كيف يمكنه تـسـخـيـرهـا والاسـتـفـادة منها.. اذن باي حبل يستطيع هذا الخائف ان يـعتصم حتىٰ يطمئن قلبه، وتسكن نفسه؟ الجواب: بحبل الله الذي يؤمن الخـائـفين، والمؤمـن هـو مـن اسـمـاء الله الحسنىٰ (وينجي الصالحين)، اذا كـانـت اعـمـالـك صـالحـة فـلا تخشى احداً او شيئاً لان الله تعالىٰ سوف

ينجيك و ينقذك اذا واجهت اية مصاعب، **(ويرفع المستضعفين)**، واذا استضعفك الاخرون.. سلبوا قدراتك واستثمروك اقتصادياً واعلامياً، واغلقوا في وجهك مسارب الحياة والتقدم فان هناك رب العزة الذي يرفع المستضعفين و ياخذ بايديهم الى ساحل النجاة والحياة الحرة الكريمة، ولكن بشرط واحد هو ان تبقىٰ في نفس المستضعف شعلة الامل متوهجة، وان لا ينتهي الىٰ اليأس والقنوط والاستسلام للواقع الفاسد.

(ويضع المستكبرين)، لايمكن ان يستمر الطغاة والمستكبرون في تسلطهم الظالم علىٰ الشعوب المستضعفة، ان هذا لا يتفق مع سنن الله في الحياة، فلا بد ان يُدحر الله كل المستكبرين والطواغيت، وان يرفع في مكانهم الذين استُضعفوا ويجعلهم ائمة.

(ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين)، ان هؤلاء الملوك، والطغاة، والجبابرة الذين يمسكون بين اصابعهم مصائر الشعوب، و يتلاعبون بمقدرات الامم المستضعفة، لا يشكلون قوة حقيقية في الحياة، فالله القاهر يهلك الملوك و يقضي على الطغاة و يستخلف مكانهم آخرين.

(والحمد لله قاصم الجبارين)، الذين يتجبرون في الارض ويحسبون انفسهم انصاف آلهة و يزرعون الخوف والهلع في قلوب الجماهير و يعيثون في الأرض فساداً سوف يقصم الله ظهورهم **(قاصم الجبارين مبير الظالمين)**، أما الظالمون الذين يظلمون الناس فان الله يهلكهم عن اخرهم و يبيدهم ابادة تامة، وما أكثر عبر الحياة في هذا المجال، فاين هؤلاء الذين كانوا يظلمون الناس في هذه البلاد (ايران)؟

لـقـد ابـادهم الله، وشتت شملهم في آفاق الارض، **(مُدرك الهاربين)**، وهـل يستطيع الظالم ان يهرب؟ اجل، قد يهرب من ايدي المظلومين، الا انـه لايستطيع الهرب من الله القاهر الجبار، فالله مدركه اينما يولي وجهه، فـهـو **(مـدرك الهـاربين نـكال الظالمين)**، سوف يعذبهم عذاباً شديداً، **(صريخ المستـصـرخين)**، ذلـك الـذي يـسـتـصرخ ر به،و يدعوه الى اغاثته، فان الله صريخه، اي يجيبه و يكون عند استغاثته. **(موضع حاجات الطالبين)**، الذين يـطـلـبـون مـن الله حـاجاتهم مهما تكن كثيرة، فان الله موضع حاجاتهم يـسـتـجـيـب لهـم، فـان الآمـال والطموحات الكبيرة لا تتحقق الا بالله، **(مـعـتـمـد المؤمـنين)**، أمـا المؤمنون فانهم يعتمدون علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ و يتوكلون عليه، هذا بالنسبة الىٰ الطغاة والقوى الاجتماعية.

اما في مجال القوى الطبيعية، فيقول الدعاء:

(الحـمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها)، الانسان يخشىٰ السماء ومـا فـيـهـا مـن رعـود و بـروق، و يرجو رحمة الله من السماء ايضاً، الا ان الحقيقة هي غير ذلك، فالسماء لا تشكل خطراً يُخاف منه، اذ ان السماء وسكانها ترتعد من خشية الله سبحانه وتعالىٰ فلماذا نخشىٰ الطبيعة اذن؟

(الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها، وترجف الارض وعمارها)، فـالارض والـذيـن يعمرون الارض ويحيونها يرتجفون خوفاً من الله وخشيته **(وتمـوج البـحـار ومن يسبح في غمراتها)**، هذه الحيوانات البحرية الهائلة، التي يزن بعضها (١٠٠) طن، و يصل طول بعضها ثلا ثين متراً، كل هذه ترتعد

فرقاً وخشية من رب العالمين..

اذن، يجب ان لايخشى الانسان المؤمن الظواهر الطبيعية.. ان لا يخاف السماء والارض والبحار، فكل هذه مخلوقات لله ومسخرات بأمره.

والآن، ما دمنا قد وصلنا الى هذه المرحلة واكتشفنا بان الملوك، والجبابرة والظالمين والمستكبرين لايشكلون اية قوة بازاء الله رب العالمين، وانه سوف يبيدهم عن آخرهم، وان السماء والارض والبحار وكل ظواهر الطبيعة ليست عدوة الانسان حتىٰ يخاف منها ويخشاها، بل هي كلها ترتعد وترتجف امام ملكوت الله، علينا اذن ان نحمد الله على هدايته ايانا الى هذه الحقيقة الايمانية.. لقد كنا سابقاً نخشى مخلوقات الله فنعبدها من دونه، ولكن الله هدانا الىٰ الصراط السوي.

(الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله)، فالله تعالىٰ هو الذي يعّرف نفسه بنفسه، ولولا هداية الله للانسان لظلّ سادراً في غوايته، والانسان هو المخلوق العاجز الضعيف الذي يحتاج الله في كل شيء، والله هو الغني القيوم، هو الذي يخلق الاشياء، ولا يخلقه شيء، و يرزق الانسان ولا يحتاج الى رزق احد، و يُطعم البشر ولا حاجة له الى الطعام.. بيده الموت والحياة والنشور.. بل هو القادر على كل شيء ولا يعجزه امر:

[.. الحمد لله الذي يخلق ولم يُخلق، ويرزقُ ولا يُرزَق، ويُطعِمُ ولا يُطعَم، ويُميت الاحياء، ويُحي الموتىٰ، وهو حي لا يموت.. بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير..]

٨ــ معرفة الرسول

[... اللهم صَلِّ علىٰ محمدٍ عبدِك، وَرسولِك، وَاَمينِك، وصفيِّك، وحَبيبِك، وخِيرَتِك من خلقك، وحافِظِ سِرِّك، وَمُبَلِّغِ رِسالاتِكَ، اَفضَل واَحسَن واَجمل واَكمل واَزكىٰ واَنمىٰ واَطيبَ واَطْهَرَ واَسْنَىٰ وَاَكْثَر ما صَلَيْتَ وباركْتَ وتَرحَّمْتَ وتَحَنَّنْتَ وسَلَّمْتَ على احدٍ من عبادِك وانبيائِك ورُسُلِك وصِفْوتِكَ، واَهلِ الكرامةِ عليكَ من خلقك...]

كانت الفقرات السابقة من دعاء الافتتاح تركز ـ في الغالب ـ على المفردة الاولى من مفردات الدعاء، وهو: ذكر الله سبحانه وتعالىٰ، والتذلل له في مقام العبودية، اما الفقرات التالية فانها تدعو الى ترسيخ العقائد الاسلامية، ومن ابرز هذه العقائد بعد ذكر الله و بعد الايمان به ومعرفته، هو معرفة الرسول (ص) ومعرفة الائمة الهداة من آل بيته (ع)، و بالطبع لا تكفي هنا المعرفة الفوقية التي نسميها بالاسلام، بل لابد ان تتحول هذه المعرفة الى معرفة راسخة في قلب الانسان، تنعكس على

اعماله وتصرفاته، و بالذات فيما يخص اولياء الله من الانبياء والصديقين والـصـالحين، اذ يجـب ان تتحول المعرفة الى حب، والى نوع من الانسجام النفسي يجعل الانسان يتبعهم دون صعوبة، يقول الدعاء:

[اللـهـم صَـلِّ على محـمـد عـبـدك ورسـولـك وأمـينك، وصفيك وحبيبك، وخـيـرتـك مـن خـلـقك، وحافظ سرك ومـبلغ رسالا تك افضل واحسن واجمل واكـمـل وازكـىٰ وانمـىٰ واطيب واطهر واسـنـىٰ واكـثـرمـا صـلـيـت وباركت وتـرحمت وتحننت وسلمت على احد منٰ عـبـادك وانـبـيـائـك ورسـلك وصفوتك واهل الكرامة عليك من خلقك]

تحـتـوي هـذه الـفـقرة على عدة مفردات ابرزها الصلاة على النبي، ثم الـصـلاة مـن طـرف خـفـي على الصديقين والانبياء والصالحين والسابقين على النبي، ومن ثم تحديد صفات النبي(ص). والان لنتأمل في كل فقرة مـن الفقرات، وفي البدء نسأل: ماذا تعني الصلاة على النبي؟ ولماذا نحن مـعـنـيون بهذه الصلاة ونؤكدها ونقدمها بين يدي دعواتنا الىٰ الله سبحانه وتعالىٰ. لماذا؟

ان فلسفة الصلاة على النبي تتحدد من خلال النقاط الثلاث التالية:

الـنقطة الاولى: تحديد العلاقة بيننا و بين الرسول، وهي علاقة الحب

والعطاء، لقد بذل الرسول (ص) مجهوداً ضخماً لتبليغ الرسالة الاسلامية، وتحمل المسؤوليات الجسام في هذا السبيل، وقد هدانا الله بسببه، فما هو عطاؤنا للرسول؟

نحن لا نملك شيئاً نعطيه لرسول الله (ص)، وهو الاخر لايطلب منا اجراً، ان نهاية الاعتراف بالشكر للرسول (ص) تكمن في الصلاة عليه، في ان ندعو الله ليجزيه خير الجزاء.

إن شكرنا لخدمات رسول الله وجهوده ومساعيه (ص) من اجل انقاذنا وانقاذ البشرية من ظلمات الجهل والجهالة والشرك، هو ان ندعو الله بان يجزيه اجراً حسناً.

النقطة الثانية: تحديد العلاقة بين الله والرسول (ص) وهي الاخرى علاقة العطاء، فليس رسول الله ابناً لله سبحانه وتعالى، ولا هو غني عن رب العالمين، بل العكس تماماً، انه عبد ومحتاج الى الله، وهذه العلاقة هي العلاقة بين رسول الله و بين رب العالمين، لذلك فاننا نطلب من الله ان يعطي للرسول، وهذا لايكون الا بسبب حاجة الرسول الى رحمة الله سبحانه وفضله وعطائه.

النقطة الثالثة: كما سبق وان قلنا اذا دعا الانسان بلسان غيره فسوف يُستجاب دعاؤه، فدعاؤك لي مستجاب، ودعائي لك مستجاب ايضاً، وبما اننا قد اذنبنا، فاننا لانملك وجوهاً كريمة امام الله، وان ذنوبنا تحول بيننا و بين الله، لذلك فاننا ندعو لرسول الله ونصلي عليه، وهو(ص)

يدعو لنا، ودعاء الرسول شفاعته:

﴿ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم
جاءوك فاستغفروا الله، واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾
(٦٤/النساء)

لو ان الرسول يدعو لنا و يشفع لنا فان دعاءه مستجاب، وهذا لايعني ان دعاء الرسول او استغفاره لقومه يحتم على الله شيئاً، ولكن يعني ان وجه الرسول كريم عند الله ونحن نقدم هذا الوجه بين يدي حاجاتنا ونتوسل الى ربنا فيستجيب الله سبحانه.

أما المفردة الاخرى في هذه الفقرة من الدعاء، فهي بيان مواصفات الرسول (ص) وابرزها ما يلي:

ـ: (إنه عبد الله) اننا نقول عادة اشهد ان محمداً عبده ورسوله، وهذا يعني اننا نقدم صفة العبودية على صفة الرسالة، والسبب في ذلك هو اننا نريد أن ننفي عن انفسنا غبار الشرك، لان الانسان حينما يعظم احداً في نفسه، يقع فريسة لوساوس الشيطان التي تدعوه الى اشراكه في عبادة الله، لذلك فاننا نؤكد على ان رسول الله (ص) بالرغم من عظمته وشرف مقامه، الا انه بالتالي عبد لله سبحانه وتعالى، وهذا امر ضروري للغاية، لان كثيراً من الناس حينما يحبون احداً، يدفعهم حبهم لكي

يـرفـعـوا المحبوب الى مستوى الالوهية وهذا خطير جداً، اذ ان رفع الاولياء او الانبياء والصالحين الى مستوى الالوهية يضع حجاباً بين الانسان و بين الاقتداء بسيرة صاحب الشأن.

ــ: (ورسـولـك وامـيـنـك)، انـه حمل رسالة الله الينا، وكان اميناً في رسـالـته لم يغير ولم يبدل، ان ايماننا بامانة رسول الله يجعلنا نعتقد بان اي مخالفة صغيرة او كبيرة لرسول الله تعني مخالفة لله سبحانه وتعالىٰ:

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾

(٧/الحشر)

ــ: (وصـفيك)، ان الله تعالى اصطفىٰ الرسول من بين خلقه، اي انه لو كان في عصر الرسول من هو اكثر جدارة بحمل الرسالة لكان الله يجعل رسـالـتـه في ذلـك الانـسـان، اذن اخـتيار الله للرسول انما كان بسبب انه كامل الشخصية، وليس عبثاً ومن دون حكمة.

ــ: (وحـبـيـبـك) والرسول هو حبيب الله، يحبه الله وهو يحب الله، ونحن نـحـب الـرسول، وفي مهرجان الحب يشترك الجميع، فيرتفعون الى مستوى التفاعل والانسجام.

ــ: (وخـيرتك من خلقك)، اي الذي اخترته من خلقك وهذا المعنى قريب من معنىٰ (صفيك).

ـــ: (وحافظ سرك)، فلله تعالىٰ سر مستودع عند رسوله، وهذا السر ينتقل عبر اولياء الله، اذن، هنالك اشياء لم نعلمها، وهي مفهومة للقيادة المعصومة.

ان عقولنا مهما سمت فهي لا تصل الى مستوى عقول القيادة.

ـــ: (ومبلغ رسالاتك)، تبليغ الرسالة ليس عملاً سهلاً لان تبليغ الرسالة يعني ان الانسان يتجرد عن كل شيء:

﴿يا أيها الرسول بلغْ ماأُنزل اليك من ربك وانْ لم تفعلْ فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾
(٦٧/المائدة)

أما المفردة الثالثة وهي طبيعة الصلاة، فالدعاء يصف الصلاة على النبي بـ(أفضل واحسن واجمل واكمل وازكى وانمى واطيب واطهر واسنىٰ...)

فماذا تعني هذه الكلمات؟

الجواب: ان الصلاة تعني رحمة الله سبحانه وتعالىٰ لعباده، وهي ليست بشكل واحد ولا بدرجة واحدة، ولا تاتي في ظرف واحد، ان رحمة الله مختلفة درجاتٍ وأوقاتٍ وألواناً، ونحن نطلب لرسول الله أفضلها واحسنها واجملها، واكملها وازكاها.. والتعابير هذه تدل على نوع الرحمة

التي نطلبها لرسول الله (ص).

ثـم ان الـصـلاة على الـنـبـي (ص) لا تعني منع الصلاة على عباد الله الـصـالحين. ان رحمـة الله واسـعـة تشمل الرسول وغير الرسول، لذلك يقول الـدعـاء: (... وأكـثـر ماصليت و باركت وترحمت وتحننت وسلمت على احـد مـن عـبـادك وانـبـيـائـك ورسلك وصفوتك واهل الكرامة عليك من خـلـقـك)، هذه الصلاة هي من طرف خفي، و بصورة غير مباشرة لانبياء الله والصالحين من عباده وصفوته واهل الكرامة عليه.

وهـنـا يجب ان نشير الى اننا -بالرغم من صلا تنا على الرسول- الا اننا مـقـصـرون بـازائـه، ذلـك لان المـطـلـوب منا هو ان نعرف سيرته وآدابه، واخـلاقـه الحـسـنـة، ثـم نـقـتـدي به عملياً في حياتنا اليومية، الا اننا نرى الاكـثـرية الساحقة من المسلمين لايعرفون سيرة الرسول، ولا يقرأون كتاباً واحداً حول الرسول طيلة حياتهم، فكيف يواجهون غداً رسول الله (ص)؟

ان مـن ابسط حقوق الرسول علينا هو ان نقرأ سيرته ونتعمق في حياته ثم نطبق كل ذلك في سلوكنا بشكل كامل.

٩ــ معرفة الوصي

بسم الله الرحمن الرحيم

[... اللهم وصلّ علىٰ علي اميرِ المؤمنين، وَوَصي رسولِ ربِ العالمين، عَبْدِكَ وَوَليكَ، واَخي رسولك، وَحُجَّتِكَ علىٰ خَلقِك، وآيَتِك الكُبرى، والنَبأِ العظيم...]

بعد الصلاة علىٰ الرسول، ينتقل الدعاء للصلاة علىٰ وصيه وخليفته من بعده وهو الامام علي ابن ابي طالب..

ان في صلاتنا ودعائنا للامام علي نفس الفوائد ونفس المفردات التي ذكرناها في الصلاة على النبي محمد(ص)، ونحن ايضاً لا نستطيع ان نقدم للامام علي(ع) الذي غيّر مسار التاريخ والذي اعطانا نموذجاً للحكومة الاسلامية، والذي لم يدعْ طاقة ولا قوة يمتلكها الا بذلها في سبيل الله، نحن لا نملك ان نقدم له شكراً او اجراً وانما فقط نستطيع ان نصلي عليه وندعو الله لكي يؤتيه اجره، و يرضيه عنا بما شاء سبحانه

وتعالىٰ (اللهم وصل علىٰ علي امير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين عبدك ووليك واخي رسولك)، كما في الرسول كذلك في الامام، يجب ان لا يدفعنا تعظيمنا له وحبنا اياه، الىٰ تأليهه، والغلو فيه، فهو عبد لله وولي من اوليائه الصالحين، واخو رسول الله، وحجة الله على خلقه:

[وحجتك على خلقك وآيتك الكبرى]

في هذه الفقرات تستوقفنا كلمة (وآيتك الكبرى)، فكيف يكون الامام علي عليه الصلاة والسلام الاية الكبرى لرب العالمين؟

قبل ان نجيب عن هذا السؤال لابد ان نشير الىٰ حقيقة ان كل شيء في الكون هو آية لله سبحانه وتعالىٰ:

[وفي كل شيء له آية تدلّ على انه واحد]

وتتفاضل آيات الله سبحانه وتعالىٰ، ليس بالنسبة الى الله، لان الله عزوجل يخلق الكون من دون ان يتعب او يمسه لغوب، انما اذا اراد شيئاً يقول له: (كن) فيكون، وخلقه لملايين المجرات لا يختلف عن خلقه للبعوضة الصغيرة، وانما تختلف الايات بالتفاضل فيما بينها، وبما اعطاها الله سبحانه وتعالىٰ من قدرات. ومن آيات الله التي نعرفها وهي قريبة منا الملائكة الذين يعتبرون من أعظم آيات الله سبحانه وتعالىٰ، لان ملائكة الله هم الموكلون بالكون، فيهم حملة عرش الله وملائكة السماء وملائكة الارض والبحار، والرياح، والجبال، وكل هذه تستجيب لامر الله عبر ملائكته الموكلين بها، واذا عدنا الىٰ سورة البقرة نجد ان الله

سبحانه وتعالىٰ امر جميع ملائكته بالسجود لآدم ابي البشر!

لماذا؟ لان آدم هو خليفة الله، وهو مستودع روح الله سبحانه:

﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾

(٢٩/الحجر)

ذلك الروح الذي يقول عنه ربنا في آية اخرى.

﴿ويسألونك عن الروح قلْ الروح من امرِ ربي وما أوتيتُم من العلم الا قليلاً﴾

(٨٥/الاسراء)

و يقول سبحانه وتعالى عنه ايضاً:

﴿ليلة القدر خير من الف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر * سلام هي حتىٰ مطلع الفجر﴾

(٣ــ٥/ القدر)

ان هذا الروح الذي نفخ الله منه في آدم هو من أهم خلق الله، يؤيد به الله عباده المكرمين، لذلك امر الله كل ملائكته فيما بينهم حملة عرشه، والكروبيين، وملائكة السموات والارض، وملائكة المجرات المختلفة كلها، ان يسجدوا لآدم.. لماذا؟ لان آدم فيه الروح! اذن، فان آدم الذي

استوعب الروح ونفخ الله فيه من روحه اصبح افضل كل الخلق.

واذا كان افضل الخلق، فهو آية كبرى بالنسبة الى الآيات الاخرى! فالسماء والارض والجبال والمجرات كلها آيات الله، ولكن آدم آية كبرى، لان السماء والارض والجبال والبحار والانهار وكل المخلوقات الاخرى مستجيبة للملائكة، والملائكة بدورها سجدت لآدم عليه الصلاة والسلام، واذا عرفنا بأن خاتم النبيين سيدنا ونبينا محمداً (ص)، هو أشرف وأعظم من كل الانبياء، بل انه مكمل رسالاتهم، لانه خاتمهم. لو عرفنا ذلك فلابد ان نعرف ان وصي خاتم النبيين، والذي هو صنوه ونفسه، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى في آية المباهلة:

﴿وانفسنا وانفسكم﴾

(٦١/آل عمران)

وقد ورد في اكثر تفاسير المسلمين، ان المراد (بانفسنا)، هنا هو الامام علي عليه الصلاة والسلام، فلابد ان نعرف بان علياً هو افضل من آدم.

اذن اذا كانت السموات مستجيبة للملائكة، والملائكة ساجدة لآدم، وعلي أفضل من آدم عليه الصلاة والسلام، فما هي الآية الكبرى لرب العالمين؟ هل السموات؟ أم الملائكة؟ أم ذلك الذي تسجد الملائكة له ولامثاله، أم انه علي ابن ابي طالب، خليفة رسول الله خاتم الانبياء؟

وهنا لابد ان نطرح هذا السؤال: لماذا يفضل الله بني آدم على

الملائكة، بل على المخلوقات كلها؟

الجواب: لان الله حمّل علمه لبني ادم، وحمّل بني آدم شيئاً قد يكون اهم من العلم وهو الحرية والارادة، وجعل المشيئة في قلب بني آدم!

أما الملائكة فقد جعل الله لهم الروح وأعطاهم الايمان، والعلم والفضيلة الا انه لم يعطهم الشهوات!، فالملائكة يعبدون الله دون ان يأخذهم الأرق والنوم والتعب، وعبادتهم لله هي من سجيتهم، أما الحيوانات، فالأمر بالنسبة لها اوضح، لان الله لم يعطها العقل ولا العلم ولا الارادة بل هي كتلة من الغرائز والشهوات، فالحيوانات ليست مفضلة علىٰ بني ادم، اما الانسان، فقد اعطاه الله العلم والعقل والارادة، ثم ركب عليه الشهوات، فاذا اتبع هذا الانسان عقله وعبد الله سبحانه وتعالى، واختار بحريته الكاملة هذا الطريق، كان قريباً الىٰ الله ومكرماً عنده، لانه كان مخيراً بين ان يهبط و بين ان يرتفع، ولكنه اختار الارتفاع بفعله! فعظمة الانسان تنبع من انه هو الذي يريد، هو الذي يقرر، اما الملائكة فهي لا تقرر، باعتبارها هي مخلوقة في هذا الاتجاه، تريد ولكن ليس بصعوبة، وعلي ابن ابي طالب يجسد القمة في هذا الارتفاع والسمو بعد رسول الله (ص).

إن علياً يحمل جسمه المبارك في غزوة (أُحد) سبعين جراحاً تحتاج الى العلاج ولكنه، وقبل ان يستريح من عناء القتال والجروح، يأتيه منادي رسول الله (ص) يدعوه الىٰ الحرب من جديد فيتحمل كل ذلك الاذى

والجراح و يتوجه من جديد الىٰ ساحة الحرب. كان بامكانه أن يأكل مصفى العسل ولباب القمح، وان يلبس افضل الملابس وهو امير المؤمنين والله لم يحرم عليه ذلك ولكنه لم يفعل. كان يقسم الاموال بين الناس بالسوية وكان بامكانه ان لا يفعل ذلك.

كان بامكانه ان ينام الليل ولكنه في الليل الواحد كان يصلي الف ركعة.

كان علي يُغشى عليه في الليل من كثرة الصلاة وعبادة الله، وفي النهار تراه علىٰ باب اليتامىٰ والمساكين، وكان لا يترك عبادة الا واتى بها.

يذكر لنا التاريخ إنّ الامامَ علياً كان يأتي الى المسجد قبيل الفجر فيصلي بالناس الصبح ثم يعقب الىٰ ان تطلع الشمس وتنتشر، ثم ينتقل من محرابه الىٰ مكان آخر من المسجد يقضي بين الناس، ويحل مشاكلهم، ثم كان يتركهم و يتحرك في اسواق الكوفة، ينادي في الناس: اتقوا الله، التاجر فاسق حتىٰ يتفقه، عليكم بالفقه ثم التجارة، ثم يتمشى في أزقة الكوفة لعله يجد ذا حاجة لم يجد الىٰ المسجد سبيلاً، لعله يجد فقيراً، او مسكيناً فيساعده، او لعله يجد فساداً فيصلحه. و بعد صلاة الظهرين يأتي الىٰ بيته و يسأل زوجته: هل عندكم شيء أم أفوت؟ فاذا وجد شيئاً تغدى به، وان لم يكن هناك شيء يقضي ذلك النهار جائعاً، وعندما يصير الليل يصلي صلاة المغرب والعشاء جماعة بالناس ثم يعود الىٰ العبادة الى الصباح، فمتى تكون الراحة ومتى يكون النوم؟

والآن، ألا يُعتبَر هذا الانسان المثالي آية كبرى من آيات الله؟ إلاّ إنّ علياً هو تلميذ تربى في حجر الرسول (ص) وهو يقول انني عبد من عبيد محمد، اذن فكل حياة علي هي دليل صادق علىٰ حقانية الرسالة الاسلامية، ولذلك كان (النبأ العظيم).

ثم كما كان علي آية كبرى في الجهاد، والصبر، والعبادة، والزهد، كذلك هي الزهراء فاطمة بنت محمد، التي تلقت اصول الرسالة في بيت أبيها الرسول..

إنها آية كعلي، ولكن بلون آخر و بصورة اخرى، تزهر الزهراء صلوات الله عليها لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الارض، كانت تقف في محراب عبادتها وكان النور يشع من محرابها الىٰ عنان السماء، كانت تتعبد وتصلي لربها من اول الليل حتى الصباح، وكانت تدعو للجيران والمؤمنين .والمؤمنات ولشيعتها وللرساليين عبر التاريخ ثم المجاهدين، ثم في الصباح يقول لها ابنها الحسن: اماه دعوت لكل الناس ولكن أين نصيبنا نحن؟

فتقول: يا بني إعلم «الجارثم الدار»، فاطمة الزهراء هي كفء علي، إلا إنها امرأة وعلي عليه الصلاة والسلام رجل!

١٠ ــ حجج الله على العباد

[... وصلِّ علىٰ الصِدِّيقةِ الطاهِرَة، فاطمةَ الزهراء، سَيدةِ نِساءِ العالمين . وصلِّ علىٰ سِبْطَي الرحمة، وامامَي الهُدى: الحسنِ والحسينِ، سَيِّدَي شبابِ أَهلِ الجنة. وَصَلِّ علىٰ أئِمةِ المسلمين: علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسىٰ، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والخَلَف الهادي المهدي، حُجَجِكَ علىٰ عِبادِك، وأُمنائِك في بِلادك.. صلاةً كثيرة دائمة ...]

من هو الحجة؟ ولماذا؟

ان معرفة الانسان بالله و بالرسالة والرسول و بالتالي معرفته بيوم البعث والنشور وكل اصول العقيدة الاسلامية، ليست بدرجة واحدة، وانما هي ذات درجات متفاوتة علىٰ سلوك الانسان وعلىٰ اخلاقياته وعلىٰ مدى استقامته امام الضغوط التي يتعرض لها، ولا يكفي في المعارف

الالهية ـأو بتعبير شائع في العقائد الاسلامية ـ مجرد الاقتناع الاولي بان لهذا الكون الهاً، كما لا يكفي مجرد الاقتناع بوجود الانبياء و وجود نبينا (ص) وهكذا الائمة (عليهم السلام) بل لا بد أن تتحول القناعة الىٰ معرفة والمعرفة الىٰ يقين. والادعية كفيلة ـاذا تدبرنا فيها ـ بان تحول معارفنا الالهية الىٰ يقين منا بها، حتىٰ تنعكس هذه المعارف عملياً في سلوكياتنا وفي شخصياتنا وفي مدى إستقامتنا.

ولقد غفل ابناء الامة و بالذات علماؤها وقياداتها عن هذا الدور الهام للادعية المأثورة، لذلك فان الدعاء لم يلق ذلك الاهتمام الدراسي المطلوب.

وهذه الفقرة من دعاء الافتتاح تذكرنا بدور الائمة عليهم السلام وذلك عبر الصلاة عليهم وعلىٰ جدهم النبي محمد (ص)، إذ أنّ هذا التركيز علىٰ الائمة من خلال الصلاة عليهم انما يعمق الصلة بين ابناء الامة و بين قادتهم وائمتهم.

ونجد في هذه الفقرة ان الائمة يوصفون بـ**(حججك علىٰ عبادك، وامنائك في بلادك)**، فما هي الحجة؟ ولماذا اختار الله سبحانه وتعالىٰ للامة المرحومة اربعة عشر حجة؟ لماذا لم يكتفِ ربنا الحكيم بسيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وانما اختار لنا بعد الرسول، الامام علي بن ابي طالب حجة، وفاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام حجة، وإحدى عشر اماماً من نسلهما حججاً من قبله علىٰ عباده، لماذا؟

الجواب: تعني (الحجة) ان هذا الانسان يكون (حجة) بينك و بين الله، اذا اتبعته واطعته وجعلته مقتداك وهاديك، فان الله سبحانه وتعالىٰ يتقبل منك. لا يسألك اكثر من ذلك في يوم القيامة، فاذا اتبعت علي بن ابي طالب واقتديت بسيرته كاملة دون تحريف، فسوف تكون عند الله من الفائزين، لان علي بن ابي طالب هو نسخة تطبيقية من القرآن الحكيم من دون زيادة ولا نقيصة، هو القرآن الناطق وصنو القرآن، قال رسول الله (ص):

(إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي اهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض)

وقال:

(علي مع القرآن، والقرآن مع علي)

اذن فاتباع علي (ع) والاقتداء بسيرته هو اتباع واقتداء بالقرآن الحكيم، اذن، فاذا كان علي هو الصورة المجسدة لقيم الرسالة الالهية، الى هذه الدرجة فانه يكون (حجة).

أما السؤال الثاني فهو لماذا اذن نحن نحتاج الىٰ اربعة عشر حجة؟

-: انما نحتاج الىٰ هؤلاء الحجج وبالذات الائمة عليهم الصلاة والسلام لان الزمان يختلف، وقد تكون هذه هي حكمة

تعدد الائمة عليهم الصلاة والسلام، فليست الظروف دائماً متشابهة، فقد يكون الاسلام حاكماً في ظرف من الظروف، وقد يكون الكفر هو الحاكم في ظرف آخر، وقد يكون النفاق هو الحاكم في ظرف ثالث.

والانسان المسلم قد يكون في ظرف من الظروف سجيناً، وقد يكون شهيداً، وقد يكون حاكماً، وقد يكون عالماً، فصفات الانسان وصفات المجتمع والظروف الاجتماعية وتطورات المجتمع مختلفة ومتفاوتة، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: جعل الله سبحانه وتعالى هذا الدين آخر الاديان، ورسولنا محمداً (ص) خاتم النبيين، ولا يأتي بعد رسولنا نبي، ولا بعد كتابنا كتاب، وقد يطول عمر البشرية لملايين السنين، فاننا لا نعرف متى تقوم الساعة:

قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلاّ هو..

(١٨٧/الأعراف)

اذن، فان البشرية تحتاج الى حجج وائمة على مختلف الظروف وفي مختلف الحالات، سواء كافراد او كمجتمعات، فمثلاً: نحن بحاجة الى امام يعلمنا كيف ينبغي ان يحكم الانسان، يعلمنا ذلك بسيرته لا بكلامه، حتى تكون سيرته لنا حجة نقتدي بها، اننا نحتاج الى صورة متكاملة للحاكم الاسلامي المثالي، فمن اين نجد هذه الصورة؟

ـ: نجدها في علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، فبالرغم من ان النبي (ص) ايضاً كان حاكماً، الا انه لم تبرز معالم الحكومة في وقته بقدر ما تجلت رسالته.

أما علي بن ابي طالب فقد كان ـ ولو لفترة قصيرة ـ حاكماً بكل معنىٰ الكلمة.

فكيف كانت سيرة علي ـ الحاكم؟

لنلق الصوء على نقطة واحدة من هذه السيرة ثم نقارنها بوضع حكام المسلمين اليوم:

كان الامام علي خليفة رسول الله، وحاكماً علىٰ كل الامة الاسلامية، وفي ذات الوقت كان قائداً للقوات المسلحة، وكان يعيش حالة حرب مع معاو ية الذي كان قد تمرد علىٰ الامام الشرعي، في هذه الظروف التي كانت الاخطار فيه تحدق بالامام، وكان خطر الاغتيال قائماً، باعتبار ان هناك متمردين في صفوف جيشه ولم تكن حادثة اغتيال الامام علي اول حادثة اغتيال في الاسلام، ولا اول حادثة اغتيال الحاكم، بالرغم من كل ذلك، فان الامام علياً يخرج من بيته وحده الىٰ المسجد لاداء صلاة الفجر، واول مايفعله في المسجد هو الاذان، فمن هو الحاكم الاسلامي اليوم، الذي يتصرف بهذه الطريقة؟

ان علياً حاكم الهي، والحاكم الالهي هو داع الىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، والاذان دعوة الىٰ الله، لذلك ترى علياً يقف في مسجد الكوفة

و يؤذن أذان الصبح و يوقظ المسلمين للصلاة.

أما في الليل فيخرج الامام الىٰ اطراف الكوفة يفتش عن المكرو بين والمستضعفين واصحاب المآسي، لكي يحل لهم مشاكلهم، واما حياته الشخصية، فانه يذهب الىٰ السوق و يشتري ما يحتاج اليه، ويحمل متاعه بنفسه الىٰ بيته، وحينما يعترضه احد المؤمنين ويحاول ان يحمل عنه المتاع، يرد عليه الامام بانه هو الذي يحمل اثقاله يوم القيامة ولا احد غيره.

هذه هي سمات الحاكم الاسلامي يجسدها الامام علي (ع) و يتحول بذلك الىٰ (حجة) علينا، اذ انه لا يخاف في الله لومة لائم.

يذكر التاريخ ان شخصاً من القيادات العسكرية في جيش الامام اُدين بشرب الخمر، فجاء به الامام الىٰ مسجد الكوفة، ثم اقام عليه الحد (ثمانين جلدة) و بعد ان تمت العملية، قام الرجل ونظر الىٰ الامام وقال: ياامير المؤمنين، صحبتك ذل ولكن مفارقتك كفر. فاجابه الامام: هذا هو العز.

اذن فالامام علي هو مثال حي للحاكم الاسلامي. ونحن نحتاج الى مثالٍ يُقتدى به السجين المسلم،فنجده في الامام موسى بن جعفر عليه الصلاة والسلام، فالكثير منا قد يتعرض لسجون الطغاة. وقد يتأفف في البداية علىٰ دخوله السجن، اذ انه سيخسر عمره، ولا يكون قادراً علىٰ الانتاج والعطاء، الا انه حينما يقتدي بالامام موسى بن جعفر الذي قضى

ردحاً طويلاً في سجون الطغاة، يجد ان الامام يشكر الله علىٰ انه وفر له فرصة لعبادته وهكذا يستغل فترات السجن في عبادة الله وصقل شخصيته الايمانية عبر هذا الطريق.

ونحن نحتاج الىٰ من يقدم دمه في سبيل الله، فنقتدي في ذلك بالامام الحسين عليه الصلاة والسلام. ونحتاج الىٰ فقيه يربي العلماء والمفكرين و يوجه الامة الىٰ تفاصيل الشريعة الاسلامية، فنقتدي بالامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام، ونحتاج الىٰ من يمثل دور الشخصية الثانية في الدولة الاسلامية، فنقتدي بالامام علي بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام، وهكذا نجد اننا نحتاج في ظروف حياتنا المختلفة الىٰ ائمة نقتدي بسيرتهم وهداهم. ولان الظروف مختلفة، والاشخاص مختلفون، فاننا نحتاج الىٰ ائمة لمختلف الظروف، ولا شك ان الائمة ليسوا لنا فقط، بل هم لكل الاجيال القادمة، فالاسلام سوف ينتشر و يعم الارض كلها، وسوف تواجه الامة قضايا جديدة ودقيقة، وسوف تطرح على الساحة مشاكل حضارية وعميقة، حينئذٍ يتجلىٰ بعض دور الائمة عليهم الصلاة والسلام.

اذن فالائمة هم حجج الله على العباد، اي انهم قدوات يجب ان تهتدي الامة بهداهم، وان تقتفي مسيرتهم حسب اختلاف الظروف والازمنة.

وهنا يجب ان نشير الىٰ ان العنصر النسوي يشكل نصف المجتمع

البشري، وهو بحاجة الى حجة يقتدي بسيرتها في مختلف الظروف، فبالرغم من ان المرأة تقتدي بسيرة الائمة عليهم الصلاة والسلام، في الظروف والقضايا المشتركة بين الرجال والنساء، الا انها تحتاج الىٰ قدوة نسائية للظروف والقضايا الخاصة بالمرأة، لذلك فقد جعل الله تعالىٰ للامة الاسلامية حجة نسائية متمثلة في شخصية فاطمة الزهراء (عليها افضل الصلاة والسلام).

من هنا يتضح دور (الحجة) في حياة الامة، والسر في تعدد (حجج الله على عباده) وهم الرسول الاعظم، وابنته الزهراء، والائمة الاثنا عشر (عليهم افضل الصلاة والسلام)، لذلك نجد ان هذه الفقرة من الدعاء تأتي بعد الصلاة على النبي، لتذكر المسلمين بالحجج والقدوات عبر الصلاة عليهم:

[... وصلِّ علىٰ الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وصلِّ علىٰ سبطي الرحمة، وامامي الهدىٰ: الحسن والحسين سيدَيْ شباب أهل الجنة، وصلِّ علىٰ أئمةِ المسلمين: علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسىٰ، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والخلف الهادي المهدي.. حججك على عبادك، وامنائك في بلادك، صلاة كثيرة دائمة..]

١١ ــ دور الامام المنتظر

[اللهم وصلّ على وَليّ امرِكَ القائِم المُؤمَل، والعَدلِ المُنتظَر، وحُفّهُ بملائكَتِك المُقربين، وأيّدهُ بِرُوحِ القدُسِ يارِبَّ العالمين.

اللهمَ آجعلهُ الداعِيَ الىٰ كتابِك، والقائِمَ بدينِك، إسْتَخْلِفهُ في الارض كما استَخْلَفْتَ الذينَ مِن قَبله، مَكّن له دينه الذي ارتضْيتَه له، أبْدِلهُ من بَعدِ خوفه أمناً، يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بكَ شيئاً.

اللهم اَعِزَّه واَعْزِز به، وانصُرْهُ وانتَصِر به، وأنْصرهُ نَصْراً عَزيزاً، وافْتَح له فتحاً يسيراً، واجعل له من لَدُنْكَ سُلطاناً نصيراً، اللهم اظهر به دينكَ وَسُنّةَ نَبيكَ، حتىٰ لا يَسْتَخفِيَ بِشَيء من الحقِ، مَخافَةَ اَحَدٍ منَ الخَلْق.

اللهم إنا نَرْغَبُ اليكَ في دولةٍ كريمةٍ تُعِزُّبها الاسلامَ واَهلَه، وتُذِلُ بِها النِفاقَ واَهلَه، وتَجْعَلُنا فيها مِن الدُعاةِ الىٰ طاعَتِك، والقادَةِ الىٰ سَبيلِك، وترزُقُنا بها كرامةَ الدنيا والاخرة.

اللهم ما عَرّفتنا من الحق فَحَملناه، وما قَصُرْنا عنه فبلغناه..]

ما هو دور الامام الحجة؟

ان يـكون للانسان قائد الهي يرتبط به قلبياً ونفسياً وعقلياً وخطياً، ان ذلك لـيعـتبر وسيلة لتكامل الانسانَ كفرد او كمجتمع، وتوجهه المستمر نـحـو الـنـموذج السماوي المرسوم والمعين له، وهذا بعض من فلسفة ايماننا نـحن بالامام المهدي (صلوات الله عليه) الذي نؤمن به اماماً شاهداً علينا وقـريـبـاً مـنـا، ومـطـلعاً ورقيباً علىٰ اعمالنا، و يتجلىٰ هذا الايمان في ليلة القدر حيث تتنزل الملائكة والروح بمقادير العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم
* أنـا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدراك ما ليلةُ القدرِ* ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شـهـر* تنزلُ الملائكةُ والروح فيها بأذنِ ربـهـم مـن كـل أمـر* سلامٌ هي حتى مطلع الفجر*

(١-٥/القدر)

في هذه الليلة المباركة تنزل الملائكة بتقديرات حكيمة:

* فيها يفرق كل امر حكيم *

(٤/الدخان)

ان كـل الـتطورات التي يجب ان تحدث خلال العام الواحد تُقدر من قـبـل الله تـعـالـىٰ في لـيـلة القدر، ان صحة الانسان ومرضه وفقره وغناه وكـرامـتـه بين الـنـاس او ذلته، وكذلك تقدم الامة وتخلفها، حضارتها او

جاهليتها.. كل هذه المقادير ترسم وتحدد في ليلة القدر:

﴿فيها يُفْرَقُ كلُّ اَمرٍ حكيم. أمراً مِن عندنا﴾

(٤-٥ /الدخان)

ولكن السؤال هو: علىٰ مَن تتنزل الملائكة بمقادير الحياة والعباد؟

في الجواب نقول: ان من تكريم الله لبني آدم هو ان جعل من انفسهم حججاً لله علىٰ الخلق تتنزل عليهم الملائكة، ففي كل عصور التاريخ ومنذ آدم حتىٰ هذا اليوم فان الملائكة تنزل في ليلة القدر علىٰ (بشر)، ففي عهد ادم كانت تنزل علىٰ آدم، ثم بعده علىٰ شيث، و بعده علىٰ ادريس، و بعده علىٰ ابراهيم، وموسى، وعيسى، والنبي محمد عليه الصلاة والسلام، ثم بعد الرسول علىٰ اوصيائه الائمة المعصومين الواحد بعد الاخر، اما الان فانها تتنزل على الامام المهدي المنتظر، لانه حجة الله علىٰ عباده، والدعاء حينما يصلي علىٰ الامام الحجة، انما لكي يعمق العلاقة بين المؤمنين و بين حجة الله:

[اللهم وصلِّ علىٰ ولي امرك القائم (١) **المؤمل، والعدلِ المُنتظر، وحُفَّه بملائكتِك المُقرَبين، واَيِدهُ بِرُوح**

---

(١) : جرت العادة عندنا ان نقف منتصبين حينما يُذكر اسم (القائم) فماذا تعني؟

ـ: ان هذا القيام يرمز الىٰ استعدادنا للمعركة التي لا بد ان يخوضها الحق ضد الباطل تحت قيادة الامام الحجة، وهو يعني ايضاً اننا نتمنى ان نكون من جنود الامام ومن المجاهدين تحت لوائه.

القُدُسِ يا رب العالمين]

وروح القدس هنا قد يعني تلك الروح التي تتنزل في ليلة القدر، وهو الذي ايد الله به عباده المؤمنين، والانبياء والاوصياء وهو الذي قال عنه ربنا سبحانه وتعالىٰ:

يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي

(٨٥/الاسراء)

يقول الدعاء: «ولي امرك القائم المؤمل..»، فالامام الحجة يقوم بالامر.. (فيها يفرق كل امر حكيم * امراً من عندنا)، ولكن ماذا يعني (الامر) هنا؟

ـــ: ان لله وتعالىٰ قضاء وقدراً وله امراً وسنةً، وسنن الله تعالىٰ هي القوانين التي وضعها للكون، ثابتة لا تتغير، ولكن امر الله فوق قوانين الكون، والامام الحجة هو مكلف من قبل الله و باذن الله و بتفويض من الله، و بقدرة الله و باسم الله، ان يكون له الامر.(١)

---

(١): اشرنا في بداية الحديث الىٰ ارتباطنا بالامام هو ارتباط خطي، اي اننا يجب ان نرتبط بخط الامام المستقيم، فماذا يعني؟

نحن لا نعتبر الفقيه الذي هو ولي الامر، لا نعتبره قائداً بالذات، انما نعتبر قيادته منبعثة من نيابته العامة للامام الحجة(ع)، اذن فنحن في كل قضية نبحث عن رأي الامام الحجة وعن موقفه، بل حتىٰ الفقيه الولي هو الاخر يبحث عن رأي الامام الصائب لكي يبني فتواه ومواقفه علىٰ ذلك الاساس لانه يعتمد شرعية قيادته من مدى التزامه بخط الامام الحجة، ولذلك فاننا نظل ملتزمين بقيادة الفقيه الولي ما دام هو يلتزم السير علىٰ الصراط المستقيم، اما اذا انحرف ـلا سمح الله ـ فان ارتباطنا ينقطع فوراً، اذ ان ارتباطنا الحقيقي هو بخط الامام الحجة، و بقدر ما يمثل الفقيه هذا الخط ويجسده فاننا نلتزم به، والا فلا.

الاهداف الحقيقية للانسان:

لكل انسان في هذه الدنيا اهداف يبذل من اجل تحقيقها مساعيه الجادة، وهدف الانسان ــ سواء كان شريفاً ام وضيعاً، سليماً ام سقيماً ــ هو الذي يحدد مسار حياته ومساعيه التي يبذلها، فمن كان هدفه الوصول الىٰ نقطة معينة، فان كل حركته وكل جهده سوف ينصب باتجاه تلك النقطة.

اما اذا كان هدفه هو الوصول الىٰ نقطة تقابل تلك النقطة في الاتجاه، فان الحركات والتوجهات والجهود هي الاخرى سوف تتوجه الىٰ تلك النقطة، وليس سواءاً: التحرك شمالاً أو جنوباً، شرقاً او غرباً، كذلك هدف الانسان هو الذي يحدد مسار حياته. ولكن مشكلة الانسان انه لا يعرف بالضبط ما هو الهدف السليم الذي ينبغي السعي اليه، او بتعبير افضل، ان مشكلة الانسان، إنه ليس هو الذي يحدد هدفه في الحياة! إنما الاخرون هم الذين يملون عليه اهدافاً ليست من اهدافه الحقيقية، وانه بعد فترة ليست بالقصيرة يكتشف زيف تلك الاهداف، وان كل مساعيه وحركاته انما كانت باتجاه نقطة خاطئة، و بذلك فهو لم يخدم نفسه انما خدم الاخرين او خدم الشيطان:

«قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالاً *
الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً».

(١٣٠ــ١٠٤/ الكهف)

ان الذين ينقادون لابواق الاعلام الغربية او الشرقية، و يتبعون ما تقوله اجهزة الدعاية الحكومية لهم، سوف يكتشفون ان هذه الاجهزة لم تكن امينة معهم، اذ جعلتهم في وضع استهدفوا غايات لم تكن في مصلحتهم، مثلا ان الكثير من الذين غرّر بهم صدام وساقهم الى جبهات القتال، ضد الاسلام يكتشفون بعد الموت او قبله، بان العملية كانت خدعة كبرى تعرضوا لها! وانهم تحركوا و بذلوا جهودهم ودماءهم ولكن ليس في سبيل خيرهم وما ينفعهم، وانما في سبيل اهواء حاكم طاغية.

اذن، فالمشكلة الاولى للانسان هي ان اهدافه لا تكون ـ في الغالب ـ اهدافاً حقيقية، اما المشكلة الاخرى فهي ان اهداف الانسان قد لا تكون منسجمة مع فطرته، وطاقاته.

فالكثير منا يلخص كل حياته في قوالب ضيقة، واهداف محدودة جداً، لانه لا يعرف نفسه ولا يعرف حجم ما اودعه الله فيه من طاقات. لقد خلقه الله لكي يصبح سيد الطبيعة وسيد الكون وملكاً في الجنة تخدمه الملائكة! ولكن النظرة الضيقة الى الذات، تجعل الانسان ينتخب لنفسه هدفاً ضيقاً يسعى بكل ما يملك من مساعي في سبيل الوصول اليه، وهذا هو الاخر يخسر نفسه. ومن الناس من تكون اهدافه وتطلعاته عالية، الا انها تكون شخصية، فكل هدفه ـ مثلاً ـ ان يُصبح ثرياً! ويمتلك الاموال والعقارات، او يكسب شهرة واسعة، او ان يصبح سلطاناً، ثم ماذا؟ ماذا بالنسبة للاخرين؟ لا شيء! وحينما يكون هدف الانسان شخصياً فان هذا الهدف سوف يتعارض و يصطدم باهداف الاخرين! و بالتالي يؤدي

الىٰ نشوب صراع اجتماعي يكون البقاء فيه للاقوى.

والادعية المأثورة تحاول ـ من خلال معانيها الحميدة ـ تصحيح هدف الانسان ومسيرته في الحياة، وذلك عبر ترسيخ القناعات التالية في الانسان:

أولاً: إن عليك ان تحدد لنفسك هدفك.

ثانياً: ان تكون انت الذي ترسم هذا الهدف لنفسك وليس الاخرون هم الذين يملونه عليك.

ثالثاً: إن هذا الهدف يجب أن يكون هدفاً عالياً وليس دانياً.

رابعاً: أن يكون هدفاً مشتركاً بينك و بين الاخرين ولا يكون هدفاً ذاتياً، فبدل ان ترهق نفسك لكي تصبح سلطاناً، الافضل ان تعمل انت والمجموعة التي تعرفها، انت والمجتمع الذي تعيش فيه، تعملون معاً من اجل سلطان عادل، فحينما يكون هناك سلطان عادل، فان خيره سوف يكون عميماً، و بدل ان تسعىٰ من اجل اكتساب الثروة التي قد تاتي عن طريق يسبب تخلف الامة وانتشار الفقر، وترسيخ تبعية الامة للاجنبي، بدل ذلك اسعوا جميعاً في بناء حضارة ينعم الجميع بخيراتها، اعملوا من اجل ان تكون بلادكم بلاداً متقدمة صناعية لكي يستفيد الكل منها، و بدل ان تعمل من اجل ان تعيش انت وحدك في حياة مرفهة، حاول ان تنشر الاخلاق الفاضلة في المجتمع، فاذا انتشرت

الاخلاق الفاضلة فان الجميع سوف يعيشون حالة جيدة، في اطمئنان وسكينة.

اذن، فان من اهداف الدعاء هو تصحيح مسار الانسان واهدافه العظمىٰ، وحينما يرسم الانسان لنفسه تلك الاهداف العظمىٰ فانه ينسجم مع الاخرين، اولاً، ثم انه يبذل قصارى جهده من اجل تحقيق تلك الاهداف.

فحينما يكون هدف الانسان هدفاً ذاتياً، كأن يصبح ثرياً، فانه سوف يتكاسل و يتقاعس عن العمل لانه لا يشعر بشخصيته الحقيقية.

أما حينما يكون الهدف اقامة حكم الله في الارض، فان الانسان يبذل كل جهوده من اجل تحقيق الهدف، ومهما طال المسير فانه يزداد عزماً واصراراً، لذلك فانه يفجر كل طاقاته، فيكون بذلك الانسان المتكامل، الانسان اللا منتهي، الانسان اللا محدود، لانه يعرف بانه حتىٰ لو بلغ الثمانين من العمر فان امامه أهدافاً لا بد ان يحققها، فيكون نشيطاً علىٰ الدوام، حتىٰ لو كان شيخاً كبيراً، اذ انه يملك طاقة نفسية هائلة، لذلك نرى رجلاً كسليمان بن صرد الخزاعي (رضوان الله عليه) يقود معركة فدائية وقد جاوز عمره التسعين سنة دون ان يرهقه الشيب! والسبب لانه يمتلك شعلة الهدف العالي في ضميره، فتدفعه نحو تفجير طاقاته، وفي نهاية دعاء الافتتاح، نقرأ ما يرسم لنا اهدافنا الحقيقية في الحياة وتطلعاتنا، و يتمحور الدعاء حول مولانا وامامنا الحجة بن الحسن

المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه وجعلنا من انصاره واعوانه:

[اللهم اجعله الداعي الىٰ كتابك، والقائمَ بدينك، اِستَخْلِفهُ في الارض كما اسْتَخْلَفت الذين من قبله، مكِّن لَه دينه الذي ارتضَيْتَه له، اَبْدِلهُ مِن بَعدِ خوفِهِ اَمناً، يَعْبُدُك لا يُشرِك بك شيئاً]

وهنا يجب ان نشير الىٰ عدة ملاحظات:

أولاً: اذا دعوت انت وانا وكل المؤمنين فان الله سبحانه وتعالىٰ قد يجيب دعواتنا، فنحن لنا اثر بقدر معين في مسيرة هذا الكون وفي مستقبله.

فباستطاعة الواحد منا ان يعمل من اجل قرب فرج الامام الحجة(ع)، وذلك عبر الدعاء بروح الامل، وليس بروح اليأس والقنوط.

ثانياً: الدعاء يتضمن في نفس الوقت نوعاً من التطلع، اي ان علىٰ الانسان ان يجعل في برامج حياته: العمل المستمر من اجل الوصول الى هذا الهدف، من اجل تهيئة الوسائل وتمهيد الطرق لظهور الامام الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالىٰ فرجه. فالدعاء في الحقيقة هو تعبير عن برنامج تطلعات المؤمن واهدافه.

ثالثاً: حينما يدعو الانسان لامامه المنتظر، فانه بذلك يؤدي جزءاً من حقه عليه.

كما يؤدي ذلك الىٰ ترسيخ علاقة الاقتداء والتبعية بالامام.

[اللهم اجعله الداعي الىٰ كتابك، والقائم بدينك، استخلفه في الارض كما استخلفت الذين من قبله، مكن له دينه الذي ارتضيته له]

هذا الدين هو دين الاسلام ولكنه الاسلام الكامل، الاسلام غير المشوه و غير المزيف، والذي يعمل الامام الحجة علىٰ نشره في ارجاء الارض، وتمكينه من قلوب البشرية.

[أبدلْهُ من بعد خوفِهِ امناً يعبدك لا يُشرِك بِك شيئاً]

فالامام الحجة هو في حالة خوف ووجل علىٰ مصير هذا الدين.

وهو يترقب لمئات السنين لحظة الظهور التي يأذن بها الله تعالىٰ، فهو يعيش حالة التشرد والهجرة الدائمة بانتظار اللحظة الموعودة، وكذلك الانسان المؤمن يجب ان يتحمل الصعاب والمشاكل ريثما يحقق اهدافه وتطلعاته.

[اللهم اعزه واعزز به، وانصره وانتصر به، وانصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً]

انىا نقرأ في القرآن:

﴿وقلْ ربي اَدخلني مُدَخَل صِدْق، وَاَخْرِجني مخْرجَ صِدْق، واَجْعَل لي مِن لَدُنك سلطاناً نصيراً﴾
(٨٠/الأسراء)

فنحن نطلب من الله ان يجعل لنا سلطاناً ويجعل لنا قوة، ولكن ليست قوة ذاتية، وإنما قوة الهية، بعيدة عن الشهوات والاهواء وتراكمات السلبيات في المجتمع، وهكذا نطلب من الله في هذا الدعاء ان يجعل للامام الحجة سلطاناً نصيراً.

[اللهم اظهر به دينك، وسنة نبيك، حتىٰ لا يستخفي بشيء من الحق، مخافة احد من الخلق]

اننا نتجرع الالام حينما نرى ان سنن رسول الله قد محيت، وان معالم الرسالة قد درست، وان احكام الله تخالَفُ جهراً في كل البلاد الاسلامية، وفي كثير من الاوقات نضطر الىٰ السكوت تقية، الا اننا هنا نسأل الله سبحانه وتعالىٰ ان يُظهر الامام الحجة حتىٰ لا تكون هناك تقية، حتىٰ يكون الاسلام هو السائد.

ثم يبدأ الدعاء برسم خريطة الاهداف الحقيقية للانسان في الحياة، فالهدف ليس هو امتلاك العقار، والزوجة والاولاد، والتمتع بهذه الامور، انما الهدف الاساسي هو ان يكون للانسان دور فعال و بناء في تصحيح

مسيرة الحياة:

[اللهم إنّا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الاسلام واهله، وتذل بها النفاق واهله، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك، والقادة الىٰ سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة]

اذن، فالهدف الاول هو: اقامة حكومة اسلامية حقيقية، ليس حكومة اسلامية منافقة تطبق اسلاماً مزيفاً ينسجم مع مشتهيات الغرب او الشرق.

والهدف الثاني: هو ان يكون للانسان في هذه الحكومة الدور الطليعي، فلا ننتظر ان ياتي غيرنا لبناء الدولة الاسلامية. انما نحن الذين نبني، نحن الذين نقوم بهذا الدور الطليعي: (**وتجعلنا فيها من الدعاة الىٰ طاعتك والقادة الى سبيلك**)، يكون لنا دور طليعي قولاً وعملاً، فالدعوة الىٰ طاعة الله، هو الدور الطليعي قولاً، اما القيادة الىٰ سبيله، فيعني الدور الطليعي عملياً وميدانياً.

(**وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة**)، هذا هو هدف الدولة الاسلامية، والكرامة تعني الاستقلال والخير والفضيلة، فالهدف الاسمى للدولة الاسلامية ليس الوصول الىٰ تقدم مادي حتىٰ ولو كان هذا التقدم علىٰ حساب الاستقلال، او علىٰ حساب الفضيلة، او علىٰ حساب الاحسان الىٰ الناس. ولنضرب مثلاً بالامريكيين الذين تقدموا حضارياً، ولكن

علىٰ حساب الشعوب، علىٰ حساب الفضيلة، و«اسرائيل» ايضاً متقدمة حضارياً، ولكن علىٰ حساب استقلالها؛ باعتبارها دو يلة ذيلية مرتبطة بالغرب. بلغاريا ايضاً متقدمة ولكن علىٰ حساب استقلالها لانها تابعة للشرق، اما الدولة الاسلامية فانها تنشد التقدم ولكن الىٰ جانب الاستقلال، تريد الاستقلال والىٰ جانبه الفضيلة.

[اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه،
وما قصرنا عنه فبلغناه]

ولكن كيف نصل الىٰ الهدف المقدس؟

-: عبر وسيلتين:

الوسيلة الاولىٰ: (**ما عرفتنا من الحق فحملناه**)، نتحمل مسؤولية مقدار ما نعرفه من الحقائق، فاذا كنت اعرف ان الجهاد واجب، فعليّ ان اتحمل مسؤوليته.

الوسيلة الثانية: (**وما قصرنا عنه فبلغناه**)، فاذا كنت اشعر بنقص في معلوماتي وثقافتي الدينية، كان عليّ ان اسعىٰ لكي اسد هذا النقص، فبمقدار ما يعرف الانسان من دينه عليه ان يطبق، والمقدار الذي لا يعرفه، عليه ان يبحث عنه حتىٰ يعرفه.

١٢ ــ اسس الدولة الاسلامية

[اللهم اَلُمم به شَعثنا، واَشعَبْ به صَدْعَنا، وارْتُق به فَتْقَنا، وكَثِّر به قِلَّتنا، واَعـزِزْ به ذِلَّتنا، واَغنِ به عائلَنا، واقْضِ به عن مُغرَمِنا، واَجْبُر به فَقْرَنا، وَسُدّ به خَلَـتَنا، وَيَسِّر به عُسْرِنا، وَبَيِّض به وُجُوهنا، وفُكّ به اَسْرَنا، واَنجح به طَلِبَتنا، واَنجز به مَواعِيدَنا، واسْتَجِب به دَعْوَتَنا، واَعْطِنا به سُؤلَنا، وَبَلغْنا به من الدنيا والآخـرةِ آمـالـنـا، واَعْـطِنا به فوقَ رَغْبَتِنا، يا خيرَ المسؤولين، واَوْسَعَ المُعْطِين، اِشْفِ بـه صُـدُورنـا، واَذْهِـب بـه غَـيْضَ قلوبنا، وَاْهدِنا به لما اْختُلِفَ فيه من الحقِ باذنِك اِنكَ تَهْدِي من تشاء الىٰ صراط مستقيم، وَاْنصُرنا بِهِ علىٰ عَدُوِكَ وَعَـدُوِّنـا الـه الحـقِ آمين، اللهم إنّا نَشكوُ اليكَ فَقْدَ نبينا، صلواتُكَ عليهِ وآلهِ، وغَيْبَةَ وَلِينا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وقِلَّةَ عَدَدِنا، وشِدّة الفتن بنا، وتَظاهُرَ الزمانِ علينا، فَـصَـلِّ عـلىٰ محـمـد وآله، وَاَعِنا علىٰ ذلك بِفَتْح منك تُعَجِّلُه، وبِضُرٍّ تكشِفُه، وَنَـصْـرٍ تُعزِّه، وَسُلطانِ حقٍ تُظهِرُه، ورحمةٍ مِنكَ تُجلِلُناها، وعافيةٍ منكَ تُلْبِسُناها برحمتك يا ارحم الراحمين]

الـدولـة الاسـلامـيـة الحقة هي التي تقوم على اسس الهية، وابرز هذه الاسـس هـو تمحور الدولة حول قيادة ربانية، ولذلك فهي تعطي للمجتمع

الانساني النتائج التي ذكرت في نهاية دعاء الافتتاح، وهذه النتائج هي في ذات الوقت تطلعات ينبغي على كل مؤمن ان يسعىٰ من اجل تحقيقها بكل ما يملك من امكانات.

إن الادعية المأثورة تنعكس في ضمير الانسان الذي يدعو بها في صورة تطلعات و برامج عملية يندفع لتحقيقها في الواقع الخارجي، فحينما ترفع يدك -في شهر رمضان- ضارعاً الىٰ الله، وتقول: (**اللهم اَدْخِل على اَهلِ القُبورِ السُرور، اللهم اَغنِ كُلّ فقير، اللهم اَشْبع كُلّ جائع، اللهم اكْسُ كلّ عُريان، اللهم اَصلِحْ كُلّ فاسدٍ من أُمورِ المسلمين، اللهم غيِّر سوء حالِنا بِحُسن حالك...**) حينما تدعو الله سبحانه وتعالىٰ بهذه الدعوات، فان ذلك لا يعني فقط انك تحرك لسانك بهذه العبارات، او تتمنىٰ تحقيق هذه الامور،و انما يعني ايضاً ان تجعل هذا برنامج حياتك، فتسعىٰ من اجل ان تُدخِلَ السرور الى قبور الموتىٰ وذلك بمزيد الطاعة التي نبعث بثوابها اليهم، وبمزيد من الانسجام والتعاون فيما اذا كان الشهيد او الراحل رجلاً يتطلع الىٰ الانسجام كما لو كان قائداً واماماً.

وحينما تقول: (**اللهم اَشْبع كلّ جائع**) فانك تسعى من اجل سد جوعة الناس الجائعين، وكذلك حينما تقول: (**اللهم اَصلح كلَ فاسدٍ من امور المسلمين**) فانك يجب ان تسعىٰ باصلاح بين الناس بصورة منتظمة، اذن فان الادعية كما هي من العبد المسكين، من المخلوق الضعيف الىٰ الخالق القوى لكي يستجيب له ويحقق ذلك بصورة غيبية، فهو ايضاً برنامج عملي يجب ان يطبقه الانسان و يسعى من اجل تحقيقه.

ثـم مـن جـهـة اخـرى قد تعيش بعض المجتمعات البشرية في اوحال الـتـخـلف والظلم والاستضعاف الىٰ درجة تفقد معها حتى مجرد الطموح والامـل، ومجـرد الامنية والحلم في ان تصل الىٰ مستوى متقدم من العيش والحياة.

مثلاً: المجتمعات التي تعيش في بعض بلاد آسيا النائية، او في بعض مـنـاطق افريقيا، او مناطق اميركا اللا تينية، هذه المجتمعات المستضعفة لا تـفـكـر في ان تمتلك في يوم من الايام قنبلة نوو ية او ان تحصل استقلالاً كـامـلاً في مـواجـهـة الـشـرق والـغـرب، فـمـن اجـل اعادة الانسان الىٰ انـسـانيته، وتذكيره بانك ايها الانسان تستطيع ان تبني حياة رفيعة، وان هـذه الحـيـاة الـتـي تـعـيشها هي حياة متخلفة لا بد ان ترفضها، لا بد ان تـغـيرها، لا بد ان تتحدى الظروف التي جعلتك تعيش هذه الحياة سواءاً كـشخص تصارع الطبيعة، او كمجتمع تصارع سائر المجتمعات من اجل الحـصـول عـلـىٰ حـيـاة حرة.. من اجل تذكير الانسان بهذه الحقيقة نحن بـحـاجـة الـىٰ الادعـيـة الـتـي تـقـول لـنـا: اذا اصبحت حياتكم صعبة، وظـروفـكـم معقدة، واوضاعكم شاذة واذا ادبرت الدنيا عنكم، فلا يعني ذلك انكم فعلاً اصبحتم لا تستحقون التقدم، ولا تستحقون الكرامة، ولا يـعـنـي ان تـرضـوا بهذه الحالة، بالعكس، عليكم دائماً ان تسألوا الله أن يمـنـحـكـم حـيـاة افضل، وهذا السؤال والدعاء يجعلكم تؤمنون بان حالة افـضـل مـن هذا الواقع ممكنة، وتسعون من اجل الوصول اليها، وهكذا لا تـنـطـفـيء فـيكم جذوة الامل، ولا تموت في انفسكم روح التقدم، ونحن نـقـرأ الـفـقرة الاخيرة من دعاء الافتتاح ضمن هذا الاطار ونقول: (اللهم

المم به شَعَثَنا) والشَعَث يعني: التناثر والتشرذم والتشتت الذي يمزق المجتمع بعضه عن البعض الاخر، اللهم المم به هذا التشرذم والتشتت حتىٰ تصبح امتنا وحدة واحدة.

(واشعب به صدعنا) فحصون بلادنا مهدمة، فيها ثغرات يتسلل منها العدو، ولا تسد هذه الثغرات الا بالتضرع الىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بالسؤال (واشعب به صدعنا) هذا الصدع في جدار بلادنا وامتنا لا نستطيع ان نسده الا بعون الله ونصره، و بنظرة واحدة الىٰ العالم الاسلامي نهتدي الىٰ عمق التشتت الموجود في كل مكان، فكل جماعة تتمزق الىٰ قوميات واقليميات و وطنيات مزيفة، حتى ان كل قرية تعيش بنفسها دون ارتباط جذري ببقية اجزاء الامة. هذا هو التشتت، اما الصدع فهو اقوى من التشتت، اي انه اظهر للعين، «فاسرائيل» صدع، وروسيا في افغانستان صدع، وماركوس في الفلبين صدع.

(وارتق بٰه فتقنا) الفتق هو أقل من الصدع الا انه بدوره شيء يُرى، ونستطيع ان نعتبر وجود الانظمة العميلة في البلاد الاسلامية نوعاً من الفتق الذي يجب ان تتحرك الامة لرتقه بعون الله تعالىٰ.

(وكثِّر به قلتنا) نحن قد نكون كثيرين مشتتين فنحتاج الىٰ الوحدة، وقد نكون قليلين نحتاج الى زيادة عددية، ان القلة ـ بحد ذاتها ـ لا تُعتبر نقطة سلبية لو كانت مجتمعة القلوب ومتآلفة النفوس، الا ان هذه القلة المتآلفة يجب ان تزداد وتتضاعف حتىٰ تشمل كل فئات الامة الاسلامية، لذلك فاننا ندعو الله بقولنا: (وكثر به قلتنا).

(وأعززبه ذلتنا) إنّ مشكلة الانسان الذليل هي انه شيئاً فشيئاً يشعر وكأنه خُلِق ذليلاً فلا يقاوم الظلم، والعدوان، والاذلال، ان الاستكبار العالمي يسعىٰ اليوم في شتىٰ بقاع الارض لاذلال المسلمين واستعبادهم، لذلك فانه يستخدم المواد الكيمياوية لابادة المسلمين علىٰ جبهة الحرب العدوانية العراقية ضد الاسلام، كما يستخدم الروس ابشع الاساليب لتقتيل عشرات الالوف من المسلمين في افغانستان، و«اسرائيل» تهتك حرمات المسلمين في جنوب لبنان، والنظام العراقي يمارس اشنع الوسائل لتحطيم معنويات الشعب المسلم في العراق، اليست كل هذه الممارسات العدوانية بحق المسلمين هي اساليب جهنمية لاذلال المسلمين؟ واذا لم نقاوم كل هذه الممارسات، واذا لم نتحول الىٰ امة مجاهدة لكسب العزة والكرامة، فان الذلة ستنغرس في نفوسنا: (واعززبه ذلتنا).

(وأغنِ به عائلنا) تُعتبر البلاد الاسلامية من بين البلاد الاكثر تخلفاً في العالم، وقد قرأت مرة تقريراً كان يصف (بنغلادش) بانها من أكثر البلاد تخلفاً في العالم، ومن الذي يعيش في هذا البلد غير الملايين من المسلمين؟ وهكذا الامر بالنسبة لكثير من البلاد الاسلامية وبالذات الافريقية منها والتي تعيش شعوبها حياة المسكنة والتخلف المريع. اننا يجب ان نعرف ان الله لم يخلقنا حتىٰ نعيش بهذا الشكل من الفقر والتخلف، وان هناك اساليب ووسائل يجب ان نبحث عنها ونتبعها حتىٰ نقضي علىٰ حياة المسكنة والتخلف: (وأغنِ به عائلنا، واقضِ به عن مغرمنا، واجبر به فقرنا) هناك فرق بين المسكنة التي يعبر عنها هذا الدعاء بكلمة (عائلنا) وبين الفقر، والمسكنة تعني ان لا يملك الانسان حتىٰ

قوت يومه، بينما الفقر يعني ان حياة الفرد غير متوازنة مع حياة سائر الناس، فالفقير قد يملك بيتاً واثاثاً جيداً، الا انه يُعتبر فقيراً لانه لا يمتلك سيارة اذا كان يعيش في مجتمع كل افراده يمتلكون السيارات الخاصة، ان بلادنا بشكل عام تُعتبر من البلاد الفقيرة. وحينما يريدون تضليلنا يطلقون علينا اسم «البلاد النامية» بينما في الحقيقة بلادنا لا تنمو كما يجب، فمعدلات النمو في بلادنا اقل من المعدل الذي ينبغي ان يكون عليه. ان نمو السكان هو اكبر من نمو الاقتصاد، اذن فان بلادنا ليست نامية، والدليل هو وجود الفجوة الواسعة بين الجنوب والشمال، ويجب ان نعترف باننا فقراء حتىٰ نسعىٰ للقضاء علىٰ الفقر: **(واجبر به فقرنا. وسُدّ به خَلّتنا)** اي مواضع الفقر **(ويَسِّر به عسرنا)** يجب علىٰ الانسان ايضاً ان يسعىٰ و بعون الله الى تيسير ما تعسّر من حياته، وهذا الدعاء يدفع الانسان لكي يرفض الاستسلام الىٰ واقعه الصعب وحياته العسيرة بل عليه ان يسعىٰ للتغيير نحو الافضل: **(و بيض به وجوهنا)**.

(وفُكَ به اَسرنا، واَنجِح به طلبتنا) حقق تطلعاتنا عبر وليك الغائب الذي تبعثه لانقاذنا **(وانجز به مواعيدنا)** لقد وعدنا الله بان ينصرنا علىٰ الاعداء، ونحن بحاجة الىٰ القيادة التي نلتف حولها لينقذنا الله بها، و ينجز وعده بنصرنا **(واستجب به دعوتنا واعطنا به سؤلنا و بلغنا به في الدنيا والآخرة آمالنا)** ان كل آمالنا ستتحقق، ولا يجوز ان ييأس الانسان و يقنط من ذلك، وانما تحقق الامال يحتاج الىٰ الوسيط وهو الحجة الغائب ومن ينوب عنه.

(واعطنا به فوق رغبتنا) اننا نطلب من الله سبحانه وتعالىٰ ان لا يقتصر فقط علىٰ الاستجابة لطلباتنا، ذلك لان عقل الانسان محدود، وطلباته ايضاً تكون محدودة، فندعو الله الذي يعرف عمق حاجاتنا ان يعطينا اكثر مما نطلب وفوق رغبتنا: **(واعطنا به فوق رغبتنا، يا خير المسؤولين)** من افضل من الله، يسأله الانسان حاجاته؟ اذ يستطيع الانسان ان يسأله اي شيء، وفي اي وقت شاء، فلا تحجبه عن عباده المؤمنين حواجب، و بابه مفتوح للداخلين، والتقرب اليه والسؤال منه لا يحتاج الىٰ شفيع ولا دليل ولا تصنع، وهو فوق كل ذلك يعطي السائل اضعاف ما يطلب. فهو: **(خير المسؤولين، واوسع المعطين، اشفِ به صدورنا)** هذه هي قمة الطلبات، اذ قد تكون هنالك دولة اسلامية ومجتمع مسلم، دولة تحكمها قوانين اسلامية، ومجتمع يخضع في علاقاته الظاهرية لقيم الاسلام، وقد تكون هناك حالة من الحركة والغنىٰ والتقدم والرفاه والعزة، ولكن يظل القلب مريضاً، فلا يستفيد الانسان من كل تلك النعم، لان القلب لا يتمتع بالعافية، والصفاء، والاطمئنان، تماماً كالانسان الحسود الذي وان امتلك كل ما في الدنيا من نعم، الا انه لا يرتاح له بال لانه يحسد الاخرين على ما يمتلكون من نعم الله.

اذن، فاننا نحتاج الىٰ شيء اعظم من كل النعم، الا وهو: شفاء الصدور والقلوب.

(وأذهب به غيظ قلوبنا) وشفاء الصدور لا يعني فقط ان يجعلك الله صابراً وقانعاً وراضياً ولا يعني فقط ان يصبح قلبك صافياً من الحسد

والحقد. بل وايضاً ان يخلو قلبك من كل غيض، فاذا كنت تحمل في قلبك عقدة سقوط الاستكبار، واعداء الدين والانسان مثلاً: فانك تطلب من الله ان يذهب هذا الغيظ من قلبك وذلك باسقاط اعداء الانسانية ودحر الحكومات الشيطانية والقوى المستكبرة في العالم.

(واهدنا به لما اختلف فيه من الحق باذنك) من فوائد الحكومة الاسلامية والقيادة الرسالية انها تحسم الخلافات القائمة علىٰ اساس الهداية الىٰ الحق والصواب: **(وآهدنا به لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء الىٰ صراط مستقيم وآنصرنا به علىٰ عدوك وعدونا إله الحق آمين)** بالتالي مهما تكون هناك دولة اسلامية وحكومة اسلامية فانه تبقىٰ هناك مجموعات من الاعداء، نأمل في الانتصار عليها، ونطلب من الله ان يعيننا في ذلك.

وفي نهاية دعاء الافتتاح نشكو الىٰ الله من المستكبرين: أصحاب القوة، واصحاب السلطان الذين يظلمون و يقهرون المستضعفين الذين يعيشون حياة التخلف والتمزق، فنقول: **(اللهم إنّا نشكو اليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا،وشدة الفتن بنا)** نشكو الى الله من الفتن الكثيرة التي تهجم علىٰ الامة من كل صوب، أليست «اسرائيل» والانظمة الطاغوتية ومن ورائهما قوى الاستكبار العالمي هي فتن هذه الامة؟.

(وتظاهر الزمان علينا) فروسيا تغزو امتنا من جهة، واميركا تتآمر من جهة اخرى، وفرنسا من جهة ثالثة و بريطانيا من جهة رابعة، وهكذا

تتحالف كل قوى الشر ضدنا:

[وتظاهر الزمان علينا فصلِّ علىٰ محمد وآله واعنّا علىٰ ذلك بفتح منك تعجله، وبضر تكشفه، ونصر تعزه، وسلطان حق تظهره، ورحمة منك تجللناها، وعافية منك تلبسناها، برحمتك يا ارحم الراحمين].

١٣ ــ الايمان بالآخرة

[اللهم بِرَحمتِك في الصالحين فأدْخِلنا، وفي عِليينَ فارْفَعنا، وبِكأسٍ مِن مَعِينٍ من عَيْنٍ سَلْسَبيل فاسْقِنا، ومِنَ الحُورِ العِيْن بِرَحمتِك فزَوِّجنا، ومِنَ الوِلدانِ المُخَلَّدِين كأنهم لُؤلُؤ مَكنَون فأخْدِمنا، ومِن ثِمارِ الجَنَّةِ، وَلُحومِ الطَيْرِ فأطْعِمْنا، ومِن ثِيابِ السُنْدُسِ وَالحَرِيرِ والأسْتَبْرَقِ فألبِسْنا، وَليلةَ القَدْرِ، وَحَجَّ بَيْتِكَ الحرام، وَقَتْلاً في سَبيلِكَ فَوَفِق لنا، وصالِحَ الدُعاءِ وَالمَسْألةِ فاسْتَجِبْ لنا، واذا جَمَعْتَ الأَولين والآخِرين يَوْمَ القِيامَةِ فارحمنا، وَبَراءةً من النارِ فاكْتُبْ لَنا، وفي جَهَنَّمَ فَلا تَغُلَّنا، وفي عذابِكَ وَهَوانِك فلا تَبْتَلِنا، ومِنَ الزَّقُوم وَالضَريع فلا تُطْعِمْنا، وَمَعَ الشياطِينِ فَلا تَجْعَلنا، وفي النارِ عَلىٰ وُجُوهِنا فلا تَكُبُّنا، ومن ثياب النارِ، وسَرابِيلِ القَطِرانِ فلا تُلْبِسْنا، ومِن كلِّ سُوءٍ يا لا إلهَ إلاّ أنْتَ بحقِ لا إله إلا أنت فَنَجِّنا ..] (١)

(١): بعد ان أنتهى التأمل في دعاء الافتتاح الذي كان واحداً من الادعية الجامعة، نبدأ التأمل في الدعاء الصغير الذي يُقرَأ عادة بعد دعاء الافتتاح ذلك لأن دعاء الافتتاح لم يركز بما فيه الكفاية على مسألة الايمان بالاخرة.

ان الايمان بيوم البعث هو جزء اساسي من العقائد الاسلامية التي تؤكد الادعية -في بعض جوانبها- علىٰ ترسيخها في النفس، وتجدر الاشارة الىٰ ان هنالك فرقاً بين ترسيخ العقيدة و بين شرحها و بيانها، فشرح العقيدة، قد يكون عبر حديث عقلائي، بينما ترسيخ العقيدة لا يكون الا عبر معاناة نفسية وتفاعل نفسي بين الانسان و بين تلك العقيدة، مثلاً هناك فرق واضح بين أن تؤمن بالاخرة ايماناً مبنياً علىٰ البراهين والادلة العقلية، و بين ان تؤمن بها عبر تصور مشاهد الآخرة. فتتصور مشهدك وانت محمول علىٰ اكتاف الاصدقاء الىٰ مثواك الاخير، لا تعرف ما هو مصيرك، وتتصور نفسك وانت مفترش علىٰ المغتسل تقلبك ايدي الصالحين من اخوانك او جيرانك، وتتصور تلاشي جسمك في القبر، ثم خروجك من قبرك عرياناً ذليلاً لا تعرف الىٰ أين تتجه، تقف خمسين الف عاماً في صحراء المحشر، تلك الصحراء المحفوفة بالمخاطر والاهوال، وهكذا تتصور النار والجنة، وتتصور العقاب والنعيم.

ان كل هذه التصورات هي التي ترسخ العقيدة في ذهنك وليس مجرد الاعتقاد استدلالي البرهاني، ان الايمان بالاخرة يجب ان يترسخ في النفس الى درجة يجعل الانسان هذا الايمان جزءً من تفكيره وتوجهاته.

يقول احد علماء الغرب واسمه (براتراتسن) في كتابه المسمىٰ (في التربية):

«إن رجال الكهنوت يربون أولادهم علىٰ الايمان بالآخرة والعمل من أجلها».

ثم يضيف الكاتب:

أنا شخصياً لا أؤمن بالاخرة، لكن الذي يؤمن بالاخرة و يؤمن بانه سيعيش هناك طويلاً، خالداً، أما في النار والعذاب واما في الجنة والنعيم، لا بد ان يربي ابنه على هذا الاساس، لان الدنيا بالنسبة الىٰ ذلك اليوم لا شيء، فما هي قيمة سبعين سنة اذا قيست بملايين السنين؟ هي لحظة واحدة فقط، اذن الذي يؤمن بالاخرة لا يمكنه أن يعيش كما يعيش الذي لا يؤمن بها، فهناك إختلاف واسع بين حياتهما.

جاء في بعض الاحاديث:

(عجبت لمَن أيقنَ بالموتِ كيف يضحك؟)

ان تصور الموت وحده، وتصور هذه النهاية التي لا عودة منها، يكفي لكي يجعلك لا تضحك ابداً في حياتك، فكيف بتصور ما وراء الموت، والموت هو من ابسط مراحل يوم القيامة، ان الموت الذي يخافه الانسان في دنياه، يتمناه اهل النار يوم القيامة، لانه اسهل بكثير من اهوال العذاب والنار، تقول الاية الكريمة:

﴿ونادوا يا مالك ليقضِ علينا ربك

قال انكم ماكثون*

(٧٧/الزخرف)

وفي المجمع عن أمير المؤمنين (ع) في تفسير هذه الآية قال: ان اهل النار ولضعفهم لم يتلفظوا القول بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقضِ علينا ربك يعني: سلْ ربك أن يقضي علينا، أن يميتنا، قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت وغيره.

إذن، فالايمان المجرد بوجود الاخرة، يختلف عن تصور الانسان وعن المراحل التفصيلية لها. وربما تشير الى ذلك كلمة الظن في الآية الكريمة التالية، حينما يقول ربنا:

واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا علىٰ الخاشعين* الذين يظنون انهم ملاقو ربهم، وانهم اليه راجعون

(٤٥-٤٦/البقرة)

ان كلمة (الظن) ربما تهدي الىٰ هذا (التصور) اي ان تصورك للقاء الحافل الحاسم الذي يجري بينك و بين الله سبحانه وتعالىٰ، هذا التصور يهز ضميرك، يهزك من الاعماق، والادعية المأثورة تخلق لنا هذا التصور حينما تتعرض لمسألة الاخرة، وتفاصيل الموت والحشر والعذاب والنعيم.

والدعاء التالي الذي سنتأمل فيه قد جاء في سياق ترسيخ الايمان

بالاخرة:

(اللهم برحمتك في الصالحين فادخلنا وفي عليين فارفعنا)، ليس المهم ان يُكتب اسمك في الجرائد والمجلات، او يُبث اسمك في الاذاعة، انما المهم ان يُدخلك الله سبحانه وتعالىٰ في جبهة الصالحين، وان يرفعك في اعلىٰ عليين، فكم يحتاج الانسان الىٰ ترسيخ ايمانه و يقينه، حتىٰ يربي في نفسه هذه الصفة، حتىٰ لا يفكر في من يتكلم عنه، لا يفكر في الشهرة، لا يفكر في اقوال الناس حوله،وانما يفكر ـفقطـ في موقف الله منه، وكيف ينظر الله اليه، وهل يرفعه في عليين أم لا؟

ان التاريخ يشهد ان اناساً ملكوا العالم كله، الا انهم اندحروا وانتهوا لانهم لم يكونوا من الصالحين.

فرعون كان في عصره اقوى من أمريكا وروسيا اليوم، واقوى من كل دول العالم في عصره، ولكن اين هو فرعون اليوم؟ لم يبقَ منه إلا جسده المحنط في متاحف القاهرة والذي جعله الله عبرة للاخرين.

إذن، فليست الشهرة الدنيوية هي المهمة، انما المهم هو ان يرتفع شأنك عند الله سبحانه وتعالىٰ.

ومثال قرآني اخر: هل يعرف احد اسماء السحرة الذين امنوا برب موسى، وتمردوا علىٰ فرعون، وضحوا من اجل ايمانهم؟ لا احد يعرف شيئاً عنهم الا ان الله رفعهم في اعلى عليين.

[وبكأس من معين من عين سلسبيل فاسقنا]

قرأت في بعض الاحاديث ان هناك حوض ماء يشرب منه المؤمنون قبل الدخول في الجنة، وهو الذي يسمى (بحوض الكوثر) وهذا الماء -حسب الروايات- يحمل عدة خصائص، من أهمها:

١- حينما يموت الانسان، فان جسمه سيتغير كثيراً، ثم حينما يُبعث من جديد و ينشر في صحراء المحشر المحفوف بالاهوال، والذي يقول عنه ربنا سبحانه وتعالىٰ:

فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً

(١٧/المزمل)

فان جسمه يصاب بتغيرات اكثر و يصبح مشوهاً وذلك لان صحراء المحشر رغم انها كبيرة وواسعة جداً، الا انها مزدحمة بمليارات البشر، وفيها تلال وحفر وعقارب ونيران وعذاب وظلمة، ومن جهة ثالثة فان اكثر الناس يدخلون نار جهنم ولو لفترات قصيرة جداً:

وان منكم الا واردها كان علىٰ ربك حتماً مقضياً

(٧١/مريم)

وذلك من اجل تطهير الناس من ذنوبهم، اذا لم تكن قد مُحيت بالاستغفار في الدنيا، وحينما يخرج هذا الجسم من النار يحمل، بلا شك،

(**ومن الحور العين برحمتك فزوجنا**)، الحور جمع (حوراء) وهي تعني المرأة ذات العين التي اشتد سواد سوادها، و بياض بياضها، اي لم يخالط البؤبؤ لون اخر غير السواد، كما لم يخالط البياض اية الوان اخرى، و(العين) جمع (عيناء) وهي تعني المرأة ذات العينين الواسعتين. اذن، فان كلتا الصفتين تعودان الى العين باعتبار عين الانسان تحمل الكثير من معالم الجمال بل وتجسد جمال الانسان، باعتبار الروح تتجلى عبر العين (**ومن الحور العين برحمتك فزوجنا، ومن الولدان المخلدين كانهم لؤلؤ مكنون فاخدمنا**)، والولدان المخلدون هم مجموعات كبيرة من الشباب الصغار الذين يسخرهم الله لخدمة المؤمنين في الجنة، وتهيئة كل وسائل الراحة، والرفاه لهم، فهم يقدمون للمؤمن كل الخدمات التي يطلبها، (**ومن الولدان المخلدين كأنهم لؤلؤ مكنون فاخدمنا**)، اللؤلؤ هو شيء جميل جداً، ولكن قد

صورة مشوهة وعاهات مؤلمة، ولكي يتخلص الانسان المؤمن من تغيرات القبر، وتشوهات صحراء المحشر، وعاهات وامراض جهنم، فانه يشرب من هذه الماء قبل دخول الجنة.. هذا الماء الذي يُعيد جسم الانسان الى اجمل صورته في ريعان الشباب ثم بعد ذلك يدخل الجنة.

٢ ـ ان هذا الماء هو ماء الحياة، ومن يشرب منه فانه لا يصيبه الموت ولا يصيبه تعب ولا نصب ولا مرض، ومن هنا فان المؤمن يدخل الجنة شاباً جميلاً معافى من جهة، ومحصناً ضد اية سلبيات وامراض جسمية من جهة ثانية بفضل هذا الماء، يقول الدعاء: (**وبكأس من معين، من عين سلسبيل فاسقنا**).

يعتريه شيء من الغبار، اما اللؤلؤ الذي كان مكنوناً فانه يتألق بياضاً وجمالاً حينما يخرج الىٰ النور، كذلك هم الولدان المخلدون **(ومن ثمار الجنة ولحوم الطير فاطعمنا)**، وفي الجنة ثمار ولحوم مختلفة تقدم للانسان حسبما يشتهي، اما بالنسبة الىٰ الطير فان المستفاد من الروايات هو ان طيور الجنة تحلق في الاجواء في اسراب جماعية، وحينما يشتهي المؤمن واحداً منها، يكفي ان يشير اليه حتىٰ يحضر امامه فوراً وعلىٰ صورة طبق مشوي، والاغرب من ذلك، هو انه بعد ان يأكل المؤمن منه، فان الطير تتجمع اجزاؤه و يعود الىٰ الطيران من جديد مفتخراً علىٰ سائر الطيور لان المؤمن قد أكل منه.

وفي الحقيقة فان المؤمن مَلِك في الجنة، وتصبح الملائكة، والحور، والولدان، والطيور، والاشجار، والانهار، وكل شيء رهن اشارته. وحسب ما جاء في بعض الاحاديث، فان المؤمن يملك في الجنة من الارض والخدم، ومن القاعات والبيوت والخيل والاشجار ما يمكنه ان يدعو جميع اهل الارض الىٰ وليمة طعام في يوم واحد.

(ومن ثياب السندس والحرير والاستبرق فالبسنا)، الثوب الحرير معروف، اما السندس فهو الديباج الرقيق، واما الاستبرق فهو الديباج الغليظ، او الحرير المنسوج مع خيوط الذهب.

كانت هذه هي تطلعات المؤمن في الاخرة، اما للوصول اليها فنحن بحاجة الىٰ توفيق الهي في الدنيا، يكون طريقاً للوصول الىٰ الجنة ونعيمها

الدائم، وهو كالتالي:

(وليلة القدر، وحج بيتك الحرام، وقتلاً في سبيلك فوفق لنا)، فالذي يوفقه الله تعالىٰ لتغيير نفسه في ليلة القدر والبدء بحياة جديدة، يكون فيها رضا الله سبحانه وتعالىٰ، وثم يحج بيت الله الحرام، معلناً بذلك رفضه لكل الآلهة المزيفة علىٰ الارض والطواغيت الذين يجعلون من انفسهم انداداً لله، ثم تدركه الشهادة مجاهداً في سبيل دينه وربه، فانه يكون من اهل الجنة بلا شك، والانسان لا بد ان يدركه الموت، ولكن ما احلىٰ الموت حينما ياتي عبر الشهادة، وان اهم فوائد الشهادة في سبيل الله، هو غفران ذنوبه كلها، لان الله تعالىٰ يشهد للقتيل في سبيله بالجنة.

(وصالح الدعاء والمسألة فاستجب لنا)، إننا ندعو الله كثيراً، ولكن بعض هذه الادعية قد لا تكون مفيدة لنا، اذن فاننا نسأل الله أن يستجيب الدعاء الصالح من دعواتنا.

(واذا جمعت الاولين والاخرين يوم القيامة فارحمنا)، تقول الروايات ان الله سبحانه وتعالىٰ قسم رحمته الىٰ مئة جزء، نشر جزءً واحداً منها علىٰ اهل الدنيا، وادخر تسعة وتسعين جزءً منها ليوم القيامة، فرحمة الله واسعة في هذا اليوم، ولولا رحمة الله لهلك الناس اجمعون، وربما نستطيع ان نقول: لولا رحمة الله لما دخل في الجنة احد. ونشير هنا الىٰ قصة ذلك الرجل العابد الزاهد الذي كان متفرغاً للعبادة والصلاة والابتهال، وكان يدعو الله دائماً ان يُدخله الجنة بعمله هو، وليس برحمته سبحانه.

وفي احدى الليالي رأى في الحلم ان القيامة قد قامت، وقد جاء دوره للحساب، ونُصب امامه الميزان ثم وضعت أعماله في احدى كفتي الميزان، فاذا بها كثيرة، من صلوات وابتهالات وعبادات وما الى ذلك، اما الكفة الثانية فلم توضع فيها ذنوب، اما لانه لم تكن له ذنوب تُذكر، او ان الله كان قد غفر له ذنوبه، وانما وضعت فيها رُمانة واحدة كان قد اكلها في حياته، وكانت هي -بالطبع- نعمة واحدة من ملايين نعم الله الاخرى عليه، واذا بكفة الرمانة ترجح على كفة الاعمال الصالحة الكثيرة، فاكتشف الرجل خطأ تصوره، اذ ان كل اعماله في الدنيا لم تكن تساوي رمانة واحدة من نعم الله عليه.

اذن، فاننا مهما نكون صالحين ومطهرين من الذنوب والمعاصي، فاننا نكون بحاجة الى رحمة الله في الاخرة، تماماً كما في الدنيا.

(وبراءة من النار فاكتب لنا)، نفهم من هذا ان الذين لا يدخلون النار ينبغي ان تكون لديهم (براءة) مخصوصة تكون بمثابة بطاقة دخول الجنة، و يبدو من بعض الاحاديث ان نار جهنم تفصل بين صحراء المحشر، و بين الجنة، والذي يدخل الجنة لا بد ان ينطلق عبر جهنم، فالذي يملك (براءة) من النار فانه يعبر جهنم عن طريق الجسر المسمى بـ(الصراط) وهناك من يتمتع بامتيازات كبيرة فانه يعبر جهنم في فترة قصيرة جداً، وقبل ان يرتد اليه طرفه. اما الذي لا يملك بطاقة (البراءة) فانه يجب ان يدخل نار جهنم ثم يخرج منها شاقاً طريقه الى الجنة.

اذا دخل من هذا الجانب متىٰ يخرج؟ الله العالم، حسب ذنوبه. أما أنه اذا دخل في جهنم فمتىٰ يخرج منها؟ فان هذا يرتبط بحجم ذنوبه وأعماله الصالحة والسيئة، وتقول الروايات ان بعض الناس يمكث في جهنم ثلاثمائة ألف عام، لكي تُصفىٰ اجسامهم، وتُزكىٰ نفوسهم من آثار الذنوب والمعاصي، ثم يدخلون بعد ذلك الجنة، اذن فاننا ندعو الله: (**وبراءة من النار فاكتب لنا، وفي جهنم فلا تغلنا**)، وفي جهنم اغلال من نار تحيط باصحابها، والغل قد يكون سبعين ذراعاً بحيث يُلف به الانسان من قدمه الىٰ رأسه.

(**وفي عذابك وهوانك فلا تبتلنا**)، أيّ لا تمتحننا بتسليط العذاب والهوان علينا، (**ومن الزقوم والضريع فلا تطعمنا**)، ان الزقوم هو نوع من اشجار النار كما تشعر بذلك الايات القرآنية التالية التي تصف الزقوم:

انها شجرة تخرج في أصل الجحيم
طلعُها كأنه رؤوس الشياطين* فانهم
لآكلون منها فمالئون منها البطون*

(٦٤-٦٦/الصافات)

والزقوم ـ كما قيل ـ اسم شجرة صغيرة الورق، مرة، كريهة الرائحة، ذات لبن اذا اصاب جسد الانسان ادى به الى اورام خبيثة.

أما الضريع فهو نوع اخر من طعام اهل النار، تشير اليه الآية السادسة من سورة الغاشية:

﴿ليس لهم طعام إلاّ من ضريع * لا يُسمن ولا يغني من جوع﴾

(٥-٦/الغاشية)

وقيل: الضريع هو اخبث وابشع انواع الشوك.

(ومع الشياطين فلا تجعلنا)، كل انسان في النار يجد الىٰ جانبه شيطانه الذي كان يوسوس له في الدنيا، والشيطان يلاقي جزاءه في النار و يُعذَّب، الا انه يؤذي صاحبه في نفس الوقت أيضاً.

(وفي النار علىٰ وجوهنا فلا تكببنا)، ان الله وضع نار جهنم اساساً في مكان عميق جداً، لذلك فان المجرمين يكبون علىٰ وجوههم في النار، و بعض المجرمين يُلقىٰ بهم في نار جهنم وتستغرق فترة سقوطهم حتى وصولهم الى قعر جهنم مدة سبعين سنة، فنسأل الله ان لا يكبنا على وجوهنا في النار.

(ومن ثياب النار وسرابيل القطران فلا تلبسنا)، القطران هي مادة سوداء نتنة تطلى بها اجسامهم فتصير كالسرابيل عليهم.

والنيران تحيط باهل النار حتى تصبح وكأنها الثياب تغطيهم.

(ومن كل سوء يا لا اله الا انت، بحق لا اله الا انت فنجنا)، فالله تعالىٰ هو القادر علىٰ ان ينجينا من كل سوء في الدنيا والاخرة، ولكن علينا نحن ان نسأل الله بجد والحاح ان يفعل ذلك بنا.

وفي الختـام نسأل الله العلي القدير ان يوفقنا: للتبتل اليه عبر الادعية المـأثـورة. وفي طليعتها: دعاء الافتتاح الذي نثبت فيما يلي النص الكامل له. ولدعاء الصالحين اتماماً للفائدة.

﴿ اَللَّهُمَّ اِنّي اَفْتَتِحُ الثَّنٰآءَ بِحَمْدِكَ ، وَاَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوٰابِ بِمَنِّكَ ، وَاَيْقَنْتُ اَنَّكَ اَنْتَ اَرْحَمُ الرّاحِمينَ في مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ ، وَاَشَدُّ الْمُعٰاقِبينَ في مَوْضِعِ النَّكٰالِ وَالنَّقِمَةِ، وَاَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرينَ في مَوْضِعِ الْكِبْرِيٰآءِ وَالْعَظَمَةِ ، اَللَّهُمَّ اَذِنْتَ لي في دُعٰآئِكَ وَمَسْأَلَتِكَ ، فَاسْمَعْ يٰا سَميعُ مِدْحَتي ، وَاَجِبْ يٰا رَحيمُ دَعْوَتي ، وَاَقِلْ يٰا غَفُورُ عَثْرَتي ، فَكَمْ يٰا اِلٰهي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَهٰا ، وَهُمُومٍ -[غُمومٍ]- قَدْ كَشَفْتَهٰا ، وَعَثْرَةٍ قَدْ اَقَلْتَهٰا ، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَهٰا ، وَحَلْقَةِ بَلاٰءٍ قَدْ فَكَكْتَهٰا ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صٰاحِبَةً وَلاٰ وَلَداً ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ، وَكَبِّرْهُ تَكْبيراً ، اَلْحَمْدُ للهِ بِجَميعِ مَحٰامِدِهِ كُلِّهٰا ، عَلىٰ جَميعِ نِعَمِهِ كُلِّهٰا ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لاٰ مُضٰادَّ لَهُ في مُلْكِهِ ، وَلاٰ مُنٰازِعَ لَهُ في اَمْرِهِ ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لاٰ شَريكَ لَهُ في خَلْقِهِ ، وَلاٰ شَبيهَ -[شِبْهَ]- لَهُ في عَظَمَتِهِ ، اَلْحَمْدُ للهِ الْفٰاشي في الْخَلْقِ اَمْرُهُ ، وَحَمْدُهُ الظّاهِرِ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ ، الْبٰاسِطِ بِالْجُودِ يَدَهُ ، الَّذي لاٰ تَنْقُصُ خَزٰآئِنُهُ ، وَلاٰ يَزيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطٰآءِ ، اِلاّٰ جُوداً وَكَرَماً ، اِنَّهُ هُوَ الْعَزيزُ الْوَهّٰابُ ، اَللَّهُمَّ اِنّي اَسْأَلُكَ قَليلاً مِنْ كَثيرٍ ، مَعَ حٰاجَةٍ بي اِلَيْهِ

عَظيمَةٍ ، وَغِناكَ عَنْهُ قَديمٌ ، وَهُوَ عِنْدي كَثيرٌ ، وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسيرٌ ، اَللَّهُمَّ اِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبي وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطيئَتي ، وَصَفحَكَ عَنْ ظُلمي ، وَسِتْرَكَ عَلىٰ -[عن]- قَبيحِ عَمَلي ، وَحِلْمَكَ عَنْ كَثيرِ -[كَبيرِ]- جُرْمي ،عِنْدَ ما كانَ مِنْ خَطاي ، وَعَمْدي اَطْمَعَني في اَنْ اَسْأَلَكَ ما لا اَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ ، الَّذي رَزَقْتَني مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَاَرَيْتَني مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَعَرَّفْتَني مِنْ اِجابَتِكَ ، فَصِرْتُ اَدْعُوكَ آمِناً ، وَاَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِساً ، لا خائِفاً وَلا وَجِلاً ، مُدِلاًّ عَلَيْكَ فيما قَصَدْتُ فيهِ -[بِهِ]- اِلَيْكَ ، فَاِنْ اَبْطَا عَنّي -[عَلَيَّ]- عَتَبْتُ بِجَهْلي عَلَيْكَ ، وَلَعَلَّ الَّذي اَبْطَاَ عَني هُوَ خَيْرٌ لي ، لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الْاُمُورِ ، فَلَمْ اَرَ مَوْلىً -[مُؤَمَّلاً]- كَريماً اَصْبَرَ عَلىٰ عَبْدٍ لَئيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يا رَبِّ ، اِنَّكَ تَدْعُوني فَاُوَلّي عَنْكَ ، وَتَتَحَبَّبُ اِلَيَّ فَاَتَبَغَّضُ اِلَيْكَ ، وَتَتَوَدَّدُ اِلَيَّ فَلا اَقْبَلُ مِنْكَ ، كَاَنَّ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ فَلَمْ ،-[ثُمَّ لَمْ]- يَمْنَعْكَ ذٰلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لي ، وَالْاِحْسانِ اِلَيَّ ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ ، فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجاهِلَ ، وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ اِحْسانِكَ ، اِنَّكَ جَوادٌ كَريمٌ ، اَلْحَمْدُ للهِ مالِكِ الْمُلْكِ ، مُجْرِي الْفُلْكِ ، مُسَخِّرِ الرِّياحِ ، فالِقِ الْاِصْباحِ ، دَيّانِ الدّينِ ، رَبِّ الْعالَمينَ ، اَلْحَمْدُ للهِ عَلىٰ حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ عَلىٰ عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ عَلىٰ طُولِ اَناتِهِ في غَضَبِهِ ، وَهُوَ قادِرٌ -[الْقادِرُ]- عَلىٰ ما يُريدُ . اَلْحَمْدُ للهِ خالِقِ الْخَلْقِ ، باسِطِ

الـرّزْقِ ، فالِقِ الْإِصْباحِ ، ذي الْجَلالِ وَالْإِكْـرامِ ، وَالْفَضْـلِ -[وَالتَّفضُلِ]- وَالْإِنْعامِ -[الْإِحْسانِ]-،الَّذي بَعُدَ فَلا يُرى ، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوى ، تَبارَكَ وَتَعالى ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعـادِلُهُ ، وَلا شَبيـهٌ يُشاكِلُهُ ، وَلا ظَهيـرٌ يُعاضِـدُهُ ، قَهَرَ بِعِـزَّتِهِ الْأَعِزَّآءَ ، وَتَواضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَماءُ ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ ما يَشاءُ ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي يُجيبُني حينَ اُناديهِ ، وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَاَنَا اَعْصيهِ ، وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلا اُجازيهِ ، فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنيئَةٍ قَدْ اَعْطاني ، وَعَظيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفاني ، وَبَهْجَةٍ مُونِقَةٍ قَدْ اَراني ، فَاُثْني عَلَيْهِ حامِداً ، وَاَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لا يُهْتَكُ حِجابُهُ ، وَلا يُغْلَقُ بابُهُ ، وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ ، وَلا يُخَيَّبُ -[يَخيبُ]- آمِلُهُ ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي يُؤْمِنُ الْخائِفينَ ، وَيُنَجِّي -[يُنْجي]- الصّالِحينَ -[الصّادِقينَ]- وَيَـرْفَـعُ الْمُسْتَضْعَفينَ ، وَيَضَـعُ الْمُسْتَكْبِـرينَ ، وَيُهْلِكُ مُلُوكـاً وَيَسْتَخْلِفُ آخَرينَ ، وَالْحَمْدُ للهِ قاصِمِ الْجَبّارينَ ، مُبيرِ الظّالِمينَ ، مُدْرِكِ الْهارِبينَ ، نَكالِ الظّالِمينَ ، صَريخِ الْمُسْتَصْرِخينَ ، مَوْضِعِ حـاجـاتِ الـطّالِبينَ ، مُعْتَمَـدِ الْمُؤْمِنينَ ، اَلْحَمْـدُ للهِ الَّـذي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرْعَدُ السَّماءُ وَسُكّانُها ، وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ وَعُمّارُهـا ، وَتَمُوجُ الْبِحارُ وَمَنْ يَسْبَحُ [يُسَبِّحُ]في غَمَراتِها ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا اَنْ هَدانَا اللهُ ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي يَخْلُقُ وَلَمْ يُخْلَقْ ، وَيَرْزُقُ وَلا يُرْزَقُ ، وَيُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ ، وَيُميتُ الْأَحْياءَ وَيُحْيِي الْمَوْتى

وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ ٱلخَيْرُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، وَاَمينِكَ وَصَفِيِّكَ ، وَحَبيبِكَ وَخِيَرَتِكَ -[خَليلِكَ]- مِنْ خلقِكَ ، وَحافِظِ سِرِّكَ ، وَمُبَلِّغِ رِسالاتِكَ ، اَفْضَلَ وَاَحْسَنَ وَاَجْمَلَ ، وَاَكْمَلَ وَاَزْكىٰ وَاَنْمىٰ ، وَاَطْيَبَ وَاَطْهَرَ وَاَسْنىٰ ، وَاَكْثَرَ -[اَكْبَرَ]- ما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ ، وَتَرَحَّمْتَ وَتَحَنَّنْتَ ، وَسَلَّمْتَ عَلىٰ اَحَدٍ مِنْ عِبادِكَ -[خَلْقِكَ]-، وَاَنْبِيآئِكَ وَرُسُلِكَ، وَصِفْوَتِكَ وَاَهْلِ ٱلكَرامَةِ عَلَيْكَ، مِنْ خَلْقِكَ [اَللَّهُمَّ]وَصَلِّ عَلىٰ عَلِيٍّ اَميرِ ٱلْمُؤْمِنينَ، وَوَصِيِّ رَسولِ رَبِّ ٱلعالَمينَ ، عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ ، وَاَخي رَسُولِكَ ، وَحُجَّتِكَ عَلىٰ خَلْقِكَ ، وَآيَتِكَ ٱلْكُبْرىٰ ، وَالنَّبَأِ ٱلعَظيمِ ، وَصَلِّ عَلَى الصِّدّيقَةِ الطّاهِرَةِ ، فاطِمَةَ [الزَّهْراءِ] سَيِّدَةِ نِسآءِ ٱلعالَمينَ ، وَصَلِّ عَلىٰ سِبْطَيِ الرَّحْمَةِ ، وَاِمامَيِ ٱلهُدىٰ ، اَلْحَسَنِ وَٱلْحُسَيْنِ ، سَيِّدَيْ شَبابِ اَهْلِ ٱلجَنَّةِ ، وَصَلِّ عَلىٰ اَئِمَّةِ ٱلمُسْلِمينَ ، عَلِيِّ بْنِ ٱلحُسَيْنِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسىٰ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَٱلحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَٱلخَلَفِ ٱلهادي ٱلمَهْدِيِّ ، حُجَجِكَ عَلىٰ عِبادِكَ ، وَاُمَنآئِكَ في بِلادِكَ ، صَلاةً كَثيرَةً دآئِمَةً ، اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلىٰ وَلِيِّ اَمْرِكَ ٱلقآئِمِ ٱلمُؤَمَّلِ ، وَٱلعَدْلِ ٱلمُنْتَظَرِ ، وَحُفَّهُ -[وَاحْفُفْهُ]- بِمَلآئِكَتِكَ ٱلمُقَرَّبينَ ، وَاَيِّدْهُ بِرُوحِ ٱلقُدُسِ ، يا رَبَّ ٱلعالَمينَ ، اَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدّاعِيَ اِلىٰ كِتابِكَ ، وَٱلقآئِمَ بدينِكَ ،

اسْتَخْلِفْهُ في ٱلأَرْضِ ، كَما اَسْتَخْلَفْتَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِ ، مَكِّنْ لَهُ دينَهُ الَّذي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ ، اَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ اَمْناً ، يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً ، اَللَّهُمَّ اَعِزَّهُ وَاَعْزِزْ بِهِ ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ ، وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزيزاً ، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسيراً ، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصيراً ، اَللَّهُمَّ اَظْهِرْ بِهِ دينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ ، حَتّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلحَقِّ ، مَخافَةَ اَحَدٍ مِنَ ٱلخَلْقِ ، اَللَّهُمَّ اِنّا نَرْغَبُ اِلَيْكَ في دَوْلَةٍ كَريمَةٍ تُعِزُّ بِها ٱلإِسْلامَ وَاَهْلَهُ ، وَتُذِلُّ بِها النِّفاقَ وَاَهْلَهُ ، وَتَجْعَلُنا فيها مِنَ الدُّعاةِ اِلى طاعَتِكَ ، وَالْقادَةِ اِلى سَبيلِكَ ، وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، اَللَّهُمَّ ما عَرَّفْتَنا مِنَ ٱلحَقِّ فَحَمِّلْناهُ ، وَما قَصُرْنا عَنْهُ فَبَلِّغْناهُ ، اَللَّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعَثَنا ، وَاشْعَبْ بِهِ صَدْعَنا ، وَارْتُقْ بِهِ فَتْقَنا ، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنا ، وَاَعْزِزْ -[اَعِزَّ]- بِهِ ذِلَّتَنا ، وَاَغْنِ بِهِ عائِلَنا ، وَاقْضِ بِهِ عَنْ مُغْرَمِنا -[مَغْرَمِنا]- ، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنا ، وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنا ، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنا ، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنا ، وَفُكَّ بِهِ اَسْرَنا ، وَاَنْجِحْ بِهِ طَلِبَتَنا ، وَاَنْجِزْ بِهِ مَواعيدَنا ، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنا ، وَاَعْطِنا بِهِ سُؤْلَنا ، وَبَلِّغْنا بِهِ مِنَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ آمالَنا ، وَاَعْطِنا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا ، يا خَيْرَ ٱلمَسْؤُولينَ ، وَاَوْسَعَ ٱلمُعطينَ ، اشْفِ بِهِ صُدُورَنا ، وَاَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلوُبِنا ، وَاهْدِنا بِهِ لِمَا اخْتُلِفَ فيهِ مِنَ ٱلحَقِّ بِإِذْنِكَ ، اِنَّكَ تَهْدي مَنْ تَشاءُ اِلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ ، وَانْصُرْنا بِهِ عَلى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنا ، اِلٰهَ ٱلحَقِّ -[ٱلخَلْقِ]- آمينَ ، اَللَّهُمَّ اِنّا نَشْكُو اِلَيْكَ فَقْدَ نَبِينا ، صَلَواتُكَ

عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنا ـ[اِمامِنا]ـ، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا ، وَقِلَّةَ عَدَدِنا ، وَشِدَّةَ ٱلفِتَنِ بِنا ، وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَيْنا ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ـ[آلِ مُحَمَّدٍ]ـ وَاَعِنّا عَلىٰ ذٰلِكَ بِفَتْحٍ [مِنْكَ] تُعَجِّلُهُ ، وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ ، ونَصْرٍ تُعِزُّهُ ، وَسُلْطانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تُجَلِّلُناها ، وَعافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُناها ، بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ ﴾ .

﴿ اَللّٰهُمَّ بِرَحْمَتِكَ فِي الصّالِحينَ فَاَدْخِلْنا ، وَفي عِلِّيّينَ فَارْفَعْنا ، وَبِكَأْسٍ مِنْ مَعينٍ ، مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبيلٍ فَاسْقِنا ، وَمِنَ ٱلحُورِ ٱلعينِ بِرَحْمَتِكَ فَزَوِّجْنا ، وَمِنَ ٱلوِلْدانِ ٱلمُخَلَّدينَ كَاَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ فَاَخْدِمْنا ، وَمِنْ ثِمارِ ٱلجَنَّةِ وَلُحُومِ الطَّيْرِ فَاَطْعِمْنا ، وَمِنْ ثِيابِ السُّنْدُسِ وَٱلحَريرِ وَٱلإِسْتَبْرَقِ فَاَلْبِسْنا ، وَلَيْلَةَ ٱلقَدْرِ وَحَجَّ بَيْتِكَ ٱلحَرامِ وَقَتْلاً في سَبيلِكَ فَوَفِّقْ لَنا ، وَصالِحَ الدُّعاءِ وَٱلمَسْأَلَةِ فَاسْتَجِبْ لَنا ، [يا خالِقَنا اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ لَنا] وَاِذا جَمَعْتَ ٱلأَوَّلينَ وَٱلآخِرينَ يَوْمَ القِيامَةِ فَارْحَمْنا ، وَبَراءَةً مِنَ النّارِ فَاكْتُبْ لَنا ، وَفي جَهَنَّمَ فَلا تَغُلَّنا ، وَفي عَذابِكَ وَهَوانِكَ فَلا تَبْتَلِنا ، وَمِنَ الزَّقُّومِ وَالضَّريعِ فَلا تُطْعِمْنا ، وَمَعَ الشَّياطينِ فَلا تَجْعَلْنا ، وَفِي النّارِ عَلىٰ وُجُوهِنا فَلا تَكْبُبْنا ، ـ[تَكُبَّنا]ـ ، وَمِنْ ثِيابِ النّارِ وَسَرابيلِ ٱلقَطِرانِ فَلا تُلْبِسْنا ، وَمِنْ كُلِّ سُوءٍ يا لا اِلٰهَ اِلاّ اَنْتَ ، بِحَقِّ لا اِلٰهَ اِلاّ اَنْتَ فَنَجِّنا ﴾

الفهرس

ـ الفصل الرابع: **تأملات في دعاء الافتتاح:**





من الكتاب

ولا ريب أن من يقرأ دعاء رغبة في ثواب الله، ورجاء رحمته او تسلمياً لامره سبحانه فسوف يؤتيه الله اجراً عظيماً. ولكن هل هذا كل هدف الادعية؟.

ام ان دعاء مكارم الاخلاق هو برنامج اخلاقي متكامل، ودعاء الافتتاح هو موسوعة عقائدية شاملة، ودعاء ابي حمزة الثمالي هو زخم روحي وومضة عرفانية، وترتيب سلم الاولويات عند البشر.

ان مفردات الادعية ـ لو تأملنا فيها ـ لكانت دروساً لنا في الحياة غنية بالمعاني الحضارية.

السعر ٣٥ ريالاً